العدد العاشر - السنة الأولى
ربيع الثاني ١٣٩٨هـ - مارس - أبريل ١٩٧٨م
Issue no. 10 - March - April 1978

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE



بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

العدد العاشر - السنة الاولى
ربيع الثاني ١٣٩٨هـ - مارس - أبريل ١٩٧٨م

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

هذا العدد

الفكرة السائدة عن الافعى انها من الزواحف المثيرة للرعب .. والهلع .. والخوف .. هناك من يرى ان الأفعى مخلوق وديع .. وأنيس .. وغير مؤذ؟ ص (٩١).



الدرعية .. مدينة ذات تاريخ حافل بالاحداث الكبيرة .. وهي الى جانب هذا منطلق مبدأ .. ورمز حضارة .. ومثل أمة ص (٣٥).



ليس الفسيفساء فناً من الفنون الجميلة .. انه ايضاً «فكر» .. يمكن من خلاله قراءة الاقتصاد .. والحياة الاجتماعية .. فضلاً عن كافة اشكال الثقافة ص (٨٣).



د. ابراهيم حمادة



* من مواليد القاهرة عام ١٩٣٢م.
* دكتوراه الفلسفة في أدب المسرح من جامعة انديانا في الولايات المتحدة الاميريكية عام ١٩٦٨م.
* أستاذ ورئيس قسم الأدب المسرحي باكاديمية الفنون بالقاهرة.
* يعمل حالياً عميداً للمعهد العالي للفنون المسرحية.
* من مؤلفاته المطبوعة «خيال الظل وتمثيليات ابن دانيـــال» و«معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية» و«خليل مطران والمسرح».



يحيى محمود ساعاتي

* من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٦٦ هـ.
* بكـالوريوس آداب – جامعة الرياض/ماجستير مكتبات – جامعة ميزوري.
* مؤلفاته: (ابو محمد البطال) و (مؤلفات ومراجع عن المملكة العربية السعودية) و (اهداء اللطائف من اخبار الطائف لحسن العجيمي – تحقيق).
* يعمل حاليا رئيسا لقسم التزويد في عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض.



محمد فهمي الحمدان

* من مواليد بزاعة – محافظة حلب – سوريا عام ١٩٤٥ م.
* اجـازة في الأدب العربي، ودبلوم في التربية وعلم النفس.
* من مؤلفاته الشعرية «زهرة من القنيطرة» و «متاعب المعلم».. ورواية «رشيد في بلاد الاقزام» وكتاب «في عتبة الاسلام».
* يعمل حالياً مدرساً للغة العربية في ثانويات حلب.



د. محمد بن سعد الرويشد

* من مواليد «شقراء» احدى مدن نجد في المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٧ هـ.

* بكالوريوس لغة عربية ماجستير في الأدب والنقد.

* دكتوراه في الأدب والنقد - جامعة الأزهر.

* عمل مدرساً. وموظفاً في الحقل التربوي.

* يعمل حالياً مديراً عاماً للتعليم المتوسط برئاسة تعليم البنات بالرياض.

محمد عبدالله الوابل

* من مواليد «البدائع» بالقصيم عام ١٣٥٩هـ، المملكة العربية السعودية.

* ماجستير ادارة اعمال - جامعة جنوب كاليفورنيا.

* عمل في عدد من الوظائف الحكومية والأهلية.

* يشغل حاليا منصب الأمين العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض.

* له مؤلف معد للطبع بعنوان «من هو المدير وما هي مهمته ؟»



محمد زياد كبة

* من مواليد مدينة حلب بسوريا عام ١٩٥١م.

* خريج جامعة حلب - قسم اللغة الانجليزية.

* حاصل على دبلوم في اللغويات من جامعة لندن .

* يحضر للدكتوراه في (مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية) جامعة لندن.

د. سيد حامد النساج

* من مواليد احدى القرى المصرية (شلقان) - محافظة القليوبية عام ١٩٣٦م

* دكتوراه آداب - جامعة القاهرة

* من مؤلفاته «تطور فن القصة القصيرة في مصر»، «دليل القصة المصرية القصيرة»، «الأدب العربي المعاصر في المغرب الأقصى».

* يعمل أستاذاً للأدب العربي الحديث بقسم اللغات - جامعة حلوان - القاهرة.

هجرة العقول العربية

بقلم: رئيس التحرير

الحديث عن هجرة الخبرات .. أو العقول العربية عن أوطانها «الأصل» ربما كان من الأحاديث المكرورة حيناً .. والمملة في اكثر الأحيان لكثرة ما كتب عنها .. ومع ذلك ما زال «النزيف» لهذه الخبرات يزداد حدة .. واستفحالاً .. ولن تستطيع صرخات الاقلام ان توقفه .. أو تحد منه.

والهجرة حين تكون طلباً لزيادة «الكفاءة» العربية العلمية فانها تصبح قضية غير مطروحة للنقاش .. ان لم تكن مطلباً وطنياً وقومياً بالغ الضرورة .. والأهمية .. وتشجيعها في حالة عدم توافرها وطنياً جزء لا يتجزأ من خطط التنمية خاصة ان الوطن العربي يتطلع الى فجر يتوافر فيه «الاكتفاء الذاتي» من خلال «التكامل العام» في شتى المجالات الصناعية .. والاقتصادية .. والعلمية.

لكن هذه الهجرة حين تتمثل في خروج الكفاءات .. أو الخبرات .. أو العقول من أوطانها لممارسة نشاطها في الخارج فانها تتحول الى ضرر فادح .. وعملية استنزاف لا تبشر بمستقبل هو حلم الملايين .. وتوظيف كل الطاقات المادية .. والبشرية من أجل تحقيقه.

والقصص التي تروى عن هذه الهجرة «الضدية» في وجه خطط التنمية العربية والاسلامية غريبة .. ومثيرة .. وربما كان البحث في اسبابها ودوافعها تطلعاً الى ايجاد وسائل للحد منها من أهم الأمور التي يجب مناقشتها.

ماذا تعني هذه الهجرة؟

الجواب هنا يطرح نفسه من خلال مجموعة القصص التي تحكى من حين لآخر.

انها تعني أشياء كثيرة:

* تعني ضيق مجالات حركة هذه الخبرات داخل أوطانها المحكومة بظروف معينة.

* كما تعني غياب الثقة في الخبرات العربية .. في الوقت الذي تحظى فيه الخبرات غير العربية بكامل الثقة انطلاقاً من القاعدة الشعبية التي تقول: «كل فرنجي برنجي».

* وتعني ايضاً مجموعة «التعقيدات» المحكومة بالبيروقراطية الادارية داخل المجتمعات العربية .. وعناصر تركيبة هذه المجتمعات.

* يضاف الى ذلك التطلعات الغريبة في أوجه «المظهر الاجتماعي» المحكوم بالتباهي .. والمفاخرة .. والتنافس على «التفرد» في تحقيق اكبر قدر ممكن من هذا المظهر من خلال الاستجابة للنزعات الفردية.

هذا ما يمكن ان يقال اجمالاً كاسباب لظاهرة هجرة الخبرات العربية. والنتيجة لا تخرج عن أمرين:

اما تجميد هذه الخبرات .. وتعطيل قدراتها عن التطور .. وبالتالي تحويلها للقيام باعمال روتينية .. او ادارية «منصبية» استشارية .. أو تفريغها «بالتقادم» من مضمونها بشكل .. أو بآخر.

واما لجوء هذه الخبرات الى الهجرة للعمل خارج البلاد العربية حيث يتوافر لها المناخ المناسب .. والامكانات العلمية والفنية.

وكلا الأمرين أحلاهما أكثر ملوحة من مياه البحار .. وأمر من الصبر.

والحل؟

هذا ما نسأله دائماً .. ونقول كلاماً كثيراً فيه كل الحماس الذي ينتهي عند قراءة الكلمة الأخيرة منه .. وقلة هم الذين يقرأون ما يكتب الى آخر كلمة .. ومثل هذه القلة الجهات المسؤولة عن كل ما يكتب.

والصحف تطالعنا بأخبارها من حين لآخر بان «الوجيه» الفلاني غادر البلاد للعلاج في الخارج .. والذي يحدث ان بعض الخبرات التي تشرف على علاج هذا الوجيه هي في الأصل خبرات عربية مهاجرة، ضاقت بها أوطانها بما رحبت فخرجت بحثاً عن مناخ .. وامكانات.

ومما لاشك فيه ان هذه الخبرات العربية المهاجرة تجد أمامها أبواب الخارج مفتوحة بكل المغريات المادية .. والفنية .. كما انها تمنح الجنسية بصورة قد تكون اسهل وأيسر من الحصول على تأشيرة سفر من بلادها .. وهو أمر قد يشجع الكثير على هذه الهجرة التي اطلقنا عليها صفة «الضدية» لأنها ضد المصلحة الوطنية .. والقومية .. وعملية «استلاب» تحدث والشمس مشرقة.

ماذا يجب ان نفعل؟

وهذا سؤال آخر يطرح نفسه كبقية الاسئلة الأخرى في مرحلة تضع فيها البلدان العربية والاسلامية خططها للتنمية .. والتطوير .. وصناعة المتغيرات لتحقيق الرخاء .. ورغد العيش للانسان فيها.

والجواب قد يأتي بنفس سهولة السؤال .. لكن الصعوبة التي تتعثر أمامها كل الاجوبة تتمثل في انعدام روح المبادرة الايجابية الصادقة من جانب الاطراف المسؤولة.

ان استمرار هذه الهجرة .. أو هذا النزيف معناه استمرار البلدان العربية والاسلامية في طرق أبواب الخبرات غير العربية .. في حين تهرب فيه الخبرات العربية الى الخارج بحثاً عن مناخ .. ومكانة .. وامكانات.

واذا كانت الهجرة احدى الظواهر البشرية التي عرفتها المجتمعات القديمة .. والحديثة على اختلاف دوافعها من الأمور الطبيعية .. فانها بالنسبة للخبرات أمر غير طبيعي .. وهي تشكل خطورة على خطط التنمية تستوجب مراجعتها .. وتصحيحها بصورة استردادية حتى لا يكبر الندم .. ويتورم.

نعود .. لنقول مرة أخرى ان الحديث عن هجرة الخبرات .. أو العقول العربية ربما كان من الاحاديث المكرورة حيناً .. والمملة في أكثر الأحيان لكثرة ما كتب عنها .. مع اقرارنا بان صرخات الاقلام لا تستطيع ان توقف هذا النزيف الساخن .. ذلك لان هذه الهجرة من قبل ومن بعد هي «مسؤولية .. ومسؤولون».

تعريفات بمداخل النقد الأدبي

بقلم : ولبر سكوت
ترجمة : د. ابراهيم حمادة

المدخل الأخلاقي

من بين أنماط النقد التي تمارس اليوم، يعد المدخل الأخلاقي - بلا شك - أطولها تاريخاً. فقد كان أفلاطون - في جمهوريته المثالية - مهتماً بالتأثير الخلقي الذي يمكن أن يحدثه الشاعر. كما أولى هوراس نفعية الشعر وجماله شأناً كبيراً، وكذلك أبدى نقاد عصر النهضة - مثل فيليب سدني - اهتماماً مشابهاً لذلك. وفي القرن الثامن عشر، لم يتردد دكتور جونسون - زعيم مبدأ «الادراك المشترك» المدعم بالقدرة العقلية - في الحكم على المضمون الأخلاقي للمؤلفين الذين ناقشهم في كتابه «سير الشعراء». كما ناقش ماثيو أرنولد أهمية «الجدية البعيدة المدى» في الفن.

كل هؤلاء يمثلون الألسنة الرسمية الهامة التي تؤمن ايماناً راسخاً بأهمية الأدب لا بالطريقة التي يقال بها فحسب، ولكن بالذي يقوله أيضاً. وفي عصرنا الحالي، أصبح التقسيم - الذي يعبر عنه غالباً بـ«الشكل والمضمون» - شيئاً هاماً، وذلك منذ أن تجادل الشكليون FORMALISTS - خلال ممارستهم للنقد - حول التأكيد الكبير على طريقة القول، وعلى ترتيب الأجزاء، وعلى «كيفية» المعنى في القصيدة، بينما راح النقاد الأخلاقيون يعنون بـ«ماهية» المعنى.

وفي القرن العشرين، كان الوازع على التقييم الأخلاقي يعبر عنه - بصفة أساسية - الكتاب الذين تجمعوا تحت مسمى «الانسانية الجديدة - NEO-HUMANIST».

ويكمن اهتمامهم الأساسي بالأدب في كونه «نقد» للحياة. وعلى هذا، فدراسة تقنية الأدب - بالنسبة لهم - هي دراسة الوسائل. ولكنهم كانوا مشغولين بغايات الأدب على النحو الذي يؤثر في الانسان، وبالأدب وهو يحتل مكانه في ساحة الأفكار والمواقف الانسانية.

وتحليلهم للانسان تقليدي، ويرجع الى تحليل انسانيي عصر النهضة. وعلى هذا، فالانسان كائن، يمكن أن يتميز عن الحيوان بعقله، وبامتلاكه لمعايير أخلاقية. انه يقف ككائن حر، نزاع الى ميول حيوانية، أو الى نداءات فردية أنانية. ولكنه مسئول عن وضع هذه الميول - بمقدار رغبته في تهذيب طبيعته الانسانية الخاصة - تحت سيطرة العقل. ومن ثمة، فان الحرية ليست في التحرر من الظروف البيئية فحسب، وانما في الاذعان الى «قانون داخلي». وعلى هذا، كانت كلمات سر «الحركة الانسانية» تتمثل في : **الترتيب، التقيد، النظام.**

وقد كانت حركة القرن العشرين النقدية - التي ربطت نفسها بالوضع الفلسفي - أمريكية في أصلها. فقد كان بول المرمور يكتب منذ عام ١٩٠٤ عندما ظهر - لأول مرة - كتابه «مقالات شلبرن - SHELBERNE ESSAYS».

كما اتخذ **ارفنج بابت** خطاً موازياً بكتابه (الأدب والكلية الامريكية LITERATURE AND AMERICAN COLLEGE) الذي صدر عام ١٩٠٨. وفي بداية الامر، كان عدد الشهود قليلاً

جداً. بل لقد كان عدد المتعاطفين أقل من واحد. أما الهجوم المتزايد على الماضي فقد تضمن - بالطبع - هجوماً على المدافعين عنه. من أمثال: بابت ومور. فقد كان من الصعب عليهم ان يشقوا طريقهم في عصر يتشكك في القيم التقليدية، ويحفل بتجارب التعبير الذاتي في الفنون. وباختصار. لقد احتجبت أنوارهم - لفترة ما - بسبب التجريبيين. والساعين الى فضح الزيف والادعاءات الكاذبة. لقد كان العصر عصرهم. ولكن في عشرينات القرن. أخذ أنصار هذه الحركة يحظون باهتمام واحترام متزايدين. وانضم اليهم عدد من الكتاب من أمثال: (نورمان فورستر)، و(هاري هايدن كلارك)، و(ج.ر. اليوت)، و(روبرت شافر)، و(فرانك جويت ماذر)، و(جورهام منسون)، ولفترة ما (ستيوارت شيرمان برات). وكان هذا كافياً لتكوين «مدرسة» عنوانها: «**الانسانية الجديدة** - NEO-HUMANIST» وأصبح هذا العنوان جارياً كمصطلح يصف اتجاههم في النقد الأدبي.

ومن الناحية التطبيقية، مال أصحاب هذه المدرسة الى معارضة اتجاهين أدبيين، أولها: الاتجاه الطبيعي ونظرته المتضعة الى الانسان، وانكار ارادته الحرة ومسئوليته، وثانيهما: الاتجاه الرومنسي ورعايته الزائدة للأنا، وتعاطفه مع التعبير المنطلق بعض الشيء. الا أن هذين الاتجاهين كانا يشملان - بالطبع - كثيراً من الأعمال الأدبية المعاصرة، لذا بدا الانسانيون الجدد لبعض الخصوم المناوئين ارتداديين من حيث الذوق، بينما أدى حسهم الأخلاقي القوي الى اتهامهم بأرثوذكسية أخلاقية مفرطة. ومن ثم، أخذ كثير من هؤلاء «الانسانيين الجدد» يناضلون - بصفة أساسية - من أجل توحيد الأخلاقيات الجادة على أساس من الفهم العميق الرصين لطبيعة الانسان، بالاضافة الى حساسية جمالية.

وفي أوائل الثلاثينات، حدث شيء مشابه لهدف الحركة الانسانية، وهو أن المدخلين النقديين الجديدين (النقد الداخلي، والنقد الاجتماعي الذي غالباً ما يقدم نوعاً خاصاً من المعتقد الأخلاقي الجامد) جذبا كثيراً من النقاد الأقل سناً. وبموت بابت عام **١٩٣٣**، ومور عام **١٩٣٧**، اختفى من الصفوف الأمامية أقوى مدافعين عن الحركة الانسانية الجديدة. ولكن من الممكن - من وجهة نظرنا الآن - أن ندرك بأن الحركة الانسانية لم تمت، وانما كانت تقاسي ميلاداً جديداً، ولكن مع بعض التحول الى «**انسانية دينية**».

ولقد صرح **ت.اي. هيولم** T. E. HULME - في بواكير هذا القرن - بأن هناك فاصلاً بين وضعه كناقد ووضع الانسانيين الجدد، مع أنه كان مثلهم يعارض بشدة طراوة الرومنسية واضطرابها. ووصل الفارق الى هذا: أيعترف الناقد الأخلاقي، أم لا يعترف بقداسة القوى الفوقطبيعية في سبيل المعايير الأخلاقية التي يواجه بها الفنون؟؟ ولم يحسم الانسانيون الجدد بأنفسهم هذه المسألة: فقد ارتبط بول المرمور بالدين التقليدي، وأعلن ج.ر. اليوت - في حسم - ضرورة التحالف بين الدين والأخلاق، بينما اتبع العدد الأكبر قيادة بابت. وفي سنتي **١٩٢٧** و **١٩٢٩** انتقد **ت.س. اليوت** بشدة كلا من بابت وفورستر لهذا الضعف الرئيسي كما رآه: لأن الأخلاق التي لا اثبات ولا تبرير لها خارج ذاتها، لا يمكن أن تفرض اعتقاداً معقولاً.

وفي النهاية، نتج عن هذا الاضطراب القائم بين تلك الجماعة دمج مبررات المعتقد الديني مع المعايير الأخلاقية المزكاة. ولهذا، عندما ماتت الحركة في شكلها الأول، عاشت القيم - وما زالت تعيش بصفة أساسية - بتحالفها مع الدين. ومفهوم مصطلح «**الانسانية المسيحية**» - مثلاً - يمكن تطبيقه بحق على ت.س. اليوت، ويتقبله - بصراحة - عدد من الباحثين والنقاد، من أمثال: **ادموند فولر، وهيات واجونر**، كما تفصح آراؤهم النقدية الأساسية عن ذلك.

ان المدخل الأخلاقي للأدب شيء أساسي جداً للمصالح الانسانية كي تعيش فقط داخل حدود الجماعة. ويعد **ف.ر. ليفز** من بين النقاد الانجليز، ويفور ونترز من بين النقاد الأمريكيين المعبرين عن الاهتمام التقليدي بأهداف الأدب التقليدية، مع أن نشاطات كل منهما النقدية متنوعة جداً الى الدرجة التي لا تسمح لمصطلح «الانسانية» بأن يفي بتعريف مدخليهما. فونترز - مثلا - يوصف بأنه يمارس «نفس الدفاع العنيد عن الفضائل الكلاسية، ونفس استنكار الفردية الأنانية، ونفس التأكيد على القيم الأخلاقية التي ينبغي على الأدب أن يتمثل بها، ونفس الالتحام بنظام السلطة المطلقة». ففي مقالته «الدين والأدب» يعلن ت.س. اليوت حكماً انشقاقياً هاماً: «ان «عظمة» الأدب لا يمكن أن تتحدد بالمعايير الأدبية وحدها، مع أنه يجب أن نتذكر بأن الأدب يمكن أن يتحدد أولاً يتحدد بالمعايير الأدبية وحدها». هذا التمييز يجعل من الممكن للبعض - مثل ألان تيست، وجون كرو رانسوم، ممن لهم اهتمام أخلاقي في «عظمة» الأدب - أن يركزوا في شروحهم النقدية على «المعايير الأدبية وحدها».

المدخل النفسي

في غضون السنوات الأولى من العقد الثاني لقرننا الحالي،

تعريفات بمداخل النقد الأدبي

كان معظم الكتاب على معرفة بأفكار سيجموند فرويد. ايه.ايه. برل A. A. BRILL ترجم الى اللغة الانجليزية كتاب «ثلاثة اسهامات في نظرية الجنس» عام ١٩١٠، ثم كتاب «تفسير الأحلام» عام ١٩١٢. كما نشر دكتور ارنست جونس ERNEST JONES في وقت مبكر، أي سنة ١٩١٠ – محاولته الأولى في تفسير «هاملت» من وجهة نظر فرويدية. ولقد أولى الكتاب هذه الأعمال اهتماماً خاصاً، لأنها بدت كما لو أنها تقدم مفتاحاً – بل المفتاح – الذي يفسر خطوات العملية الفنية، وأهداف الفنانين اللاشعورية، ودوافع الشخصيات الوليدة الخيال.

ولقد أمكن – بسهولة – تفسير أسباب انجذاب الكتاب المبدعين نحو النظرية الفرويدية. فالمذهب الطبيعي الأدبي (وخاصة المذهب الفرنسي) قدم صورة الانسان كضحية للبيئة والعوامل البيولوجية. وجاءت أفكار فرويد لتؤكد هذه الملاحظات، وتقدم في سبيل ذلك إصطلاحات علمية، يمكن أن تفسر عبودية الانسان لدوافعه البيولوجية الأولية، أو لمكبوتاته التي يفرضها عليه المجتمع. ان الحكم الفرويدي – الذي يقول بأن الانسان مريض، قبل أن يكون شريراً – يتفق تماماً مع المذهب الطبيعي الذي يرفض أن يدين كائناً لم يكن مسؤولاً.

كما اتضح أن علم النفس يبارك الباعث الرومنسي تجاه التعبير التلقائي، كما يبارك استغلال الجوانب المنحرفة في الانسان. ومعظم «جنون» الرمزيين الفرنسيين، والتجريبيين الذين تبعوهم، يمكن اعتباره الآن منهجاً للاوعي.

ولقد أعانت النظريات الفرويدية، والمصطلحات الجديدة، كتاب كل من المذهبين الرومنسي والواقعي، بل وشجعتهم على أن يغوصوا الى مدى أعمق في تصويرهم للوضع الانساني. وبمرور الوقت، قوي تأثير علم النفس في الأدب الابداعي باضافات **ادلر** وخاصة مفهومه **لعقدة النقص**، ونظرية **يونج** المتعلقة **باللاوعي الجماعي**. ومع هذا، فان أبعد التأثيرات تبكيراً كانت لفرويد. ولقد ظهرت هذه التأثيرات في أعمال **لورانس ومان، وشروود اندرسون**، وغيرهم ممن درسهم **اف.جيه. هوفمان** في كتابه «الفرويدية، والعقلية الأدبية»، الذي نشر عام ١٩٤٥. كما يمكن أن يلاحظ المرء – دون صعوبة – الدور الذي لعبه علم النفس في كتابات كل من: **ماى سنكلير، وجويس، وكاثرين مانسفيلد، وجراهام جرين، وديلان توماس**.

وكان من الحتمي أن يلتفت النقاد – فضلاً عن الكتاب المبدعين – الى ميدان المعرفة الجديدة للاستفادة والاستنارة. ويبدو أن النتائج الأولى تجلت في تجنيد «العلم» الجديد لاعلان الحرب على الماضي، وخاصة على ثقافة المتطهرين في أمريكا، والثقافة الفيكتورية في انجلترا. وكانت قيم كل تراث من هذين التراثين – الموقوفة على أنواع من «الجدية السامية» – عرضة – بنوع خاص – لهجوم السلاح الجديد وتجريحه. فمقالة راندولف بورن (وصية المتطهر الى القوة) تمثل إحدى المحاولات التي بذلت لتحطيم هذه القيم التقليدية بمساعدة علم النفس. تلك القيم التي اهتم «الانسانيون الجدد» بانقاذ سفينتها من الغرق.

ولقد ازدهرت حركة استخدام علم النفس في النقد الأدبي بكتاب كونراد ايكن «الشكوك»: ملاحظات حول الشعر المعاصر «الذي ظهر هام ١٩١٩. وبالرغم من ميل **ماكس ايستمان، وفلويد ديل** – محرري مجلة «**الجماهير**» – الى التأكيد على القيم الاجتماعية، الا أنهما ساعدا – بالتأكيد – على تعميم المدخل النفسي. كما أخذ روبرت جريفز في انجلترا يكتب من وجهة النظر الجديدة – مع أنها تبدو أكثر ذاتية – متأثرا في ذلك بنظرية رفرز القائلة بتصارع النزعات اللا شعورية. هذا، وقد دعا هربرت ريد الى استخدام ميدان المعرفة الجديدة في النقد، وذلك في تابه «الفكر والرومنسية» الصادر عام ١٩٢٦.

الا أن كثيرا من النقاد – في غمرة حماسهم المفرط – استخدموا أدوات علم النفس استخداماً يفتقر الى الحكمة والتعقل. فقد كانت معرفة بعضهم بعلم النفس معرفة سطحية، فطبقوها بلا تمييز في البحث وراء العمل الفني عن معنى أو دافع جنسي. ولا شك أن هذا النوع من الزلل نتيجة حتمية لمثل هذه الجرعة المسكرة. وفي الوقت الذي وصل فيه النقاد الى تحميل أنفسهم مسؤولية أكبر عن النظرية النفسية مع استخدام شئ من التروي والتبصر، وفي الوقت الذي أخذ يزداد فيه كبح الغلو، بدأ الضوء الذي طرحه علم النفس على الأدب يبدو شيئاً أكثر قيمة وقدراً.

وعلى العموم، فان تطبيق المعرفة النفسية على الفن يمكن أن يؤدي الى ثلاثة أنواع من الايضاحات:

١ ان الميدان الجديد – كما صوره آي.ايه. ريتشاردز – يمدنا بلغة أكثر دقة فيما يتعلق بمناقشة خطوات الابداع الفني. في

كتابه «مبادئ النقد الادبي» (١٩٢٤)، حلل ريتشاردز مكونات التجربة الجمالية، متبعاً – في ذلك – التعريف الذي وضع أساسه في وقت مبكر، مع شريكيه أوجدين OGDEN و وود WOOD ، والذي يقول، **بأن الجمال «هو ما يفضي الى معادلة من الانسجام المتزامن». أي، الى احداث نوع من الاستجابة المتناغمة (الهارمونية) في نفوس المشاهدين، بسبب مثيرات العمل الفني**. ومع أن نقاداً كثيرين اشتجروا في خلافات حول هذا الجزء من عمله أو ذاك، فلا تكاد تجد ناقداً، منذ ريتشاردز، لا تعترف دراساته بشيء من المديونية لملاحظاته الصائبة. واستخدام هذا النوع من تحليل ريتشاردز يتجلى في مقالة **كينيث بيرك** «أنطوني في صالح المسرحية»، والتي يدرس فيها هذا الكاتب – في ألمعية وذكاء – العلاقات اللاشعورية القائمة بين الكاتب والقارئ.

٢ أما التطبيق الثاني لعلم النفس فيتمثل – كما أوضح ادموند ولسون في السيرة الأدبية، أي في دراسة سير المؤلفين كوسائل لفهم أعمالهم الفنية. وعلى هذا، ساعد علم النفس كتاب السير على تأمل الجوانب «الداخلية» لحياة الشخصية المدروسة. والنقد الذي يستعين بهذا المدخل يفترض أن جزءاً هاماً من العلاقة بين الفنان والفن، أشبه بالعلاقة بين المريض والحلم. فهو يفترض كما رأى هـ. لورانس **أن الكاتب «يسكب مرضه» في كتبه. والناقد – عندئذ – يبدو محللاً يتخذ الفن كالعرض المرضي، ويستطيع بتعليله وتفسيره أن يكتشف مكبوتات الفنان اللاشعورية ودوافعه. ويمكن أن تؤدي هذه الاكتشافات بدورها الى فهم العمل الفني، بل الى تفسيره نفسه**. ومقالات «**ولسون**» التي ضمنها كتابه «**الجرح والقوس**» تمثل كيفية استخدام هذا المدخل بالطريقة التي تؤدي بنا – في فعالية – لا الى فهم مشكلات المؤلفين الشخصية فحسب، ولكن الى تحديد نماذج كتاباتهم أيضاً.

٣ كما يمكن أن يفسر علم النفس الشخصيات الوليدة الخيال. ففي كتابه «علم النفس والأدب» (١٩٥١) يقدم اف.ال. لوكاس أمثلة عديدة من الحياة، يوضح بها أفعال وردود أفعال الشخصيات والتي قد تكون محيرة أو لا معقولة. ان الناقد الذي يهتم بذلك يصبح – مرة أخرى – محللاً نفسياً، يبحث عن النماذج اللاواعية التي تحرك الشخصية. والمثال الكلاسي – بالطبع – نجده في دراسة ارنست جونس لشخصية «**هاملت**»، تلك الدراسة التي تعتبر توسيعاً لنظريته التي خططها عام ١٩١٠. فالدكتور جونس يقدم اجابة على التساؤل المحير الذي دار حول سبب تأخر هاملت في الانتقام لأبيه، تلك الاجابة التي كان من المحتمل ألا تفهم، والتي لم يكن من السهل التعبير عنها، قبل تطوير علم النفس. وتأثير مثل هذا المدخل الى الأدب – والذي يمكن به تفسير الفن – نلمسه بصفة غالبة وملحوظة في دراسات هنري جيمس النفسية العديدة، والتي استهلها بمقالته EDNA KENTON سنة ١٩٢٤.

أما الهجمات التي سددت الى المدخل النفسي فهي نوعان .. يتمثل **أولهما**: في تهمة التبسيط الشديد، كما حدث على النحو المبكر، حين كانت الأدوات النفسية جديدة، وكانت استعدادات المشتغلين بها غير نقدية. ولقد تعرض كتاب فان ويك بروكس «محنة مارك توين» (١٩٢٠)، وكتاب لويسون «التعبير في أمريكا» (١٩٣٢) الى هجوم شديد مبني على هذا الأساس. مع أن هذين الكتابين – بالرغم من التهمة الموجهة اليهما – يقدمان ملاحظات قيمة وهامة. أما **النوع الثاني** من الهجوم فهو أكثر اصابة لقلب المشكلة، ويتمثل في القول بأن الفن مختلف في قيمته عن الحلم من حيث أن الفنان – الى حد بعيد، أو على الأقل الى حد ما – يسيطر على انتاجه، أما الحالم فلا سيطرة له على حلمه. فالحلم يمكن أن يكون افشاء اجبارياً، أما الفن فهو تعبير مركب. ولقد اكتشف ليونيل ترلنج وكينيث بيرك – في مهارة وذكاء – هذا النوع من التمييز، بالاضافة الى أمور أخرى مرتبطة بذلك في عدد من المقالات، كانت تهدف الى التعريف بمجالات علم النفس وحدوده، عند كل من الكاتب والناقد.

ملحوظة أخيرة: هناك فرع واحد من النقد النفسي يتعامل مع اللاشعور – لا اللاشعور الكاتب كفرد أو اللاشعور الشخصية – ولكن مع اللاشعور العرقية (الجنس) RACE أو الثقافة. ويبدو أن هذا المدخل يستحق اهتماماً خاصاً، لأنه يرتبط بميدان آخر من المعرفة هو: علم الانسان الاجتماعي (**الأنثروبولوجيا الاجتماعية**) SOCIAL ANTHROPOLOGY ولهذا فأحسن عنوان يمكن ان يندرج تحته هو «مدخل النمط الأصلي» (الاسطوري) ARCHETYPAL.

المدخل الجمالي

لا جدال في أن أعظم المناهج النقدية تأثيراً في عصرنا الحالي هو المنهج الشكلي FORMALISTIC . فهيمنته على حماس غالبية نقادنا القياديين وتأسيسه لمجلات – غير رسمية – تنطق بلسانه (مثل: كينون ريفيو KENYNON REVIEW ، وسوانيه ريفيو SEWANNEE REVIEW واكسنت ACCENT ، وهدسون ريفيو HUDSON REVIEW انما يدل في الحقيقة على أنه المنهج الذي

تعريفات بمداخل النقد الأدبي

يغلب على المرء التفكير فيه تفكيراً آلياً حين يتكلم عن النقد المعاصر.

وهناك سبب ما يحملنا على تتبع بذوره في رأى كولريدج. وهو أن العمل الأدبي يعيش في طريقه الخاص به، وبنوعية حياته الخاصة. ومفهومه عن الوحدة العضوية بأن «الكل» عبارة عن اشتمال متناسق لكل الأجزاء ينادي – بالضرورة – بمدخل نقدي يعنى بفعالية العناصر المختلفة، وهي تعمل مع بعضها لتشكل معنى اجمالياً متوحداً. وفيما يتصل بهذا، يمكن أن نضع في ماضي الحركة الجديدة مبدأ **ادجار ألن بو** القائل بوحدة تأثير العمل الأدبي. مع أن تأثير بو المباشر على النقاد المعاصرين يبدو محدوداً. كما أن اهتمام **هنري جيمس** الدقيق بأمور حرفيته الخاصة – والذي يتضح في مقدماته العديدة – ربما ساعد في توجيه كل من اليوت وبلاكمير.

ان **ت.س. اليوت** يعد شخصية أساسية في تطور النقد الشكلي. فقد أعلن – تحت تأثير **باوند وهيولم** – عن مكانة الفن الرفيعة كفن، لا كتعبير عن أفكار اجتماعية، أو اية افكار أخرى.

ودافع عن دراسة نصوص الأعمال الأدبية ذاتها دراسة دقيقة. وفي العديد من مقالاته، قام بتطبيق وجهة نظره في الشعر كعمل حي مستقل، ووجه اهتمامه – طبقاً لكلمات بلاكمير – الى «الحقائق الموجودة في العمل الأدبي، على اعتبار أنها وثيقة الصلة بالأدب كما هو في حد ذاته». وقد أعلن خلاصة رأيه في مقالته «**التراث والموهبة الفردية**» وهو **أن الشاعر يهرب من الانفعال والهوية الشخصية الى القصيدة التي يضعها**، مما شجع النقاد على أن ينأوا بعيداً عن دراسة السيرة الذاتية الى مداومة النظر في حرفية القصيدة. والخلاصة، أنه كان مهتماً بصياغة نوع من النقد المتحرر من مطاردة التفسيرات الخارجية التي تقدمها المعارف التاريخية، والأخلاقية، والنفسية، والاجتماعية، وانما يكون حراً في التركيز على قيمة العمل الجمالية.

وهناك تأثير آخر على هذا النقد ولكنه أقل في مباشرته، وهو أن شعر اليوت وباوند (وشعر اتباعهما العديدين) تطلب – بتقنياته المعقدة والمتطورة عن شعر الرمزيين الانجليز في القرن التاسع عشر، وشعر الميتافيزقيين الانجليز في القرن السابع عشر – دراسات تفحصته بدقة، كما أتاح الفرصة لشحذ الأدوات النقدية وصقلها.

أما المرشد الثاني – بعد اليوت – فهو آي.ايه. ريتشاردز. فبالاضافة الى كتابه «**مبادئ النقد الأدبي**» (١٩٢٤) – الذي حلل فيه علاقة الشعر بالقارئ مما أعطى المدخل النفسي حافزاً والى جانب اسهامه مع أوجدين في كتاب «**معنى المعنى**» (١٩٢٣) – قدم معجماً لدراسة وتحليل أنواع المعاني التي تحدث كاستجابة للمثيرات اللفظية. كما أرسى – ريتشاردز – في النقد الأدبي دعائم **المدخل الذي يهتم بدلالة الألفاظ وتطورها**. وفي كتابه «**علم الشعر**» (١٩٢٦) درس مكانة الشعر التي هوت في عصرنا، في الوقت الذي ثبت فيه أن معظم المعتقدات – من وجهة نظر ريتشاردز – «بيانات زائفة». ومع أنه تخلى – فيما بعد – عن هذا التقييم، الا أن للكتاب – كما هو واضح – مكانته في البحوث المتزايدة عن محاسن الشعر الداخلية. وفي كتابه «**النقد التطبيقي**» (١٩٢٩) صنف وحلل سوء تفسير ثلاث عشرة قطعة شعرية معينة، عارض معظم أنواعها – فيما بعد – أنصار النقد من الداخل. وفي كل هذه الأمور، أفسح ريتشاردز المجال كي يشغله – فيما بعد – النقاد الجدد، ولكن من المحتمل أن يتمثل اسهامه الرئيسي في تمحيصه للمعنى الذي أدى – من جهة – الى الاهتمام بدلالة الألفاظ وتطورها، وعلم الرموز ورمزية التفسير، وأدى – من جهة أخرى – الى شرح القصائد شرحاً واضحاً، كما صورتها – على سبيل المثال – أعمال امبسون وبلاكمير.

والى جانب اسهامات اليوت وريتشاردز الهامة، ما زال هناك عامل شارك في تطوير النقد الشكلي، وهو رد الفعل ضد تأكيد الفيكتوريين والانسانيين الجدد على استخدام الأدب استخداماً أخلاقياً، وضد الاهتمام الأكاديمي بميراث المؤلف التاريخي، والسيري، وكذلك ضد رغبة التأثريين في أن يجعلوا من كل تجربة أدبية «أوديسة» عن شخصية الناقد.

وعلى أية حال، فان مناخ الثلاثينات كان ناضجاً لمثل هذا المدخل الذي بدأ النقاد الشكليون – عصر ذاك – يمارسونه.

ومع ان هناك فروقاً كبيرة بين هؤلاء النقاد الجدد، فان خير وسيلة للتعريف بهم، هي أفكارهم العامة، ومواقفهم، وأعمالهم التطبيقية. فأول كل شيء، **اعتبروا الشعر مصدراً صحيحاً للمعرفة التي لا يمكن ايصالها للغير بأية وسيلة الا بوسيلتها الخاصة بها**. ولقد أدى بهم هذا المبدأ الى أن يتجنبوا كل الأمور المتعلقة

بالأحوال الشخصية أو الاجتماعية التي تكمن خلف العمل الأدبي، وكذلك التضمينات الأخلاقية ونحوها. طالما كانت وسائل «خارجية»، تمس فهم الشعر، والتركيز على بناء كل قصيدة، أو على عناصر هذا البناء كما هي مرتبطة بالتجربة الشعرية كعمل كلي. ان روبرت بن وارن يضع هذا المفهوم على النحو التالي: «**ان الشعر لا تنفطر طبيعته بأي عنصر معين، وانما يعتمد على مجموعة من العلاقات، أي البناء، الذي ندعوه بالقصيدة**». **وعلى هذا، فالناقد يتفحص هذه العناصر في علاقاتها المتداخلة مع بعضها، مفترضاً أن المعنى يتألف من مواد الشكل (الوزن، الصورة، اللغة ... الخ) ومواد المضمون (اللهجة، القيمة، ... الخ) والتي لا يعمل كل منها على حدة، ولكنها تعمل كلها مع بعضها**. ان قراءة النص قراءة متفحصة دقيقة أمر معروف من قبل لأي قارئ محلل، ولكنه أصبح يبدو وكأنه شارة النقد «الحديث». وكتاب «فهم الشعر» (١٩٣٨) — الذي وضعه بروكس مع وارين يعد المركز الرئيسي لهذا النقد وتطبيقاته الخاصة. ومع أن الكثيرين من النقاد الداخليين قد يختلفون حول رأي واحد منهم أو أكثر، الا أن مقدمة هذا الكتاب قد جمعت — بشكل فعال وواضح — كل العناصر الضرورية للمدخل الشكلي.

ولأن حركة النقد الشكلي كانت نشطة وقوية، كان ولابد وأن تتعرض للهجوم، وكان لابد وأن يكشف بعض هذا الهجوم — بحق — عما فيها من قصور أو عجز. وكان كازن من أكبر المعارضين لها، فقد تأسف لتكتيكاتهم المتحزبة، وميلهم الى تكوين مجموعة من المصطلحات التي تقرب من الرطانة والجعجعة، وعلى هذا استبعد الذين لم يكونوا أعضاء مؤسسين في الجماعة. ولربما أضفنا الى ذلك أن قاموسهم الخاص قد سمح للبعض — ممن كان خيالهم محدوداً، أو ذوقهم فجاً — ان يركبوا الموجة. كما عارض آر.اس. كرين تقعيد بروكس لـ«التناقض» (أورانسوم لـ«النسيج»، أو تيت لـ«التوتر»، أو امبسون لـ«المبهمات») كأساس وحيد للشعر. وفي نفس الاتجاه وجه ال.اس. نايتس — و —اف.آر. ليفز الى امبسون وريتشاردز تهمة عزل جزء واحد من العمل الأدبي للفحص والدراسة، بينما نسيا القصيدة كعمل كلي. بل ان جون كرورانسوم — عميد الجماعة — عارض — في غضون تعليقه على كتاب بروكس «الآنية المتقنة الصنع» — استخدام التحليل الى درجة متطرفة أضاعت الاحساس بالكل خلال دراسة الجزء. كما أن آر.بي. بلاكمير — وهو عضو في الجماعة — كتب يقول بأن المنهج يعالج — بصفة اساسية — «تقنية الشعر المنفذة فعلا (بل جزءاً واحداً فقط من ذلك)، أو تعالج «**التقنيات اللفظية للغة**»، وهذا أكثر صلاحية لمدرسة **ييتس** **واليوت** في الشعر الحديث، ولكنها أقل صلاحية بالنسبة للأنواع الشعرية الأخرى. وفي النهاية، تبقى تهمة اهمال قيم الأدب بالنسبة للانسان كشيئ أكثر من كونه جمالياً — لصالح تحليل الشكل. والى حد ما، واجه ت.اس. اليوت هذا النقد القاسي بالجزم بأن المدخل الداخلي يستطيع أن يؤسس قيمة العمل الأدبية، ولكن هناك مناهج ضرورية أخرى تحدد عظمته. ومنذ أن تحول اليوت الى الديانة الكاثوليكية وهو مهتم بوجوه الفن الشكلية حين يكتب عن أعمال أدبية معينة كتابة متفحصة، كما هو مهتم بقيم الفن الفلسفية في مقالاته الأكثر عمومية.

وذكر معارضة كرين يدفعنا الى الاهتمام — بعض الشيئ — بالخلاف الناشب بين **الشكليين** وأنصار مدرسة «**شيكاجو**». وطبيعة الجدل المشتجر بين الفريقين — من الناحية العامة — توحي بأنهما عدوان لدودان، بينما الأمر — من الناحية العملية — لا يعدو أن يكون عراكاً داخل أسرة واحدة. فكلاهما مهتم أساسياً بتحليل العمل الفني تحليلاً «داخلياً»، مع رفض المسائل الاجتماعية، والأخلاقية، والفلسفية، والشخصية على أساس أنها أمور غير وثيقة الصلة بالموضوع. كما أن كليهما يصر على دراسة النص دراسة متفحصة، الا أن الناقد في مدرسة شيكاجو يتذرع بحجة قوية في سبيل قاعدة جمالية — أرسطية الطابع الى حد ما — كي يفرق بين الأجناس الأدبية، وكي يستنتج — طبقاً لهذا — أصول كل نوع معين. ويصف كرين المنهج على أساس **أن الناقد** «**ينشد تقييم ما قام به كاتب معين في عمل محدد متعلق بطبيعة ومتطلبات المهمة المعينة التي هيأ نفسه لها، أي الهدف المفترض أنه وضع العمل في تمام كماله ككل فني من جنس معين كان قد قرر أن يكون كذلك**».

وانطلاقاً من وجهة النظر هذه، يقوم الناقد الشكلي بدراسة القصيدة كلها دونما اعتبار صحيح للأجناس التي تعتبر هذه القصيدة مثالاً لواحد منها، ومن ثم يفشل في التمييز بين الأجناس الرئيسية (**كالدراما، والرواية، والشعر الغنائي، والملحمي**) أو بين الأجناس الثانوية (كنوع من **التراجيديا** — ولنفترضه **الايمائي** — كما يتعارض مع نوع تراجيدي آخر ولنفترضه **التعليمي**).

وهناك نقطة خلاف أخرى تتمثل في أن الناقد من مدرسة شيكاجو يتهم الناقد الداخلي بالرأي الوحداني، فهو — أي أولهما — مستعد للترحيب بوجوه العمل الأدبي الاجتماعية، والأخلاقية، والتاريخية على أساس أنها قيمة تساعد في التعرف على الدلالة الفوق جمالية للتجربة، ولكن كل ذلك بعد تحليل الأجزاء، ومعرفة مدى صلاحياتها طبقاً لقواعد الأجناس الأدبية.

ويقف دبلو.كيه، ويسمات (الصغير) W. K. WISMAT

تعريفات بمداخل النقد الأدبي

موقف المدافع، ويقوم بتفنيد قيمة التعامل مع الأنواع، والأجناس الأساسية والثانوية. فهذه التصنيفات جامدة جداً، وتميل الى تعمية الناقد عن عناصر تعمل فعلاً في العمل الأدبي، بينما تلك الأجناس لا تتطلب مثل هذه العناصر. كما اتهم «**الأرسطيين الجدد**» بالخروج عن القصيدة، لا الى التاريخ، أو علم النفس، أو الأخلاق، وانما الى نظرية «**النوع**» التي يحكم بها على شاهد أو مثال خاص. وهذا يقود الى مغالطة تقييم عمل ما طبقاً لهدف الكاتب وقصده.

إن كلا الطرفين متفان تفانياً جاداً في حل مشاكل النقد، ولكنه يتبادل مع الطرف الآخر تهم التعصب وضيق الأفق. الا أن الخلاف بينهما - تقريباً - ليس كالخلافات الحادة القائمة بينهما وبين النقاد المنتمين الى مدارس أخرى. ويمكننا أن نلمس درجة القرابة والصلة حين نترك عرض النظرية الى العمل التطبيقي، ولنقارن - على سبيل المثال - مقالة «**الابحار الى بيزنطة**» لالدر أولسون ELDER OLSON (من نقاد شيكاجو) بمقالة «**بين أطفال المدارس**» التي نشرها بروكس (من النقاد الشكليين) في كتابة «**الآنية المتقنة الصنع**».

من المحتمل ألا نجد مدخلاً نقدياً يفتخر بكثرة ممارسيه المتألقين كالمدخل الشكلي. ويعتبر امبسون، وبلاكمير، وتيت، ورانسوم، وكلينث بروكس، وروبرت بن وارين أوسع الجميع شهرة. ولاشك أن هناك كثيرين آخرين ممن أسهموا بمقالاتهم في المجلات بنفس قوة هؤلاء المشهورين وتبصرهم.

المدخل الأسطوري

ان المدخل النقدي الذي أخذ يكتسب اهتماماً كبيراً في وقتنا الحاضر هو المدخل النمطي الأصلي ARCHETYPAL، ويسمى في بعض الأحيان بالمدخل **الطوطمي**، أو **الأسطوري**، أو **الطقوسي**. ويحتل هذا المدخل مركزاً غريباً بين المناهج الأخرى: فهو - كالمنهج الشكلي - يتطلب قراءة متفحصة للنص، وعلى هذا يهتم - انسانياً - **بما هو أبعد من الاكتفاء بالقيمة الداخلية الجمالية في النص. كما أنه يبدو نفسياً بمقدار ما يحلل مدى اجتذاب العمل الفني لمستهلكيه (وبهذا يعد - الى حد ما - امتداداً لدراسات ريتشاردز للعلاقة بين الشاعر والقصيدة وقارئها).**

وهو اجتماعي بمقدار اعتماده على الصيغ PATTERNS الثقافية الرئيسية كأساس للاجتذاب. وهو تاريخي لأنه يتفحص في الماضي الثقافي أو الاجتماعي، ولكنه ليس تاريخياً حين يؤكد على قيمة الأدب اللازمانية أي المستقلة عن عصور معينة.

ولتجنب التعقيد أكثر من ذلك، يستطيع المرء أن يصور هذا المنهج كبرهان على أن بعض الصيغ الثقافية الأساسية - في عمل فني معين - ذات معنى عظيم، وقدرة على اجتذاب الانسانية. **ومن طبيعة هذا المدخل أن يعكس الاهتمام الشديد المعاصر بالأسطورة، وتأثير شخصيتين كانت لأعمالها أهمية عظمى بالنسبة لنا، هما: فريزر و يونج.**

ولاشك أن العمل الرئيسي **للسير جيمس جورج فريزر** - عالم الأنثروبولوجي الاسكتلندي - هو كتاب «**الغصن الذهبي**» الذي ظهر في اثني عشر مجلداً ما بين سنتي ١٨٩٠ و ١٩١٥. وتتضمن هذه المجلدات دراسة ضخمة للسحر، وتتبع أساطير عديدة الى بدايات ما قبل التاريخ.

أما تطبيقات هذه المجموعة فهي ممتعة في حد ذاتها، وقيمة لأنها أسست مدخلاً اتبعه النقاد فيما بعد. قيمة واحدة للبحث الأكاديمي لم تصور في أي مكان مثلما أحسن تصويرها هنا. وهي أن لأعمال هؤلاء الكتاب وأعمال من جاء بعدهم تأثيراً مباشراً على الاستخدام الخلاق للأسطورة كما مارسه **جويس** وآخرون.

ان كارل جوستاف يونج - الذي كان يقرن في البداية بفرويد - انفصل عن أعمال أستاذه ومعه مفاهيم عديدة. أما فيما يتعلق بالنقد «النمطي الأصلي» فان أهم ما أسهم به هو نظرية «**الوعي الجماعي**»، ومؤداها **أن الرجل المتحضر قد استبقى - لا شعورياً - مناطق للمعرفة لما قبل تاريخية، والتي عبر عنها بشكل ملتو في الأسطورة.**

ان العاملين اللذين قدمهما فريزر ويونج - واللذين يؤكدان شرعية الأسطورة، وبقاءها في الذاكرة الاجتماعية - اجتذبا اليهما الخيال الخلاق بقوة. أما مكرورة (موتيفة MOTIF) دي.اتش. لورانس «شعور الدم» فقريبة - على نحو واضح - من النظرية القائلة بأن الانسان المهذب العقل، ينبغي أن يستجيب استجابة ايجابية لقوى جنسه البشري التي تستطيع وحدها أن ترشده الى الوسائل الصحيحة «الطبيعية للعيش». ويعترف ت.س. اليوت في هوامش «**الأرض الخراب**» بمديونيته لكتاب

جيس وستون المسمى «**من الطقس الى الرواية**»، كما يعترف بنفس المديونية لعمل مبكر في الأنثروبولوجي ويعده واحداً من الأعمال التي أثرت في جيلنا، وأعني به «الغصن الذهبي». وبالنسبة لاليوت، فقد كانت احدى المهام الرئيسية لهذه الدراسات هو تأسيس صيغ عالمية للانسان حيثما كان زمانه ومكانه، مما ساعد الشاعر على أن يصنع مماثلات وتناقضات لأشخاص ومواقف في الأرض الخراب المعاصرة. ونفس تأثير هذه الميزة، قاد كتاباً آخرين الى الأسطورة، مثل: **روبرت جريفز، وجيمس جويس، وييتس**، وحديثا، **س.اس. لويس**

وكان من الحتمي، أن يغامر نقاد الأدب ويدرسوه على أمل اكتشاف وجود صيغ أسطورية تحتية. أما التحليل الناتج من احساس الناقد، فيأتي «من أن أعمق المعاني – تلك التي تمتد الى ما بعد العمل الأدبي الواحد كي تشمل الجسم الكلي للأعمال الأدبية – يجب البحث عنها في الرموز النمطية الأصلية التي يتجه اليها الكتاب عن قسر».

أما أتباع يونج فقد نظروا الى الأسطورة لا كحلم لشخص واحد مكبوت، وانما كصيغة أولى أصلية للجنس البشري، والتي – طالما يرددها الفرد – لا تنم على مرض، وانما تنم على مشاركة طبيعية في اللاوعي الجماعي. أما الأسطورة في نظر اريتش فروم فهي «رسالة من أنفسنا موجهة الى أنفسنا، أنها لغة سرية تعيننا على أن نعامل الحدث الداخلي كما لو أنه حدث خارجي». وعلى هذا، فان الفنان ليس انساناً عصابياً، وانما هو «صانع أسطورة، يفصح عما في شعوره من حقائق بدائية». وبهذا، **فان النقد النمطي الأصلي يهدف الى اكتشاف وترجمة شفرة اللغة السرية الكامنة في الأعمال الأدبية، فلربما استطاع أن يقدم لنا معنى أكثر تعقيلاً**.

ان دي.اتش. لورانس في كتابه «**دراسات في الأدب الأمريكي الكلاسي**» (١٩٢٣) يقدم – كما يمكن أن يتوقع المرء من اهتمامه الخلاق بالقوى غير المتعلقة للحياة – اتجاهاً يعتبر الشخصيات المخترعة المتنوعة (مثل: ناتي بامبو، وهستر براين) كأنماط أصلية، ويعتبر الحبكات المتنوعة كأنماط أساسية تامة.

وكتاب مود بودكين «**نماذج نمطية أصلية في الشعر**» (١٩٣٤) يعتبر كلاسياً في نوعه. وغالباً ما يعتمد ناقد – مثل – كينيث بيرك في مفهومه لـ«**الفعل الرمزي**» على الأنثروبولوجي الاجتماعي. فالفنان – بالنسبة له – غالباً ما يبدو كـ«مطبب»، وأن «الدواء» الذي يستخدمه هو عمله الفني. وغالباً ما يناقش بيرك – متبعاً في ذلك العلاقة الضمنية القائمة بين الشاعر، والشعر، والقارئ – المحرمات والأحراز التي ضد السحر، والنماذج الطقسية.

ان النقد النمطي الأصلي لا يرجع بالضرورة الى أساطير معينة، وانما من الممكن أن يكتشف صيغاً ثقافية أساسية تتضمن قيمة أسطورية في استمرارية جريانها (أي هذه الصيغ) خلال ثقافة معينة. واني لأفكر في مثل تلك الدراسات التي قام بها ليسلي فيدلر.

أما الذي اكتشفه فيدلر (وبعض النقاد المعادين يقولون اخترعه) فهو صيغة ثقافية أمريكية تتعرض للعلاقة بين الأشخاص، كما تنعكس أحياناً في طقوس الجماعات من الصبيان، وأحياناً أخرى في الطقوس الرمزية اللاشعورية للبالغين. ولقد وجد هذا المنهج مستخدماً في الروايات الأمريكية، مثل: «**مغامرات هكلبري**» و«**موبي ديك**» بنوع خاص، وكذلك في العادات الاجتماعية **لرعاة البقر في مونتانا**. ولقد سببت تحليلاته ازعاجاً لكثيرين.

وعدم الارتياح هذا، يصور الموقف المزدوج للكثيرين من القراء تجاه هذا المدخل. فمن ناحية، نجد تزايداً في عدد النقاد الذين يتحولون الى دراسة الأدب دراسة أنثروبولوجية، ومن ناحية أخرى نجد سخطاً شديداً موجهاً اليه، أي الى المدخل، وغالباً ما تكون النتائج محل سخرية. **أما الاعتراض الرئيسي الموجه الى النقد النمطي الأصلي فهو أنه لا يؤدي الى تقييم الأدب، بقدر ما يفسر سر الانجذاب نحو كتابة معينة**. كما أن هناك تهمة أخرى، وهي أن ممارسي هذا النوع من النقد معروفون ببراعتهم ومهارتهم أكثر من شرعية وصحة ما يجب أن يقولوه. وكان من الطبيعي أن يصل النقد الطوطمي المتحرر من أية سيطرة الى نوع من الهزوء به، حتى راح مالكولم كاولي يمطر كتاب ريتشارد تشيس «هرمان ملفل» وابلاً من التساؤلات، لأن الكتاب مزج «خليطاً من الرموز الفرويدية والرموز المسيحية». ولتقييم هذه المدرسة النقدية – بوجه عام – راح كاولي يقول: «بأن كثيراً من قراءاتها أشبه بجلسات تحضير الأرواح، أو أشبه بضروب السحر الشعبي. فعندما ينغلق الناقد بتعزيمة، ويلوح بعصاه السحرية: أسرع! أسرع! يتحول كل شئ الى شئ آخر».

وسواء تم المدخل الطوطمي على صورة سليمة أو سقيمة، فانه يعكس بوضوح عدم الاقتناع المعاصر بالمفهوم العلمي للانسان ككائن في أقصى درجات التعقل. إن الأدب الأنثروبولوجي يجاهد في أن يعيد إلينا انسانيتنا كلها، انسانية تقيم اعتباراً للعناصر البدائية الموجودة في الطبيعة الانسانية. وعلى النقيض من شطر العقل الانساني عن طريق تأكيد الحرب بين اجراءات الوعي واجراءات اللاوعي، فان الأدب الأنثروبولوجي يعيد تأسيسنا كأعضاء في الجنس البشري العتيق. كما أن النقد النمطي الأصلي يجاهد في الكشف عن حركة هذه العضوية في الأدب.

بين الحصري وابن حزم

بقلم: د. محمد بن سعد الرويشد

يعد طوق الحمامة لابن حزم (٣٨٤ – ٤٥٦ هـ) أسعد كتب التراث العربي بعناية الدارسين والمحققين وان نظرة في فهارس كتاب (المستشرقون: لنجيب العقيقي) مع ما كتب في دوائر المعارف الحديثة في ترجمة ابن حزم، لتوقف القاريء على عشرات الطبعات المحققة من طوق الحمامة، وعلى عشرات الدراسات باقلام كبار المستشرقين من انحاء العالم حتى قيل ان دراسة هذا الكتاب وتحقيقه اصبحت رياضة فكرية لكل باحث [1]

وقد أصبح الحديث في الأدب العربي عن الحب والموضوعية المتخصصة فيه مقترناً بابن حزم في نظر الباحثين.

ولكن الذي لم يلتفت اليه اولئك **ان ابن حزم لم يكن هو المبتكر لموضوعه او المتخصص بهذا الفن فقد سبقه غيره في هذا المجال وبرزوا فيه**، ولعله يتاح لنا في مناسبة ثانية اعطاء فكرة كاملة عن الكتب التي سبقت ابن حزم وتقديم فكرة عنها.

ولكن الذي نحب اثارته في موضوعنا هذا – بعد ان وفقني الله بالعثور على مخطوطة نادرة **لأبي اسحاق الحصري**[2] **القيرواني تحتويها خزانة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة** – هو الأبانة عن وجهة نظر جديدة في الأدب العربي ترتبط بتأثير ابن حزم بابي اسحاق الحصري في كتابه «**المصون في سر الهوى المكنون**».

(١) انظر طوق الحمامة تحقيق الدكتور الطاهر المكي ٣: ١٠ منشورات دار المعارف بمصر.

(٢) الحصري بضم الحاء وسكون الصادر نسبة الى عمل الحصر او بيعها كما حكاه ابن خلكان وفيات الاعيان ١:٣٨

ذلك ان اول من لفت النظر الى المقارنة بين المصون وطوق الحمامة هو «**الشاذلي بويحيى**» عندما أشار الى أن في المصون مشابهة لطوق الحمامة[3].

ولكنني عندما قرأت الكتابين ترددت في كتابة مقارنة بينهما لأنه ثمة فروقاً كثيرة تبعد رائحة الشبهة التي أشار اليها الشاذلي بو يحيى.

كما توجد لقاءات بين الكتابين تكاد تؤكد ان احدهما متأثر بالاخر. وهذا هو ما يهمنا هنا، والذي بموجبه **ارجح ان ابن حزم في كتابه «طوق الحمامة» قد تأثر الى حد كبير بالحصري في كتابه المصون**.. وذلك لسببين رئيسيين:

اولا: وجود مشابهة كثيرة بين الكتابين تدور حول الغرض المشترك بينهما وهو الحب فمن ذلك:

١ ان عنوان كتاب ابن حزم (٣٨٤ – ٤٥٦ هـ) باسم «**طوق الحمامة في الألفة والالاف**» بينما الحصري (٣٦٣ – ٤١٣ هـ) ينص على ان كتابه **المصون**: **حوار بين اليفين** (المصون ورقة ٢ الوجة الأول) فلعل ابن حزم أخذ اخر عنوان كتابه من هذا الحوار بين الاليفين.

٢ أورد الحصري **قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه** (٤٠ ق هـ – ٢٣ هـ) ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك أمر يغلبك ولا تظهر بكلمة خرجت من فم امرئ مسلم شراً وانت تجد لها في الخير محملاً (طوق الحمامة ص ١٩٦ – ١٩٧). وقد ذكر ابن حزم في طوق الحمامة هذه الجملة لعمر يعتذر لنفسه من الكتابة في الحب، والكشف عن خباياه التي لا يعرفها الا من مارسها (المصون ورقة ٦٦ الوجه الثاني).

ومع ان ابن حزم يروي هذه الجملة باسناده دون ان يكون الحصري في هذا الاسناد فانني ارجح ان الحصري لفت نظر ابن حزم الى عبارة عمر هذه فأوردها ابن حزم من مروياته وانما رجحت ذلك لان كلمة عمر رضي الله عنه لا علاقة لها بموضوعات الحب فتطرق الكتابين لا يرادها وهما معاً في موضوع الحب قرينة على استفادة احدهما من الاخر.

٣ قال الحصري في اخر كتابه: وانا استغفر الله من الاشتغال بفضول المقال والأعمال (المصون ورقة ١٢٦ الوجه الثاني) ونجد ابن حزم يطيل في مثل هذا الاستغفار تحرجاً من التأليف في الحب فيقول: «وانا استغفر الله تعالى مما يكتبه الملكان، ويحصيه الرقيبان .. (طوق الحمامة ص١٩٥ – ١٩٧).

(٣) **حوليات الجامعة التونسية العدد الاول ص١٧**.

وهذه الوجوه اذا نظر الى كل واحد منها منفرداً وجد ضعيفاً ولكنها باجتماعها تعطي قرينة قوية على ان أحد الكتابين استفاد من الاخر.

٤ أما الوجه الرابع: فهو أرجح هذه الوجوه ويعتبر قرينة مستقلة بذاتها، وذلك هو الاشتراك في ايراد كلام عن الحب، ثم نظمه شعراً، واليك هذا المثال الذي نجد فيه كثيراً عندهما.

قال الحصري: «لقد تمازج قلبانا، كأنهما تراضعا بدم الاحشاء لا اللبن، وقد يعترض الصادق المصدوق الوامق الموموق عند تقابل الجواهر، والثقة بانها نظائر، اذا اضاءت الانوار بين الأسرار، وأيقنت النفس انها نزلت بشكلها وحلت في محلها ووقعت من قلادة الصفاء في البسطة ومن دائرة الوفاء في النقطة ضرب من الجزع ونوع من الهلع تحول بينه وبين الفرح حتى تقرع باب الترح وقد انشد في ذلك خاطر صدري وهاجس فكري:

اذا قلت انساب الهوى قد تناسبت
لنا فرأينا الشكل للشكل ينزع
ورحنا كأنا لا متزاج قلوبنا
جنا الراح بالماء القراع يشعشع
وابدى الوفاء المحض زهراً من الرضى
غدا وبه روض الوفاء يوشع[٤]

فترى انه تكلم عن امتزاج القلوب، وانعتاق الارواح نثرا، ثم عاد فقرر هذه الحقيقة شعراً..

ونجد ابن حزم أيضا يذكر نثرا: «من علامات الحب ادمان النظر والاقبال بالحديث والاسراع بالبر نحو المكان الذي يكون فيه الحبيب» ثم يقول: وفي ذلك أقول شعرا:

واذا قمت عنك لم أمش الا
مشي عانٍ يقاد نحو الفناء
في مجيئي اليك احتث كالبدر
اذا كان قاطعاً للسماء
وقيامي ان قمت كالانجم العالية
الثابتات في الابطاء[٥]

(٤) **المصون ورقه ٢٦ بوجهيها وشبيه بذلك ورقة ٤. ٥**

(٥) **طوق الحمامة ص٢٧ هذا كأنموذج والا فجميع الكتاب يسير على هذا النحو في باب من ابوابه.**

بين الحصري وابن حزم

فوجه الاشتراك بين الكتابين هنا أمران احدهما (**حل المنظوم**) وثانيهما (**تكلف النظم لمناسبة النثر**) الذي يوردانه.

وقد يقال ان ابن حزم في طوق الحمامة لا يتكلف المناسبة الشعرية ولم يقصد هذا المذهب البديعي «حل المنظوم» الذي كلف به الحصري حتى تصح المشابهة بينهما وانما كان ابن حزم قد قال شعرا سابقا فلما تناسب حديثه عن بعض مسائل الحب مع هذا الشعر أورده للمناسبة.

وأقول هذا صحيح بالنسبة لمعظم نماذج طوق الحمامة ولكنك اذا تصفحت الكتاب تجد نماذج تجزم بانه تكلفها للمناسبة. واوردها على منهج نظم المحلول. وان لم يصرح بذلك[٦].

٥ ذكر الحصري اخبار العشاق من الزهاد والعباد والفقهاء من أمثال **ابي السائب المخزومي وعروة بن اذينة** (نحو ١٣٠ هـ) **وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن سعود** (٩٨ هـ) **من الفقهاء السبعة** (المصون ورقة ٨ - ١١).

ثم قال الى جماعة يمتد فيهم الخطاب. ويطول بهم الكتاب فكم رام لاهل الهوى عن قوس الفلى زاعم انهم تورطوا في هوة الجهل (المصون ورقة ١١).

كما ذكر شيئاً من عشق الاكابر والامراء في **الامويين والعباسيين كابن المعتز** (٢٤٧ - ٢٩٦ هـ) ويزيد بن عبد الملك ٧١ - ١٠٥ هـ) (المصون ورقة ١٢ الوجه الثاني و٧٩ الوجه الثاني).

ولا ريب ان الحصري يريد بذلك تهوين الأمر في التعرض للتأليف عن الحب الذي كان يتحرج عنه العلماء وكأنه بهذا يقول لا حرج في الحديث عن الحب فقد احب الزهاد والفقهاء والكبراء وهذه هي التعليلات التي ادلى بها ابن حزم عندما قال عن الحب «وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة اذ القلوب بيد الله عز وجل وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير» وذكر جملة منهم.

ثم قال: «ومن الصالحين والفقهاء في الدهور الماضية والازمان القديمة من قد استغنى باشعارهم عن ذكرهم ثم احتج بعبيد الله بن عبد الله من فقهاء المدينة السبعة (طوق الحمامة ص ١٩ - ٢١) ولكنه لم يستق نتفاً من اخبارهم كما فعل الحصري. محتجاً بان سبيلهم غير سبيلنا وان الاخبار عنهم قد كثرت وان فيما عايشه من اخبار المحبين غنى عن ذلك (طوق الحمامة ص ١٧).

٦ اوضح الحصري ان الحب يذل النفوس عندما نقل قول **ابي احمد بن ابي طاهر** (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ) وصف بعض البلغاء الهوى فقال: هو فضيلة تنتج الحيلة وتشجع قلب الجبان وتسخي كف البخيل وتصفي ذهن الغبي وتطلق بالشعر لسان المعجم وتبعث حزم العاجز الضعيف وهو عزيز تذل الملوك له وتصرع له صولة الشجاع وينقاد له كل ممتنع (المصون ورقة ١٥).

وهذا المعنى نجده بجذافيره عند ابن حزم عندما قال عن آثار الحب «فكم بخيل جاد وقطوب تطلق وجبان تشجع وغليظ الطبع تطرب - وجاهل تادب وتفل تزين وفقير تجمل وذي سن تفتى وناسك تفتك. ومصون تبذل (طوق الحمامة ص٢٨ - ١٠١ - ١٠٢)».

وقد يقال ان ابن حزم رجع الى كلام ابن ابي طاهر مباشرة وهذا محتمل ولكن الاحتمال الاقرب ان يكون وصل الى معنى كلام ابن ابي طاهر من طريق المصون لان مظنة كلام ابن ابي طاهر كتب النثر الفني العامة التي تتناول شتى الموضوعات وكتاب الحصري موضوعه الحب فمن الارجح ان يكون من مراجعه لأنه هو أيضاً يكتب عن الحب.

٧ أشار الحصري الى فلسفة الحب المتأصل عن تآلف الارواح محتجاً بالحديث الشريف «**القلوب اجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف**» ثم ذكر فلسفة **افلاطون** في ذلك

---

(٦) نحمل على ذلك اكثر شعره الضعيف الذي لم يذكر له مناسبة غير مناسبة الموضوع الذي يبحث فيه كما في ص١١٩ القصيدة العينية وص١٣٢ القصيدة الميمية «طوق الحمامة».

بصيغة وقد جاء ان الارواح تتلاقى في الملكوت فتشام كما تشام الخيل فتقبل على ما تألف وتنفر عما لا تعرف ثم اورد ابياتاً كثيرة من الشعر العربي التي تناولت معنى الحديث. ثم قال: وقال بعض الفلاسفة خلق الله الارواح جملة واحدة كهيئة الكرة ثم قسمها اجزاء بين الخلائق فاذا لقي الروح قسيمة او شقيقة احبه لاتفاق القسمين وازدواج الجزأين فيكون بذلك الالتئام الذي لا فطور معه وكذلك اذا قرب منه او دنا من قسيمه فيحسب ذلك وقوع المودة وتصادق المحبة ويقع التباين. والتقاطع بقدر تباينهما. ثم ذكر أشعاراً وحكايات في معنى هذه الفلسفة (المصون ورقة ٢٧ – ٢٩ بوجهيهما).

ونجد هذه الفلسفة عند ابن حزم (٣٨٤ – ٤٥٦ هـ) وقد ذكر ما نقلة الحصري (٣٦٣ – ٤١٣ هـ) عن بعض الفلاسفة عن كون الارواح أوكرا مقسومة ولكنه نقله عن **محمد بن داوود** (٢٥٥ – ٢٩٧ هـ) صاحب الزهرة ونرجح ايضاً ان الحصري أيضاً نقل ذلك عن ابن داوود لان الزهرة من مراجعه (طوق الحمامة ص٢١ والزهرة ١ – ١٥).

الا ان ابن حزم لم يقف عند نقل هذه الفلسفة فقط بل دعمها بالنصوص فذكر قول الله تعالى «**هو الذي خلقكم من نفس واحدة. وجعل منها زوجها ليسكن اليها**» (سورة الاعراف آية ١٨٩) قال ابن حزم فجعل علة السكون انها منه[٧]. فها هنا اتفاق في ايراد النظرية والايمان بها معا اما ابن حزم فقد اشرنا الى دعمه لهذه النظرية واما الحصري فقد بنى حوار الاليفين على هذه الفلسفة.

فالالتقاء في الايمان بالنظرية دليل على تأثر ابن حزم واما الالتقاء في نقل النظرية فلا ريب ان ابن حزم نقلها من الزهرة وكتب افلاطون لانه من المعنيين بفلسفة الاوائل والمؤلفين فيها.

٨ يذكر الحصري في حوار الاليفين: ان الحب يقوم على مشاكلة الارواح وتآلف القلوب بغض النظر عن حسن الصورة لانه بتغيرها يتغير الحب ويزول وبتنكرها يتنكر ويحول (المصون ورقة ١٩ بوجهيها).

وهذه الفكرة تبسط فيها ابن حزم اذ ابطل اعتبار حسن الصورة علة للحب بما وجده عند كثيرين من المحبين الذين يؤثرون الحب ويعللون فضل غيره ولا يجدون لقلوبهم محيداً عنه وابن حزم يرى ان حسن الصورة سبب من الاسباب التي يزول الحب بزوالها اما محبة الارواح فهي محبة العشق الصحيح الذي لا فناء له الا بالموت (طوق الحمامة ص ٢١ – ٢٢).

فهنا التقيا في هذه الفلسفة وقد يكون ابن حزم متأثراً بقول محمد بن داوود في الزهرة:

وما الحب من حسن ولا من سماجة
ولكنه شيء به الروح تكلف

٩ ذكر الحصري في حوار الاليفين «قال احدهما فأما طي سر الحب. وكتم ما في القلب عن كل احد الى اخر الابد فهو الذي لا يجوز سواه ولا يمكن محبا يتعداه وقد ورد في الحديث: **من احب فعف فمات فهو شهيد** (المصون ورقة ٥٦ الوجه الاول و٥٧ الوجه الثاني).

وقد نظم ابن حزم الحديث شعرا فقال:

فان اهلك هوى اهلك شهيدا
وان تمنن بقيت قرير عين
روى هذا لنا قوم ثقاب
نأوا بالصدق عن جرح وهين[٨]

وقد يكون ابن حزم روى هذا الحديث من مراجعه في نصوص الحديث وقد يكون اخذه من كتاب الحصري لانه لم يشتهر في كتب الحديث.

١٠ نقل الحصري كلاما عن بقراط: مفاده ان حب تمازج الارواح ذو مسلك خفي وانه لا يزول ثم اشار الى علامات

---

(٧) طوق الحمامة ص٢١. وقد أيد هذه النظرية.. وهي نظرية المثل الافلاطونية المشهورة في كتابه. الفصل عند كلامه عن قول الله تعالى «واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم» (الاعراف آية ١٧٢) انظر الفصل ١: ٥. ٥: ١٨٤

(٨) طوق الحمامة ص١٥٢

بين الحصري وابن حزم

الحب في الرعدة والصفرة وضعف الرأي والثقل في اللسان والزلل والعثار (المصون ورقة ٧٠ الوجه الاول) وكل هذه المعاني تبسيط فيها ابن حزم[٩].

١١ اشتركا في الحديث عن **الهجر وفلسفته** وافاضا في تفصيل آثاره ومظاهره قال الحصري بعد حديثه عن الهجر: «وقد قسم محمد بن داوود الهجر الى اربعة اضرب: هو **هجر دلال وهجر ملال وهجر مكافاة على الذنوب وهجر يوجب البغض المتمكن في قلوب** فاما هجر الدلال: فهو الذ من كثير من الوصال واما هجر الملال فيبطله مرور الليالي والايام ان تنأى الدار او يطول الاختبار فأما الهجر الذي يتولد عن الذنب فالتوبة تخرجه من القلب واما الهجر الذي يوجبه البغض فهو الداء الذي لا دواء له قلت وهذا القسم الرابع يصح بين ذوي الاخلاص واولي الاختصاص اذ حقيقة المشاكلة تمنعه وصحة المناسبة تدفعه وساجول في طرف من هذا المعنى على طريق اختيار وسبيل اختصار كما مر في سائر ابواب الكتاب (المصون ورقة ٩٢ بوجهيها) وقد افاض ابن حزم في الهجر طويلا.[١٠]

هذه بعض الامثلة التي توضح لنا كثيرا من المشابهة واوجه الالتقاء بين الكتابين ولقد يقال انها من باب توارد الخواطر او اتفاق المصادر بين المؤلفين حول موضوع واحد ولكن كثرة المتشابه في الأمثلة والافكار توحي بتأثر احدهما بالاخر.

ثانيا: نورد من الادلة ما يؤكد ترجيحنا لتاثر ابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) بالحصري (٣٦٣ - ٤١٣ هـ) لنؤكد بذلك القرائن السابقة:

١ ان الحصري توفى عام ٤١٣ هـ وابن حزم الف كتابه طوق الحمامة فيما بين شهر ربيع الاول عام ٤١٧ هـ وشهر ربيع الاول عام ٤١٨ هـ والدليل على ذلك ان اعتداء **ابي الحسن مجاهد** على خيران صاحب المرية كان في ربيع الثاني عام ٤١٧ هـ وقد ذكر ابن حزم في طوقه ص١١٨ «انقطاع الطرق بسبب هذه الحرب» فلا بد ان ابا محمد الف الطوق بعد هذه الحادثة لانه ذكرها.

ولا يجوز ان يكون الف كتابه بعد شهر ربيع الثاني عام ٤١٨ هـ لانه أشار في ص١٠٨ الى قصيدة له في مدح **هشام بن محمد** (٣٦٤ - ٤٢٨ هـ) وعرفه بانه أخو أمير المؤمنين **عبد الرحمن المرتضي** ولم يقل امير المؤمنين هشام بن محمد.

واذا فقد كتب ابن حزم الطوق قبل ان يكون هشام اميرا للمؤمنين ولم يبايع الخلافة ليصبح اميراً للمؤنين الا في **٢٥** ربيع الثاني سنة ٤١٨ هـ.. والحصري الف كتابه قبل عام ٤١٣ هـ بيقين لان هذا العام هو عام وفاته وابن حزم لم يؤلف كتابه قبل عام ٤١٧ هـ بيقين **فصح ان الحصري هو السابق وان ابن حزم هو اللاحق.**

٢ ان ابن حزم رد على **ابن الربيب** في رسالته التي اثنى بها على **القيروان** وازرى بها على **الاندلسيين** فقال ابن حزم في رده[١١] عن القيروان «ولعمري ما لهم كتاب مشهور الا وقد اطلعنا عليه[١٢]» والحصري من مشاهير ادباء القيروان.

---

(٩) انظر طوق الحمامة ص١٩ عن خفاء الحب وص٢٧ - ٣٥ عن علامات الحب وص٢٢ عن دوام الحب الروحي.

(١٠) طوق الحمامة باب الهجر ص٩٨ - ١٠٨ وانظر الزهرة لمحمد بن داوود: ١٤٩ - ١٥٥.

(١١) اسم هذا الرد «الميزان» وقد طبع بعنوان (فصائل اهل الاندلس) طبعة الدكتور صلاح الدين المنجد ولم يطبعه عن أصل مخطوط وانما استله من كتاب «نفح الطيب» للمقري الذي اورد الرسالة كاملة.

(١٢) راجع نفح الطيب ٣: ١٥٦ - ١٧٨ وراجع مجلة الثقافة المغربية عدد ١ السنة الاولى شوال والقعدة عام ١٣٨٩ هـ بحث لمحمد ابراهيم الكتاني عن مؤلفات ابن حزم.

٣ نرجح ان ابن حزم زار القيروان لانه قال في طوق الحمامة: ولقد سألني يوماً ابو عبد الله ابن محمد بن كليب من اهل القيروان ايام كوني في المدينة[١٣].

٤ ابن حزم على فرض انه لم يرحل الى القيروان - اشرف على كتب اهل القيروان بطريق الرواية وبطريق المشافهة من اصدقائه وتلاميذه ومشايخه الذين يرحلون من القيروان الى الاندلس او من الاندلس الى القيروان ثم يعودون[١٤].

٥ ان ابن حزم يكتب عن موضوع شحيح المصادر فمن المستبعد ان يخفى عليه كتاب في هذا الموضوع النادر بقلم اديب معاصر له في بلد شهيرة بالعلم والادب مع اهتمامه بالاشراف على كتب القيروانيين بالذات بسبب المناظرة بينه وبين ابن الربيب.

٦ من كتب الحصري التي لم تصل الينا (**نور الطرف ونور الظرف**) وقد رواه **ابن خير** (٥٠٢ - ٥٧٥ هـ) في فهرسه باسناده الى مؤلفه الحصري ومن رجال الاسناد الذين رووه **ابو مروان بن عبد الملك ابن زيادة الله الطبني**.

والطبني صديق لابن حزم بل من اخص اصدقائه فلا يستبعد اشرافه على كتب الحصري ومنها المصون عن طريق احد الاصدقاء كما ان الطبني ممن الف في اخبار القيروان وعلمائها (انظر فهرسه ابن خيرص ٣٨٠)

وبايجاز فهذه شواهد تاريخية تؤكد اشراف ابن حزم على المصون واطلاعه عليه ومهما يكن من شيء فان كتاب المصون فيما رجحت يعتبر على الاقل مصدرا من مصادر ابن حزم ان لم يلتزم بالنقل عنه فقد كان منارة هدته الى مراجع هذا الموضوع.. وفتحت له افاقه وكشفت له عن مصادره فرجع اليها واستقى منها كما استقى الحصري ولكن ذلك لا ينفي تأثره على كل حال.

ونحن نشاهد في عصرنا من يؤلف كتابا يرشد الى مراجعه فيأتي مؤلف اخر ليرجع الى هذه المراجع متأثرا بسابقه الذي كان له فضل السبق في هذه المراجع فيشير الى تلك المصادر دون أن يشير الى الكتاب الذي انتفع به.

على اننا لا ننكر التأثر المباشر في كثير من الامثلة التي عرضناها وطريقة التناول والتحليل للفكرة وحل المنظوم ونظم المنثور ونحو ذلك مما اشرنا الى بعضه.

---

(١٣) طوق الحمامة ص٧٣ فال في كلمة «المدينة» تعود الى معهود ذكرى وهو القيروان الانفة الذكر بيد ان الدكتور الطاهر مكي يرجح انها «المرية» اتباعا للمستشرق بروفنسال وانا ارجح عكس ذلك لانها في الاصل المخطوط مكتوبة المدينة ولان حياة ابن حزم فيما بين عام ٤٠٩ هـ - ٤١٤ هـ كانت مجهولة لا يدرى اين كان يقيم وانما كان متجولا يدل على ذلك قوله:

لم تستقر به ارض ولا وطن
ولا تدفأ منه قط مضجعه

ولهذا أسميناه غارسيا غوس بالجدل الجوال.

(١٤) تصفحنا ما يتيسر لنا من كتب ابن حزم المطبوعة والمخطوطة علنا نجد للحصري عنده ذكرا ولكننا لم نجده ذكره وهذا لا يعني انه لم يشرف على كتبه لان عادة ابن حزم لا يذكر مصادره الا ما رواه بالسند على طريق الاجازة.

لقاء مع:

التاريخ

د. عبد الهادي التازي

المفروض أن المؤرخ يجب أن يتجرد من كل ما يحف به من عواطف وعواصف.. بحيث يكتب للتاريخ فقط.

لا يمكن تصور كيف تكون كتابة التاريخ المجرد عن التفسير والتعليل.. وبما يمليه المناخ أو الجو على المؤرخ.

الحقيقة التاريخية.. لا يمكن أن تكون مجرد حادث معين.. دون أن نبحث عن جوانبها هنا.. وهناك.

حياته البحث.. يقرأ بلا ملل!!

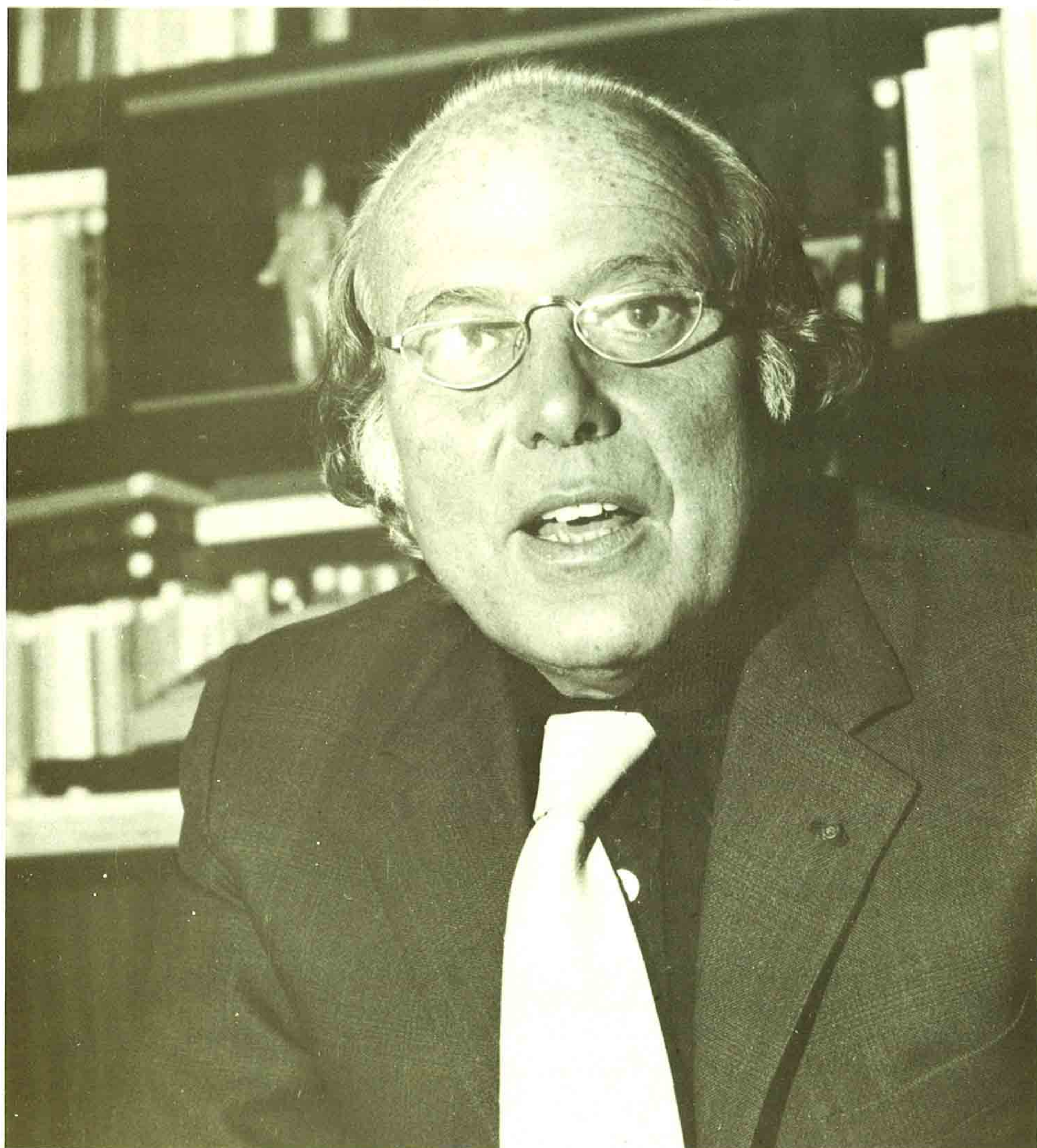
يستقرئ التاريخ لاستنباط الحقيقة.. واستنتاج معطياتها من منظور علمي.. يسعى الى الاكتشاف من خلال المظان.. والخزائن.

عمله الرسمي يأتي مكملاً لحياة البحث التي يحياها الدكتور عبد الهادي التازي.. فهو مدير المعهد الجامعي للبحث العلمي في مدينة «الرباط» بالمغرب الشقيق.. هذا المعهد الذي يصدر مجلة «دورية» باسم «مجلة البحث العلمي» تحت اشرافه.

هذا اللقاء.. كان في مدينة الرباط في منزله «فيلا بغداد» حيث يقع في منطقة هادئة جميلة.

في هذا المنزل.. تلتقي بالتازي «الباحث».. والتازي «الانسان» فهو الى جانب كونه باحثاً دقيقاً.. يظل انساناً ودوداً.. متسامحاً.. تسكن وجهه البشاشة.. وتشعر بالراحة وانت تتحدث اليه.. يجمع بين العلم.. والتواضع.. الى جانب الكرم «العربي المغربي».

كيف يكتب..



لقـــاء مـــع :

د. عبد الهادي التازي

التاريخ العربي والاسلامي

يرى البعض ان التاريخ العربي والاسلامي لم يكتب بعد.. والمطلوب مراجعته.. واعادة صياغته بأسلوب يتناسب وروح العصر لخلق علاقة جيدة بينه وبين الجيل المعاصر.. والأجيال القادمة.. الى أي حد يمكن الأخذ بهذا الرأي.. ومدى ارتباطه بالحقيقة؟

كان هذا مدخل الحوار مع الدكتور التازي.. المؤرخ.. والباحث العربي المغربي الذي أجاب بقوله:

«الواقع ان هذه الفكرة تروج بالحاح في هذه الأيام واني لا أريد ان أحمل نفسي عناء الاقتناع بها على الاطلاق كما لا أريد ان أسمح لنفسي بتجاهلها على الاطلاق.

ومعنى هذا ان لبنة وأصول التاريخ موجودة مكتوبة مسجلة ولكنها نظراً لما تعرضت له من تزييف وتشويه في بعض الأحيان من طرف بعض الذين كتبوا عن الموضوع أصبحت في حاجة الى صياغة جديدة تستجيب لمنطق العصر ولا تخل في الوقت ذاته بالمبادئ الأصيلة في التاريخ.

ومعنى هذا كله ان تاريخنا المكتوب بحاجة فقط الى كتابته مجدداً كتابة علمية مركزة.

أما في كثير من الحالات التي تدفعني لهذا القول واذكر منها على سبيل المثال ما يتعلق بتاريخ المغرب مثلاً فتاريخنا مكتوب وموجود ليس فقط في الارشيف المغربي ولكن أيضا في المكتبات الدولية.. ومع ذلك فاننا لم نعدم من يقول بان المغرب لا تاريخ له وانه لم يعرف الا في اوائل هذا القرن.. وهكذا دواليك في كل بلاد الله تجد ان التاريخ يتعرض لعدة تعديات في حاجة الى تصويب وفي حاجة الى تصحيح.

زمن كتابة التاريخ

واستتلاء للمقولة السابقة .. سألنا الدكتور التازي عن وجهة النظر التي ترى ان كتابة تاريخ مرحلة معينة بصدق وأمانة لا تتم الا بعدها .. ومدى صحتها من خلال علاقته الدائمة بالتاريخ .. وقضاياه في البحث

.. والقراءة .. والتأليف .. فأجاب:

الواقع ان ما تشير اليه من ان كتابة التاريخ لن تكون كتابة صادقة الا اذا مرت مرحلتها هو صحيح الى حد .. لماذا؟ لاننا لو طلبنا الى المؤرخين ان يمسكوا اقلامهم عن كتابة تاريخ ما يدور حولهم الى ان تمر تلك الفترة لكنا ندعو الى شغل فكري محقق - لماذا؟ لان الذي يكتب في الفترة التالية لما بعد الفترة الاولى لا يمكن ان يتوفر على نفس المناخ الذي كان يتوفر عليه مؤرخ الفترة الاولى ولذلك فاني من انصار تسجيل كل ما يتعلق بالفترة التي يعيشها المؤرخ في حاضره وعلى الفترة اللاحقة ان تصحح ما يمكن ان تصحح.

ان الذين يقولون بان التاريخ الصادق لا يمكن ان يسجل الا من طرف من يأتي بعد .. فكرة ايضاً فيها كثير من المغامرة فان المرء لا يستطيع مهما بلغت حاسته العلمية ان يتصور جيداً ما وقع في أمسه لهذا وجمعاً ما بين الرأيين وتحقيقاً للمصلحة فينبغي ان تؤمن بان ما يكتبه المؤرخ في عصر ينبغي ان يقابل بترحيب .. وليس معنى انه منزه عن الدرس والتمحيص .. لماذا؟ لأنني

د. عبد الهادي التازي في سطور

* من مواليد مدينة فاس (المغرب) عام ١٣٣٩هـ.
* دكتوراه في الآداب - جامعة الاسكندرية.
* يجيد اللغتين الفرنسية والانجليزية.
* عضو المجمع العلمي ببغداد .. ومجمع اللغة بالقاهرة.
* مثل بلاده كسفير في اكثر من بلد عربي.
* يعمل حالياً مديراً للمعهد الجامعي للبحث العلمي.
* أحرز وسام العرش (المغرب) والاستقلال (ليبيا) والرافدين (العراق) .. ووسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الممتازة.
* له عدد كبير من الآثار المطبوعة تحقيقاً .. وتأليفاً .. وترجمة .. الى جانب عدد آخر من الآثار المخطوطة في مختلف فنون المعارف الانسانية.



أخشى ولا اكتمكم ذلك ان يكون الغرض من هذه المقولة تشكيك الناس في ما كتب باقلام معاصرة واني شخصياً لا اسمح بان تتعرض الكتابات المعاصرة الى هذا النوع من التشكيك او الريبة لان ذلك من شأنه أن يعصف بكثير من المعلومات التي وصلت اليها منذ فجر التاريخ.

البداءة .. في التاريخ

هناك أمور تعرف في التاريخ بداهة وتظهر الآن دراسات أو أفكار أو افتراضات تحاول ان تثبت عكسها .. ما هو رأيكم في هذا الموضوع؟

«صحيح ان هناك كثيراً من المعلومات التي وصلتنا عن طريق كتب التاريخ اما بطريق التواتر او بطريق الاجماع ولكننا بين الوقت والآخر نسمع نظريات تريد وهي تدعي انها تبحث عن الحقيقة تريد ان تلقي الشك في ما نقلته الينا كتب التاريخ .. أنا في هذا الموضوع حذر كل الحذر .. وحذري وتخوفي ناشئ من ان تلك الادعاءات وتلك الافتراضات قد تكون هادفة الى نسف قيمنا وتراثنا من الاساس.

اضرب لكم مثلاً على ذلك ولا أريد ان نضيع في ما قيل عن الشعر الجاهلي وما يتبع ذلك وما قيل عن الحقائق التاريخية التي تناقلت الينا .. أريد أن اضرب المثل على ذلك ببعض وقائع التاريخ التي تناقلتها الكتب المخطوطة في ما يتعلق بوصول الامام ادريس الى المغرب بعد وقعة (الفخ) او حقائق مشابهة اني أخشى ان يكون التشكيك في هذا النقل التاريخي ولو انه بسيط في حد ذاته اخشى ان يكون وسيلة لان نصعد الى معلومات تاريخية تضرب في جذور الماضي لنتناولها هي ايضاً بالتشكيك وتكون النتيجة الحتمية ان نصل الى الريب والشك في بعض مقدساتنا.

انني ادعو الى البحث العلمي الصرف الذي ينشد الحقيقة مجردة لكني سأكون ضد فتح الباب لتشويه الصور الجميلة وتحطيم المعالم المقدسة التي تعتبر رصيدنا الذي نعتز به.

الحقيقة التاريخية

والحقيقة التاريخية .. ما هي؟

هي التي نستطيع ان نعرف منطلقها وظروفها المحيطة بها ونهايتها ولا يمكن ان تتكون الحقيقة التاريخية لمجرد حادث معين دونما ان نبحث عن جوانبها كلها هناك .. وهناك .. ومن هنا كانت كتابة التاريخ في منتهى الصعوبة.

حياد المؤرخ

ونسأل الدكتور التازي عن «الحياد» المطلوب من جانب المؤرخ حين يكتب التاريخ .. وهل يعني ذلك ان المؤرخ مطالب بالتجرد من كل المؤثرات الحسية .. وان يكتب التاريخ خارج دائرة عواطفه .. واحاسيسه؟

عن هذه القضية يجيب قائلاً:

المفروض ان المؤرخ يجب أن يتجرد من كل ما يحف به من عواطف وعواصف بحيث يكتب للتاريخ فقط .. ولكن المؤرخ مضطر وفي بعض الاحيان مدعو لان يحكم او لأن يستجيب لاحاسيسه حول حادثة ما من الحوادث او شخصية ما من الشخصيات .. فانا عندما اكتب مثلاً عن قائد من القادة أو حادثة معينة من حوادث التاريخ لا يمكن لأناملي ان تتجاوب مع احاسيسي الشخصية والا لكنت بمثابة الفوتوغراف اسجل كما يسجل والواقع اننا من خلال هذا نستشف ان هناك نوعين من كتابة التاريخ:

** النوع الذي يكتفي بتسجيل ما حدث على نحو اخبار تروى.

** ونوع يضيف الى هذا تفسيراً للظروف التي ادت الى هذا الحدث أو ذاك وهذا النوع الثاني من كتابة التاريخ في نظري هو النوع الذي يمكن ان يفيد الجيل لانه يعطينا تعليلات وتوضيحات وتحليلات لما وقع.

وبهذه المناسبة نرجع الى الاشارة الى ما كنا تحدثنا عنه من قبل وهو ان هناك بعض الناس ممن يحاولون التشكيك فيما كتب يبثون هذا القول ويتساءلون هل المطلوب من المؤرخ ان يكون مجرد أداة تحكي فقط .. أو أداة تحكي بتصرف.

ولا استطيع ان اتصور كيف تكون كتابة التاريخ المجرد عن

لقاء مع :
د. عبد الهادي التازي

إن أمجادنا التاريخية
وملاحمنا النضالية بحاجة
الى تقديم يتناسب
وروح العصر .. بعيداً عن التشويه.

التاريخ .. والاشكال الأدبية

ما زال الحوار يطرح قضايا لها علاقاتها الحميمة بالتاريخ .. حدثاً وفناً .. أسلوباً وطريقة. فقد عرف القارئ المعاصر وسيلة جديدة من وسائل صياغة التاريخ العربي والاسلامي ممثلة في بعض الأشكال الأدبية .. والفنية. كالرواية .. والمسرحية. وهي وسيلة حاول أصحابها على اختلاف مناحيهم .. واتجاهاتهم أن يوظفوا مثل هذه الاشكال في كتابة التاريخ تطلعاً الى طرد «الملل» كمرض من أمراض العصر .. وتطلعاً الى كسب اكبر قدر ممكن من الشرائح القارئة لهذه الانواع من الاشكال الأدبية والفنية .. الى جانب محاولة تحبيب التاريخ الى كل الفئات على اختلاف اهتماماتها .. بعيداً عن الجفاف الذي يصاحب رواية التاريخ وأحداثه.

ما رأي الدكتور التازي في هذه الوسيلة كمؤرخ؟

«هذا السؤال في منتهى الاهمية بالنسبة لي لانني عشت مرحلة متقدمة من التاريخ واعيش اليوم مرحلة تختلف عن المرحلة الاولى اختلافاً بيناً عن المرحلة الاولى ومعنى هذا انني أريد القول بان الطريقة التي كنت اقتنع بها اصبحت ليست نفس الطريقة التي تقنع الجيل الحاضر وتفيده ومن أجل كل ذلك فانني أتوق إلى كل الوسائل التي تستطيع ان تؤثر على الجيل الحاضر شريطة ان تكون وسائل شريفة هادفة متقصدة.

أريد القول بان امجادنا التاريخية وملاحمنا النضالية او البطولية تحتاج الى تقديم يتناسب وروح العصر شريطة ايضاً الا تهدف الى التنقيص او الى التشويه من قيمتها ومن غير شك لا يمكن لاحد اليوم ان ينكر دور الكاميرا .. او دور المسرح ودور السينما والاذاعة في تثبيت خلق ما أو ارساء سجية من السجايا.

لهذا فانا أرحب ليس من أجل ان ننتج أفلاماً او نكتب مسرحيات وروايات تاريخية ولكن ان ننافس الآخرين ونعمل على تصحيح الأخطاء التي قد يتقصدونها من خلال عروضهم».

مقومات المؤرخ

قد يكون من البدهي بان ليس كل من حمل قلماً .. وسجل أحداثاً تاريخية أصبح مؤرخاً .. ذلك ان المؤرخ هو حصيلة مجموعة ركائز .. أو مقومات أساسية عن هذه النقطة تحدث المؤرخ التازي فقال:

«مقومات المؤرخ ليست من التعقيد بحيث تكون كمقومات الفنان مثلاً .. ولكن مقومات المؤرخ في نظري تعتمد على الحاسة التي تجعل منه شخصاً يتفرس الاحداث من خلال ما يعيشه في واقعه .. ومن خلال ما قرأه في ماضيه .. ثم بالاضافة الى هذه التفسير والتعليل أو بالاحرى الاستعانة بما تمليه العاطفة وبما يمليه المناخ أو الجو.

والمؤرخ مرغم بل محكوم عليه ان يتأثر بما حوله لانه ليس قطعة من جلمود أو آلة تسجيل.



الحاسة أرى ان المؤرخ يجب عليه بالدرجة الاولى ان يحرص على كرامته ونزاهته فيما يؤديه وفيما يحكيه على قدر المستطاع واكثر من المستطاع لأنه مسؤول عما يسجله. ليس بينه وبين نفسه ولكن مسؤول امام الاجيال اللاحقة وامام الحقيقة التاريخية التي تعبر عن نفسها بنفسها.

هناك شيء ثالث يجب ذكره كمقوم من مقومات المؤرخ وهو ان يكون على صلة تامة بما يجري في حاضره من احداث اية احداث كانت لان ذلك في نظري يساعده جيداً على الاجابة على كثير من الاسئلة المطروحة بالنسبة لاحداث الماضي.

ونتيجة لذلك فان المؤرخ الجدير بهذا الوصف يجب ان لا يكون متحيزاً لقبيل دون قبيل او لمدنية دون مدنية بل ان يكون مشبعاً بنزعة تجعل منه لساناً أميناً يعبر عما تجيش به نفس كل انسان على اختلاف المواطن والامصار.

الغرب .. والتاريخ العربي الاسلامي

هناك قناعة لدى الكثير من المؤرخين العرب والمسلمين بوجهة النظر التي ترى ان التاريخ العربي الاسلامي ما زال شيئاً مجهولاً من جانب الغرب والغربيين .. وما ترجم عنه .. او كتبه مؤرخون بغير اللغة العربية كان جانباً مقصوداً .. ومحدداً .. وربما حمل كثيراً من الافتئات .. والجنوح .. والمغالاة بشكل يسيء الى تاريخنا.

الفكرة .. ماذا لو ترجمت بعض كتب التاريخ العربي الاسلامي الجيدة الى لغات أجنبية .. وكيف يمكن تنفيذ مثل هذه الفكرة بشكل يخدم هذا التاريخ بصدق وأمانة لتعريف القارئ غير العربي بحضارة العرب والمسلمين .. وتاريخهم .. وفكرهم .. وأدبهم .. وفلسفتهم؟

أشرق وجه الدكتور التازي وهو يجيب على هذا السؤال بقوله:

«الواقع اننا احوج ما نكون في العصر الحاضر الى ان نعرف كيف نجيب على هذا السؤال .. لماذا؟ لاننا أصبحنا نعيش اليوم بحكم الاتصالات المباشرة أصبحنا نعيش وكأننا لسنا في عالم يتكون من قارات خمس ولكن كأننا نعيش في قرية صغيرة ولذلك فنحن احوج ما نكون بان يتعرف بعضنا مع البعض الآخر. وأظن انه كان في احدى توصيات منظمة اليونسكو وكذلك في منظمة الالسكو (المنظمة العربية للثقافة والتربية والفنون والعلوم) كل منهما يوصي بتقديم تاريخ الامة العربية والاسلامية الى العالم الغربي في اطار التقارب بين الامم .. ومن اجل ذلك فنحن في حاجة كما قلت الى صياغة تاريخنا باسلوب يتناسب والعقلية الغربية من شأنه ان يبرز مباهج الاسلام والحضارة الشرقية واعتقد ان العالم الغربي اليوم اكثر استعداداً واوفر شوقاً لهذا النوع من الكتب فانه من الملاحظ من خلال ما يظهر من كتب ومؤلفات مكتوبة بلغات اجنبية يكشف عن تطلع صادق لمعرفة عالمنا الاسلامي والعربي.

يبقى الواجب علينا نحن العرب .. نحن المسلمين ان نضع تصميماً محكماً لهذا التاريخ ان نقدمه باتفاقنا جميعاً لانه من مصلحتنا جميعاً .. واحب بهذه المناسبة ان اعرب عن الأمل في ان تتسابق الى هذا العمل الجليل كل العناصر الخيرة حتى يتحقق في انسب الظروف وفي احسن حال ولا أريد ان يكون للتنافس بين الذين يقومون بهذا العمل اثر على تفشيله من الاساس او الخروج به من الهدف المقصود به فهو عمل كما قلت وكما هو الموضوع يستهدف تعريف العالم الغربي بتراثنا الحضاري ولا اريد ان تمر هذه الفرصة دون ان الح ان تكون ترجمة مثل هذه الكتب سواء الى الفرنسية او الاسبانية او الانجليزية على ان تكون في المستوى الرفيع من حيث الفكرة ومن حيث المحتوى والاسلوب».

كريمة المروزية

عالمة مكة في القرن الخامس الهجري

بقلم : يحيى ساعاتي

حظي الحديث النبوي الشريف بمئات من العلماء الذين نذروا انفسهم لخدمته على مر العصور الاسلامية ، وساهمت المرأة في هذا المجال بنصيب طيب بدأ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي مكنتها صلتها الوثيقة بالنبي ﷺ من اثراء هذا العلم ، وبرزت نساء اخريات في فترات متتالية في هذا العلم من اشهرهن ام الكرام بنت احمد المروزية التي انتهى اليها علو اسناد الجامع الصحيح للامام البخاري في القرن الخامس الهجري والتي كانت عالمة عصرها في الحديث ومقصد علماء زمانها حيث كانوا يحضرون مجالسها العامرة في مكة المكرمة للأخذ عنها والدراسة عليها والرواية عنها.

ومع كل ما قدمته كريمة للحديث النبوي الشريف الا انها لم تحظ في العصور المتأخرة بالتقدير الذي يتلاءم ومكانتها الفذة حيث اقتصر الحديث عنها في المصادر التي تناولتها على اشارات عابرة تأتي عرضاً عند الكلام على **الكشميهني أو السرخسي أو قرية كشميهن** أو حوادث العام الذي توفيت فيه ، **وفي ذلك** جحود كبير لدورها الفذ المنقطع النظير.

وهذا المقال محاولة لالقاء بعض من الضوء على حياة كريمة ودورها في خدمة الحديث النبوي الشريف.

نشأتها

ولدت كريمة في عام ٣٦٥ هجرية على وجه التقريب في قرية كشميهن[1] احدى قرى خراسان الواقعة في أقصى الشرق الاسلامي المعروف في ذلك الوقت ، ووالدها هو **أحمد بن محمد بن ابي حاتم** الذي تغفل المصادر امره مكتفية بذكر اسمه فقط مما يدلل على انه لم يكن له دور يذكر في ميدان العلم ، ولكنه فيما يبدو عكف على تربية ابنته تربية حسنة مستغلا ما لمحه من ذكاء والمعية في مخايلها ليدفع بها نحو التحصيل والدرس ، موفرا لها كافة الظروف الملائمة ، مقدما لها كل عون مطلوب ، ويساعده ارتفاع المستوى الثقافي والفكري لقرية كشميهن التي ينسب اليها جمع من الفضلاء منهم **الحافظ** ابو الهيثم **محمد بن مكي بن زارع**

---

(١) يقول عنها ياقوت (٤٦٣/٤) :– بالضم ثم السكون وفتح الميم وياء ساكنة ، وهاء (١) يقول عنها ياقوت (٤٦٣/٤) :– بالضم ثم السكون وحح الميم وياء ساكنة ، وهاء مفتوحة ، ونون ، قرية كانت عظيمة من قرى مرو على طرف البرية ، خربها الرمل ، انظر أيضا اللباب لأبي الأثير ٤٢/٣

الكشميهني[٢] **والامام ابو القاسم يحيى بن علي بن محمد الحميدي الكشميهني**[٣] وتحدثنا المصادر عن علاقة وثيقة كانت تربطها بالحافظ ابي الهيثم محمد بن مكي بن زارع الكشميهني الذي كان أول اساتذتها والذي ادركته صغيرة في السن فتلقت عنه مباشرة، ودرست الجامع الصحيح عليه دراسة متقنة حتى ان جل المصادر تجعله همزة الوصل بينهما فنجد **الذهبي** يقول «روت الصحيح عن الكشميهني» ويقول **ابن خطيب الدهشة** «سمعت جامع البخاري عن الكشميهني» ويقول **ابن كثير** «سمعت صحيح البخاري عن الكشميهني» ويقول **ابن الجوزي** «سمعت ابا الهيثم الكشميهني وغيره»، والى ذلك يشير كل من **العاملية وكحالة**.

وقد كانت كريمة في حوالي الرابعة والعشرين من عمرها عند موت ابي الهيثم، ولا نعرف على التأكيد اذا كان لقاؤها به قد تم في كشميهن موطنها الأصلي أو في مدينة **مرو الشاهجان**[٤]، التي هاجرت اسرتها اليه فيما بعد حسبما تذكر المصادر العديدة واذا كنا قد عرفنا عن علاقتها بأبي الهيثم فان علاقتها **بالحميدي** غير معروفة فلعلها لم تلتق به.

أما استاذ كريمة الثاني والذي يتردد كثيراً فهو العلامة **الامام زاهر بن أحمد السرخسي** الذي كان من أئمة الحديث في عصره، حظي باحترام معاصريه، وتقدير اجيال كثيرة جاءت فيما بعد، وكان معاصراً لابي الهيثم الكشميهني، ومات في نفس العام الذي مات فيه أبو الهيثم وهو عام ٣٨٩ هجرية **وقد درست عليه كريمة الحديث** أيضا ولعل ذلك كان في مدينة مرو الشاهجان، ولا تشير المصادر الى علماء اخرين درست عليهم كريمة ولا تتحدث عن اساتذتها أو من أخذت عنهم في مجالات المعرفة الاخرى **كالقرآن** وعلومه **والنحو والصرف واللغة والبلاغة والأدب** والتي لا شك وانها قد اتقنتها والمت بها.

مجلسها العلمي

وقد تفرغت لدراسة الحديث وتخصصت في الجامع الصحيح للامام البخاري حيث ركزت كل جهدها على دراسته وحفظه وروايته وضبطه **حتى اصبحت حجة فيه** خلال عصرها، ودفعها الشغف بالحديث الشريف ودراسته الى الهجرة عن مرو الشاهجان الى منبع هذا العلم ومصدره الأصلي **مكة المكرمة**، فرحلت تقطع الفيافي والقفاز من أقصى الشرق الاسلامي حتى حطمت رحالها بالأرض الحرام مهاجرة لله تعالى، طالبة مجاورة بيته العتيق ولعلها كانت تشارف على الثلاثين من عمرها عند ذلك اذ المتوقع انها بقيت في موطنها الأصلي حتى السنوات التالية لعام ٣٨٩ هجرية الذي توفى فيه كل من الكشميهني والسرخسي.

وفي مكة المكرمة ملتقى افئدة المسلمين اشتهر امر كريمة وذاع صيتها في الآفاق الاسلامية عبر الحجيج فقصدها العلماء والفضلاء للأخذ عنها، وتدل الأسماء الكبيرة المنتمية الى اقاليم اسلامية متفرقة في الشرق والغرب على انها بلغت شأوا بعيدا في العلم وهي في مكة حيث **كان لها مجلس علم يحضره العلماء والطلاب** وتشير الى ذلك العاملية عندما تذكر انه كان لكريمة في مكة مجلس علم تجتمع فيه العلية والافاضل من رجال كل علم، وهي تلقي على كل نوع مما يطلبه بعبارة فصيحة المأخذ مفهومة المعنى.

وكان مجلس كريمة هذا مجلساً حافلاً حضره جملة من اعلام القرن الخامس ومشاهير علمائه من بينهم العالم المؤرخ **أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي** صاحب التاريخ الشهير والذي قرأ صحيح البخاري عليها في خمسة أيام، وكذلك **العلامة السمعاني** صاحب كتاب **الأنساب**، والشريف العالم **أبو طالب الزينبي الحسين بن محمد نقيب النقباء ببغداد وأحد علماء الحنفية، ومفتي همذان ابو منصور سعد بن علي بن الحسن العجلي الأسد اباذى وابو العباس احمد بن محمد بن عبد الرحمن الشارقي الانصاري الواعظ**، الذي حج وسمع منها، ومسند مصر **ابو عبد الله محمد بن بركات بن هلال السعيدي النحوي** الذي يروي الصحيح عنها، **وابو الحسن علي بن الحسين بن عمر الفرا الموصلي، وعلي بن ابراهيم بن العباس الحسيني، وابو بكر جاهير بن عبد الرحمن بن جاهر الحجري الطليطلي المالكي** أحد مشاهير فقهاء **الأندلس، ومحمد بن الحسن بن ملوك الهاشمي وسلطان بن ابراهيم المقدسي** الذي أخذ عنه الصحيح رواية عن كريمة **ابراهيم بن منبه الغافقي**.

علماء يشهدون بمكانتها

والاسماء السابقة لها من الشهرة في العلم والمعرفة خلال القرن الخامس الهجري ما يجعلنا ندرك عظمة مكانة كريمة في ذلك

---

(٢) احد رواة صحيح البخاري عن الغربري، وروى عن ابي العباس الدغولي باهمال الدال واعجام الغين نسبة الر دغول، توفى سنة ٣٨٩ هـ.

(٣) أحد الأئمة الرواة تفقه بأبي محمد الجويني وسمع القفال المروزي وغيره، وروى عنه جمع، وكان اماماً متفنناً.

(٤) اكبر مدن خراسان واشهرها والنسبة اليها مروزي كما يشير ياقوت (١١٢/٥ - ١١٦) وابن الاثير في اللباب.

العصر التي امتدح علمها واثنى عليها كل من تحدث عنها فنجد ابن الجوزي يشير الى انها «**كانت عالمة صالحة**» ويقول اليافعي «**وكانت ذات ضبط وفهم ونباهة**». ويصفها الفاسي بقوله «**وكانت عالمة يضبط بكتابها**» ويشير **العماد الحنبلي** الى انها «**كانت تضبط كتابها وتقابل نسخها مع فهم ونباهة**» ويصفها ابن الأثير بقوله «**وهي التي تروي صحيح البخاري واليها انتهى علو الاسناد للصحيح**». وعدها ابن الاهدل من الحفاظ كما نقل عن ابي زر الهروي وكان من علماء مكة انه قال عند موته «**عليكم بكريمة فانها تحمل كتاب البخاري عن طريق ابي الهيثم يقصد ترويه باسناد عال**» وتقول عنها العاملية وروايتها من أصح الروايات للبخاري. «**وكانت تضبط كتبها وتقابل بنسخها وكان أكثر ميلها للحديث حتى بلغت فيه حداً لم يبلغه غيرها**». ويصفها كحالة قائلاً «**محدثة فاضلة ذات فهم ونباهة**».

والواقع ان مكانة كريمة الرفيعة في مجال الحديث النبوي الشريف لم تحظ بمثلها امرأة أخرى. وبلا مراء فان الشهرة التي حصلت عليها فاقت بها عشرات من العلماء الافاضل الذين ظهروا في عصرها وبزت بها اساتذتها من الرجال مما دفع بعالم كبير وهو الخطيب البغدادي ان يحضر مجلسها ويسمع منها ويقف بين يديها موقف التلميذ من الأستاذ.

واذا كان الجانب الشخصي من حياة كريمة يشوبه الغموض فان الجانب العلمي من حياتها لا يرقى الى درجة الوضوح الكامل فنحن لا نملك ادلة كافية عن مشاركة علمية لها ظهرت في شكل كتاب مستقل والمصادر التي نملكها لا تشير الى هذه القضية اشارة واضحة اذ كل الذي قيل عنها انها جمعت الصحيح بروايتها. ويبدو ان قول العاملية من انها كانت تصنف كتبها وتقابل بنسخها لا يعني انها وضعت مؤلفات خاصة بها بل لعلها اشارة الى جمعها الصحيح للبخاري فقط. ولكن على الرغم من ذلك فان المرء لا يستبعد ان تكون لها مؤلفاتها الخاصة بها في الحديث وعلومه غير ان الجزم بذلك صعب لفقدان الدليل المادي الذي يؤيد هذا الرأي.

العالمة الصالحة

ولم يكن الجانب العلمي هو كل ما اتصفت به كريمة بل يضاف الى ذلك الصلاح والتقى والكرم والجود. ومن هنا اطلق عليها ام الكرام وست الكرام ووصفت **بالعالمة الصالحة**. هذا الى جانب تمتعها بشخصية قوية تتضح من تفرغها التام للعلم والتدريس حتى انه **ظلت حياتها عازفة عن الزواج وماتت بكرا وهي تشارف المائة حوالي عام ٤٦٣ هجرية أو ٤٦٥ هجرية في** **مدينة مكة المكرمة. التي عاشت فيها الجانب الأكبر من حياتها مجاورة لبيت الله الحرام.**

وقد اشتهرت كريمة **بالمروزية** نسبة الى مدينة مرو الشاهجان التي عاشت فيها شبابها وبهذه النسبة عرفت في معظم المصادر، وعرفت في بعضها بالكشميهنية نسبة الى قريتها الأصلية كشميهن ونسبها المرحوم **الزركلي** خطأ الى مرو الروز لذلك جعل نسبتها المروذية (بالذال).

والمؤسف أن يتناسى ذكر كريمة في العصر الحديث مع انها تمثل عظمة المرأة المسلمة ومشاركتها الفعالة في الحركة الفكرية الاسلامية انطلاقاً من قيم الاسلام الخالدة التي اعطت المرأة كل الحق في العمل الجاد والبناء والمشاركة المثمرة.

المصادر

* ابن الأثير. عز الدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (٥٥٥ — ٦٣٠) الكامل. القاهرة. ١٢٩٠ هـ.

* اللباب في تهذيب الانساب. القاهرة. مكتبة القدس. ١٣٥٧ هـ.

* الجاسر حمد. أثر الحج في نشر الثقافة. جريدة المدينة المنورة عدد ٢٣٧٥ (٧ ذو الحجة ١٣٩١ هـ)

* ابن الجوزي. ابو الفرج عبد الرحمن بن علي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. حيدر اباد الركن. دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٩ هـ.

* ابن خطيب الدهشة. محمود بن أحمد بن محمد. ت ٨٢٤ هـ. تحفة ذوي الارب في شكل الأسماء والنسب تحقيق تراغوت خان. ليدن. بريل ١٩٠٥ م.

* الزبيدي. محمد مرتضى الحسيني. تاج العروس. بنغازي. دار ليبيا للنشر. ١٩٦٦ م (مصورة).

* السبكي. تاج الدين ابو النصر عبد الوهاب بن علي. ت ٧٧١ هـ. طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق محمود محمد الطناحي. وعبد الفتاح محمد الحلو. القاهرة. عيسى البابي الحلبي. ١٩٦٨ م.

* الشوكاني. محمد بن علي. ت ١٢٥٠ هـ. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. القاهرة. معروف عبد الله باسندوه. ١٣٤٨ هـ.

* العاملية. زينب بنت علي بن حسين. الدر المنثور في طبقات ربات الخدور. القاهرة. المطبعة الكبرى الأميرية. ١٣١٢ هـ.

* العماد الحنبلي. ابو الفلاح عبد الحي. ت ١٠٨٩ هـ. شذرات الذهب. بيروت. المكتب التجاري.؟. (سلسلة ذخائر التراث العربي).

* الفاسي. تقي الدين حمد بن أحمد الحسني. ت ٨٣٢ هـ. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. القاهرة. مطبعة السنة المحمدية. ١٩٦٩ م.

* ابن كثير. عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي. ت ٧٧٤ هـ. البداية والنهاية في التاريخ. القاهرة مطبعة السعادة ١٣٥٨ هـ.

* كحالة. عمر رضا. اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام. الطبعة الثانية. دمشق. المطبعة الهاشمية ١٩٥٩ م.

* اليافعي. عبد الله بن أسعد. ت ٧٩٨ هـ. مرآة الجنان. الطبعة الثانية. بيروت. مؤسسة الاعلمي. ١٩٧٠ م.

* ياقوت الحموي. معجم البلدان. بيروت. دار بيروت. ١٩٥٧ م.

نظرية المعنى

بقلم : محمد زياد كبة

اللغة نشاط بارز من النشاطات الانسانية. وهي لشدة قربها منا غالبا ما لا نراها الرؤية الصحيحة الموضوعية. فنحن نحدث الناس ونصغي اليهم وهم يحدثوننا دون أن نعير الكيفية التي يتم بها التخاطب اي اهتمام أو تفكير. وبديهي أن نقول ان المرء يحرك عضلات النطق المعروفة فيصدر اصواتاً معينة يسمعها الشخص المخاطب فيفهمها. وبناء على فهمه يقوم برد الفعل المناسب. فقد يجيب بالكلام او الحركة او يجيب بتعابير الوجه الى آخر ذلك من انواع ردود الفعل المعروفة.

فكيف يستطيع الانسان ان يترجم تلك **الرموز الصوتية** الى معان يدركها ويفهم مغزاها؟

تشير الدراسات التي قام بها **علماء اللغة والمنطق** الى وجود قدرة كامنة في دماغ الانسان تمكنه من التمييز بين ما يسمعه من الكلام فيقبل الصحيح منه ويرفض الخاطئ (على الصعيد اللغوي البحت). ومما يلاحظ في نشاط الانسان اللغوي انه يعطي تفسيراً واحداً لجملتين مستقلتين اذا كانتا مترادفتين في المعنى. أي انه يدركها بنفس الطريقة وان كانتا مختلفتين من حيث المفردات. كما يستطيع الانسان في المقابل ان يعطي اكثر من مجرد تفسير واحد لجملة معينة اذا كان هنالك نوع من الالتباس أوالغموض فيها. اما اذا كانت الجملة حاوية على عناصر متناقضة فيرفضها سريعاً كأن نقول مثلا: «**الماء الحار بارد**» فالماء اذا كان حاراً لا يمكن ان يكون بارداً والعكس صحيح.

نظرية المعنى

ومن جهة أخرى يمتلك الانسان القدرة على استنتاج المضامين، أي ان لديه القدرة على استنتاج بعض الحقائق التي تتضمنها الجملة التي تعرض له. فاذا قلنا مثلاً «جاء ابن اخي لزيارتي» لفهمنا مباشرة ان اخي متزوج.. وهكذا.

لقد ظل علماء اللغة والمنطق مدة طويلة يحاولون التوصل الى نظرية محددة تشرح كيفية ادراكنا لرموز اللغة ومعانيها. ويطلق على هذه النظرية اصطلاحاً اسم «**نظرية المعنى**». ومن احدى النظريات تلك التي تقول ان لكل فكرة اوكلمة في اللغة صورة مسبقة في الذهن. واعتقد أن لدى الكثيرين منا شعوراً مبهماً بأن المعنى يرتبط بشكل من أشكال الصور. الا أن هذه الفكرة خاطئة في الواقع لسبب بسيط وهو أن هناك الكثير من المفاهيم المجردة لا يمكن مقارنتها بأية صورة مسبقة في اذهاننا. فكلمة «**الاخلاص**» مثلا أو «**الحضارة**» أو «**الغدر**» الخ.. لا يمكن ربطها بالصور. فهي تنتمي الى عالم المجردات لا عالم المحسوسات. **ومن هنا كان لزاماً على أية نظرية شاملة تهدف الى شرح ادراك الانسان لمعنى الرموز اللغوية (اصواتاً كانت او حروفاً) ان تأخذ بعين الاعتبار كل ما تحويه اللغة من افكار ومفاهيم. ولنأخذ مثالاً العناصر التالية:**

المنظور .. والمسموع .. والمحسوس

وليس من الصعب ان نعثر على أمثلة في هذا الصدد اذ نقول:

١ شاهدت الكثير من الكتب المفيدة في تلك المكتبة (منظور)

٢ سمعت ضجة تنبعث من الغرفة المجاورة (مسموع)

٣ أحسست بالجوع بعد السير الطويل (محسوس)

٤ كان القماش ناعم الملمس (محسوس)

فالكتب والمكتبة في المثال الاول من الأشياء التي **تدرك بحاسة البصر**. والضجة يمكن ان **تدرك بحاسة السمع**. والجوع طبعا يمكن ان **يدرك بالاحساس العصبي**. والنعومة في القماش يمكن ان تدرك بحاسة اللمس.

ما لا يمكن ادراكه بالحواس

ويمكن ان نلخص ذلك بقولنا **ان بعض الجمل لا تمثل حالة فعلية معينة قابلة للادراك بالحواس** على العكس مما رأيناه في الأمثلة السابقة (١ - ٢ - ٣ - ٤) ونضرب مثالا على هذا الجملتين الاتيتين:

٥ الاخلاص ميزة حميدة.

٦ من الصعب ان تجد صديقا وفيا.

فعلى الرغم من ان المثالين السابقين لا يرتبطان بأي صورة معينة في الذهن الا انهما يشكلان جملتين مفيدتين تامتي المعنى. وهذا يبرهن على اخفاق نظرية ربط المعنى بالصور الذهنية. كما يدل على ان عملية الادراك انما هي أكثر تعقيدا من هذا.

النفي .. والشرط .. والاستفهام .. والأمر

ان على نظرية المعنى الشاملة ان تأخذ في الحسبان جميع أنواع الجمل الاخرى بالاضافة الى الجمل الاخبارية البسيطة. اذ ان من السهل ان نربط قولنا «**الاستاذ في الصف**» بصورة معينة. ولكن من الصعب ان نفعل ذلك اذا اخذنا مثلا «ليس الاستاذ في الصف» او «متى سيصل القطار» أو «قدم له ما يحتاج من المساعدة» فأية صورة يمكن مقارنتها بصيغ النفي او الاستفهام أو الأمر؟

نظرية شروط صحة الكلام

لما كانت كل لغة انسانية تضم عددا لا حصر له من الجمل الصحيحة والمفيدة على نحو يستحيل معه تعدادها وادراجها في

قوائم مبوبة وشرح معانيها بجانبها كما هي الحال في المعاجم، لذا كان من الضروري ان تحوي نظرية المعنى على قواعد تسمح باستخدام التعابير والكلمات بصورة متكررة. فمثل هذه القواعد يمكنها ان تتولى تفسير هذا الحد اللا متناهي من الجمل في لغة من اللغات الانسانية.

لقد كان الفشل نصيب المحاولات الماضية التي كانت ترمي الى وضع نظرية شاملة محددة لانها كانت جميعها عاجزة عن مجاراة الشروط التي سبق ذكرها. الا ان ثمة نظرية حديثة نسبيا تبشر بتحقيق الصرف المطلوب ولو أنها لا زالت بحاجة الى المزيد من التشذيب والتعديل تلك هي نظرية «**شروط صحة الكلام**». ويقصد بها مجموعة الشروط المنطقية التي يجب توفرها لكي تكون الجملة مقبولة منطقيا وواقعيا. وبعبارة اخرى فان معنى الجملة ليس محصوراً بكلماتها بل هو مجموعة الشروط الكاملة والوافية التي يجب ان تكون صحيحة لكي تكون الجملة الاصلية بدورها صحيحة. (هذا بصرف النظر طبعاً عما اذا كان ما تصفه الجملة موجوداً فعلاً في عالم الواقع أم لا، فنحن نتحدث من الزاوية المنطقية). فاذا رمزنا **للجملة** بالحرف (ج) **ولمجموعة الشروط** المتعلقة بصحتها بالحرف (ش) امكننا كتابة العلاقة التالية:

(لا تكون (ج) صحيحة الا اذا كانت (ش) صحيحة).

ولنأخذ مثالاً على ذلك الجملة الاتية:

«طلب الملك شهريار من زوجته شهرزاد ان تحكي له بعضاً من قصصها الممتعة»

ولنحاول ايجاد الشروط (ش) اللازم توافرها لتكون الجملة (ج) صحيحة.

** اولا: هناك ملك اسمه **شهريار**.

** ثانيا: الملك شهريارمتزوج من امرأةاسمها **شهرزاد**.

** ثالثا: شهرزاد تعرف **قصصاً** كثيرة ممتعة.

ويمكننا ان نورد شروطاً اخرى اقل أهمية لكن المهم هو ان نلاحظ انه اذا كان واحد من الشروط تلك غير صحيح فان الجملة الأصلية تفقد صحتها أيضاً. كان لا تكون شهرزاد زوجة للملك شهريار. أو أن لا تكون تعرف قصصاً كثيرة ممتعة.. الخ.

تمتاز نظرية (شروط صحة الكلام) بانها تحقق غالبية الشروط السابقة فهي قادرة على تفسير مفاهيم الترادف واستنتاج المضامين والتناقض في الجمل، وهذا هو جوهر قوتها اذا ما قورنت بنظريات المعنى الاخرى. فاذا قلنا مثلا «قام اللصوص بالسطو على احد المصارف» فان من احد المضامين التي تحتويها هذه الجملة (من الناحية المنطقية) ان يكون هناك مصرف جرت سرقته وهذا طبعا أحد شروط صحة الجملة، فاذا لم يتوفر هذا الشرط كانت جملة غير صحيحة.

أما فكرة **الترادف** في المعنى فيمكن تفسيرها على ضوء نظرية (شروط صحة الكلام) على اعتبار انه اذا كان لجملتين معنى واحد فان لهما بالضرورة ذات الشروط المتعلقة بصحتها كما يمكن تفسير مفهوم التناقض اذا تذكرنا ان معنى الجملة هو مجموعة الشروط الكاملة والوافية التي يجب ان تكون صحيحة لكي تكون الجملة صحيحة. وبناء على هذا التعريف نرى ان الجملة الاتية مرفوضة منطقيا «سيقضي الرئيس الراحل اجازته على شاطئ البحر» اذ أن من ضمن الشروط المطلوبة لصحة هذه الجملة ان يكون الشخص المعني انسانا لا يزال حيا يرزق. وهو عكس ما يفهم من الجملة الأصلية.

وثمة نقطة ايجابية اخرى تدعم هذه النظرية تتمثل في انها تحقق هدف **علم المعنى** الذي يتلخص في اعطاء كل جملة الشروط الكافية والوافية لصحتها، فاذا اخذنا على سبيل المثال الجملة التالية: «غادة امرأة حسناء» لرأينا ان شروط صحتها كافية لشرح معناها كاملا وهي: «غادة انثى بالغة ولها ميزة معينة هي الجمال».

نستنتج مما سبق ان نظرية المعنى التي تقوم على شروط صحة الكلام قوية في كثير من النواحي، لكنها في نفس الوقت ناقصة في نواح عديدة اخرى. منها مثلا انها تعتمد على افكار مسبقة لدى الانسان. وتلك الافكار تعتمد بدورها على افكار مسبقة

نظريّة المعنى

اخرى. وهكذا دواليك مما يشير الى أن النظرية تدور في حلقة مفرغة. ومن جهة اخرى يأخذ بعض المعارضين على هذه النظرية عدم قدرتها على استيعاب الجمل غير الاخبارية كجمل النفي والأمر والأستفهام نظراً لان هذه الصيغ لا تحتوي شروطاً لصحتها. الا ان مؤيديها اوجدوا تفنيداً مناسباً لهذا الادعاء ضمن اطار النظرية ذاتها فقالوا **ان للجمل غير الاخبارية جملا اخبارية تقابلها**. وبناء على ذلك يمكن اعطاؤها الشروط اللازمة لصحتها والحكم عليها اذا كانت صحيحة او غير صحيحة. واذكر على سبيل المثال الجملة الاتية التي تحوي صيغة الأمر: «اقرأ دروسك جيداً» وفي اعتقادي انه يمكن تأويلها على النحو التالي: «اطلب منك (آمرك) ان تقرأ دروسك جيداً» وكذا الحال بالنسبة للمثال: «اتعرف ذاك الرجل؟» اذ يمكن تاويله على أنه يعني «انني أسألك اذا كنت تعرف ذاك الرجل» وهكذا..

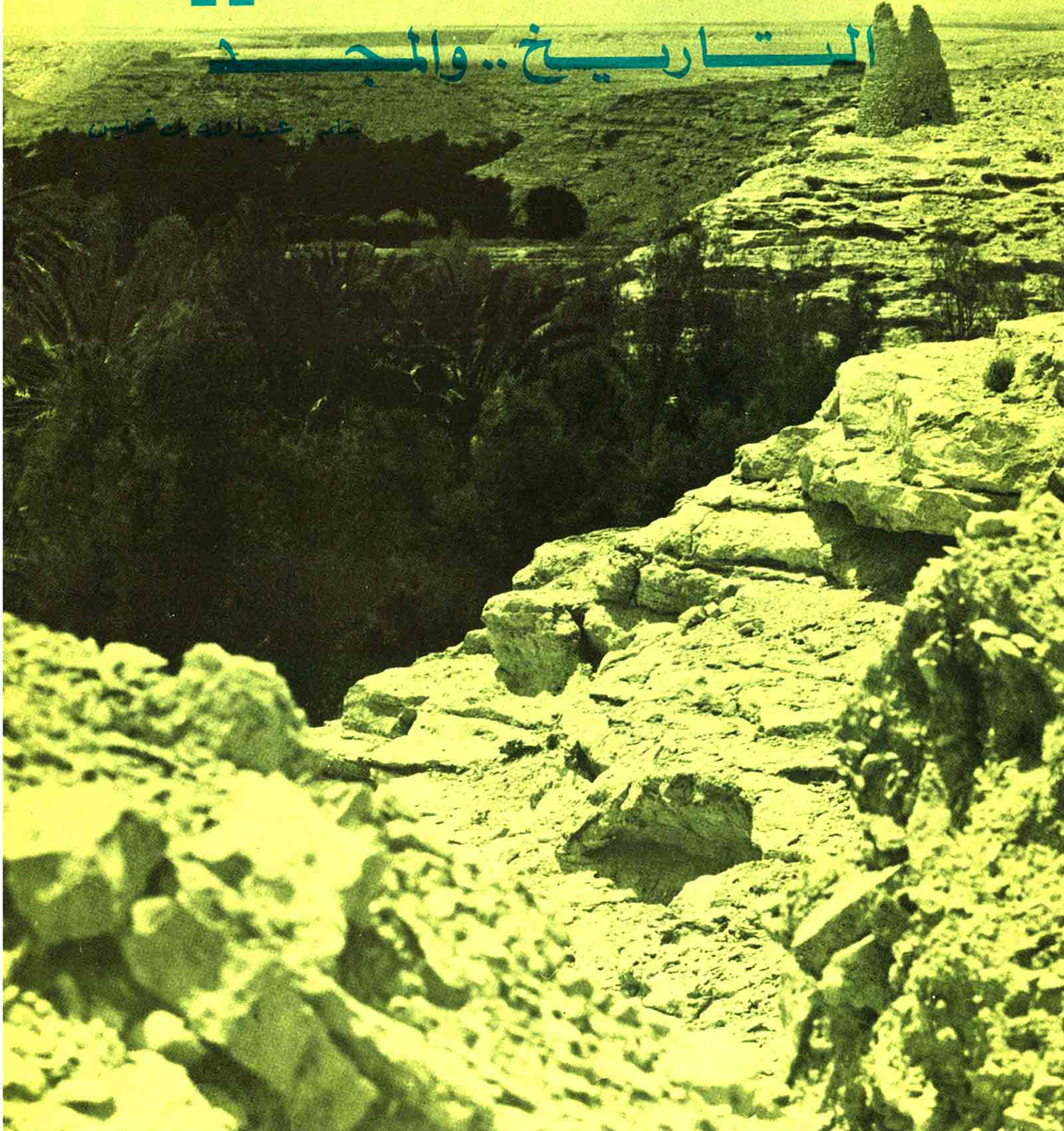
وهناك نقطة اخرى هامة وهي ان الانسان يعرف عن اية جملة ممكنة في لغته الأم معرفة نظرية تتجاوز مجموع الشروط الضرورية لصحة تلك الجملة. فهو يعرف مثلا المغزى البعيد وراءها (كأن يكون تحذيراً او مفاخرة او اهانة.. الخ) كما انه يعرف متى يستخدم جملة معينة في وقتها المناسب. وكيفية التخاطب مع مختلف الناس. **وبالاختصار فان نظرية (شروط صحة الكلام) لم تزل بعيدة عن تحقيق الهدف الكامل الذي يصبو اليه علم المعنى.**

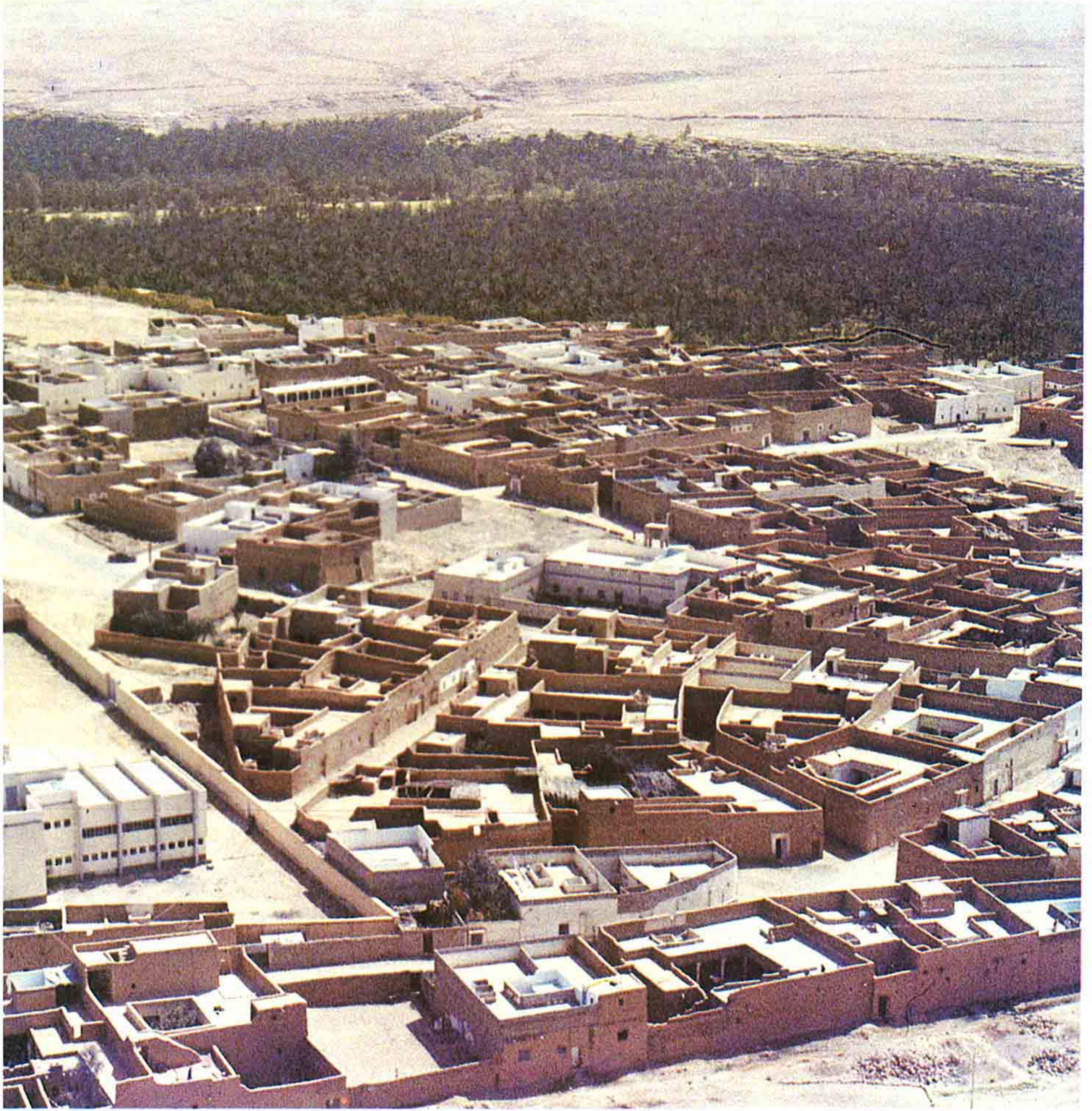
مدينة وتاريخ :

الدرعية

التاريخ.. والمجد

بقلم : عبدالله بن خميس



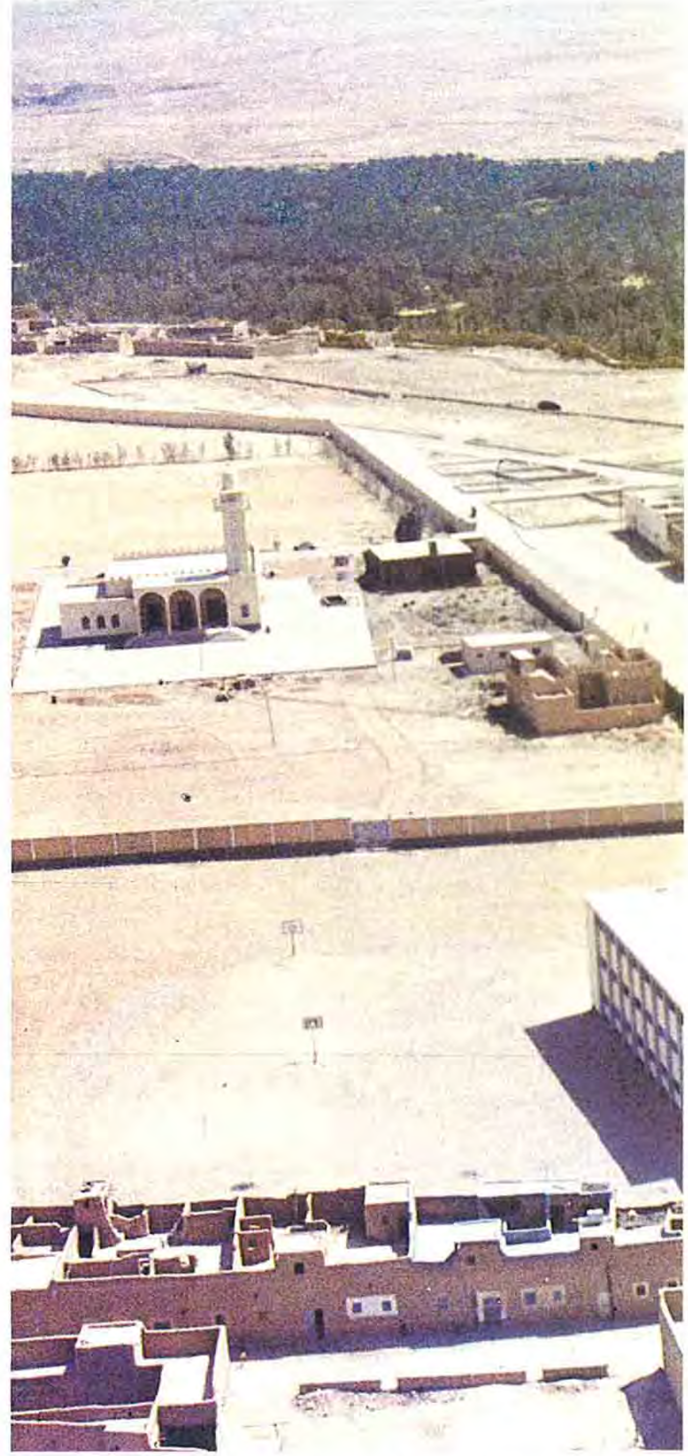


تأخذ مع طريق مزدوج مضاء شطر الشمال الغربي لمدينة (**الرياض**) وعلى مسافة عشرين ميلاً ، وعلى ربوة مرتفعة هناك . يلفت نظرك واد أخضر . متعرج يقبل من الشمال ويذهب الى الجنوب . تقوم على عدوتيه **مزارع النخيل ، والأشجار . والخضروات . والفاكهة** . وعلى ضفته الغربية من رحبة فسيحة فوق ظهر الجبل تلوح **مدينة غامرة منداحة ذات أسوار وحصون وابراج يسمق هنا وهناك فيها جوانب قائمة من قصور مهدمة ومنائر وابراج تشد المنظر وتستهوي الناظر . تشرف على هذا الوادي من علٍ وكأنها تقول « انا هنا » أعبر عن عظمة والتحدث عن مجد وأشير الى تاريخ .**

فأما الوادي فهو (**وادي حنيفة**) من أكبر أودية الجزيرة وأعظمها يقبل من قمم جبل اليمامة (**طويق**) ومن هضابه ومن رحابه وينتظم المدن والقرى والمزارع والارياف حتى ينتهي بحصن (**الدهناء**) شرق منطقة (**الخرج**) في مستقرات (**السهباء**) .

وحنيفة التي يضاف اليها هذا الوادي هي **القبيلة الوائلية الربعية العدنانية** ذات الجد والمجد سكنت هذه المنطقة بعد

صورة من الجو لمدينة الدرعية



القبيلتين البائدتين (**طسم**) و (**جديس**) وكان لها في هذه المنطقة شأن وأي شأن ضرب المثل بقوتها ونفوذها ونزل **القرآن** – على الأرجح – منوهاً ببأسها وقوتها ونفوذها (**ستدعون الى قوم اولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون**).

ولما ظهر **الاسلام** اطاعت «كذابها» وتمادت في عتوها. فجهز لها أبو بكر ثلاثة جيوش قاتلها منها أربعون ألف مقاتل.. وأخيراً تابت وأنابت وقال شاعرها:

رمتنا القبائل بالمنكرات
وما نحن الاّ كمن قد جحد

ولسنا باكفر من عامر
ولاّ غطفان ولاّ من أسد

ولاّ من سليم والفافها
ولاّ من تميم وأهل الجند

ولاّ ذي الخمار ولاّ قومه
ولاّ أشعث العرب لولا النكد

ولاّ من عرانين من وائل
بسوق النجير وسوق النقد

وكنا اناساً على غرة
نرى الأمر من غينا كالرشد

ندين كما دان كذابنا
فياليت والده لم يلد

تلكم هي حنيفة وواديها.

وأما المدينة المطلة عليه فهي (**الدرعية**) أو على الأصح هو (**حي الطريف**) **من مدينة الدرعية حيث يسكن آل سعود** وذووهم واتباعهم.

صدى التاريخ

الدرعية صدى تاريخ. ومنطلق مبدأ. ورمز حضارة ومثل أمة.. قف هنالك أمامها متأملاً واترك ذهنك يستعرض الدرعية عبر التاريخ فكم تمر عليه من صورة وتترى عليه من أحداث وتستوقفه من مشاهد وتتواكب أمامه من عبر..

تأمل الدرعية اسماً منسوباً **للدروع** من بني حنيفة يسكنون هذه المنطقة حقبة من الزمن فبقيت النسبة وباد المنسوب اليه أو هي منقولة من مدينة في «القطيف» تنسب أيضاً للدروع فهاجر منهم رهط استوبأ وأحمى القطيف واستمرأوا هذه المنطقة فنقلوا النسبة وتركوا درعية القطيف نهب الحمى والدمار والضياع حتى لا تحس لها الان من أحد أو تسمع لها ركزا.

انتقل هذا الرهط من الدروع يرأسهم (**مانع المريدي**) الجد الثالث عشر **للملك عبد العزيز** من القطيف ووفدوا على ابن عمهم في وادي حنيفة (**ابن درع**) شاحب (**حجر**) **و** (**الجزعة**) وما حولها من هذا الوادي فاحسن ابن العم **وفادة** هؤلاء وأكرم مستواهم وانزلهم من جانب ملكه ربوة ذات قرار

ومعين، اعطاهم (**المليبيد**) و (**غصيبة**) وما بينها فسموه الدرعية انطلاقاً من أحد التعليلين السابقين. وكان ذلك حوالي سنة (٨٥٠هـ).

فنما في هذه المنطقة الساكن والمسكون. وقويت شكوتهم وامتد نفوذهم وعلا شأنهم وبدأ يضمر نفوذ من حولهم وتتقلص حتى بسط (آل المريدي) نفوذهم على الجزء الأكبر والأهم من هذا الوادي عبر ما يقارب ثلاثة قرون ليكون الزمن (١١٣٩هـ) والحاكم (**محمد ابن سعود بن محمد بن مقرن**) والمدينة هي الدرعية.

* حاكم مرهوب الجانب قوي الشكيمة واسع النفوذ جهير السمعة.

* ومدينة حصينة أمينة أهلها أباة أقوياء أعزاء يجيرون ويأمن لديهم الخائف ويجد أهلاً وموطناً سهلاً.

ويعرف الحاكم وشعبه في هذه المنطقة بالسليقة والفطرة والذوق. ان الاسلام الذي جاء به **محمد بن عبد الله** سليماً من كل شائبة بريئاً من كل خرافة مطهراً مِن كل بدعة.. ليس هو ماهم عليه من تعظيم القبور والطواف حولها والتوجه بالدعاء للأموات دون الله، وتعليق التمائم والتعاويذ والتعلق بالأشجار والأحجار والكهوف.. لا ليست هذه هي حقيقة الاسلام دين الصفاء والبساطة والتعلق بالله وحده واتباع ما جاء به رسوله وما جاء في كتابه وما عليه سلف هذه الأمة.

الدرعية .. ودعوة ابن عبد الوهاب

واذن فالجو صالح جداً لاستقبال **دعوة ابن عبد الوهاب** الذي بدأ ينشرها في المنطقة ويدعو الى اتباعها ففيها حقيقة الاسلام وفيها صدقه وصفاؤه وطهره ونوره.

واذا كان الحكام الاخرون في المنطقة أوجسوا خيفة من احتضان هذه الدعوة واحسوا بما حدثتهم نفوسهم أن يعجزوا عن حمله أو يقووا على مواصلة السير مع امام هذه الدعوة لأنهم سيواجهون هزات ليست سلطتهم أهلاً لتحملها، وليست ارادتهم كفئاً لاحتوائها فهناك رجال سوء ورثوا هذه المبتدعات خلفاً عن سلف واستحكمت في نفوسهم ولهم اتباع واشياع ومريدون.

كانت هذه الأسباب وربما غيرها مما هو على شاكلتها هي التي قعدت بحكام المنطقة عن نصرة دعوة ابن عبد الوهاب وكان ما

بساتين النخيل





شارع النعامة .. من الشوارع العتيقة

عليه محمد بن سعود، وما عليه الدرعية مما سبق وصفه هو الذي رشحها لتحمل هذه الدعوة والتفاني في سبيلها. وما نعتقد أن محمد بن سعود وحده وان كان حاكماً مطاعاً - يستطيع أن ينزع عقيدة من نفوس شعب ويثبت عقيدة أخرى لولا أن هنالك استعداداً مسبقاً لهذا الأمر وقابلية وارهاصا **ولهذا فان محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب لم يلقيا في سبيل اظهار هذه الدعوة في الدرعية من صد ولا رد**. أضف الى ذلك ما نقله بعض المؤرخين من أن عدداً من أهل الدرعية كان يتردد على حلقات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «العيينة» واشربت قلوبهم نور العقيدة السلفية السمحة وسرت في أوساط الدرعية وولجت على النساء في خدورهن حتى أن أول من أوصل خبر قدوم الشيخ الدرعية امرأة محمد بن سعود (**موضي بنت أبو وطبان**) باتفاق مع عدد من أعيان أهل الدرعية ومنهم رهط من آل سعود فيهم اخو محمد بن سعود **ثنيان ومشاري**.



لائحة قبة الحمام

ولنتساءل هنا هل لم يخطر ببال محمد بن سعود وهو يقدم على استقبال محمد بن عبد الوهاب واحتضان دعوته.. هل لم يخطر بباله ما خطر ببال **ابن معمر** مثلا من المخاوف وردود الفعل العنيفة من جراء احتضان هذه الدعوة؟

لا شك انه خطر ببال محمد بن سعود مثلما خطر ببال ابن معمر ولكن هناك عوامل تجعل محمد بن سعود في موقف يختلف عن موقف ابن معمر.

* أولهما: **أن محمد بن سعود يحمل من قوة الارادة وبعد النظر والفراسة مالم يكن لدى ابن معمر** فمحمد بن سعود يدرك من واقع التاريخ ومن مكونات الأمم انها لا تقوم الا على دعامتين أساسيتين أو أحداهما وهما **العقيدة الدينية أو القومية القبلية** (كما يقول **ابن خلدون**) يدرك هذا محمد بن سعود وبتجربته ومعرفته لمكونات الأمم. وهذا مالم يوفق له ابن معمر.

* ثانيا: **أن محمد بن سعود يدرك من حقيقة شعبه**

بالدرعية انه يتشوق لواقع ديني بريء من كل شائبة وريبة ويدرك أن قبساً من دعوة ابن عبد الوهاب قد دخل الدرعية ولاقى رواجاً وقبولاً فسوف يكون له شعبه خير معين وخير أمين ينشر هذه الدعوة ويجاهد في سبيلها.

* **ثالثا: لم يكن محمد بن سعود يرضخ لسلطة خارجية يخافها ويرجوها كحال ابن معمر مع ابن عريعر حاكم الاحساء فابن سعود مستقل بحكمه ومستقل برأيه.**

* **رابعا**: وهو الاهم والانفع والانجع انها **دعوة في مرضاة الله وسبيله وقد وعد الله بنصر من نصره (ان تنصروا الله ينصركم) (ولينصرن الله من ينصره).**

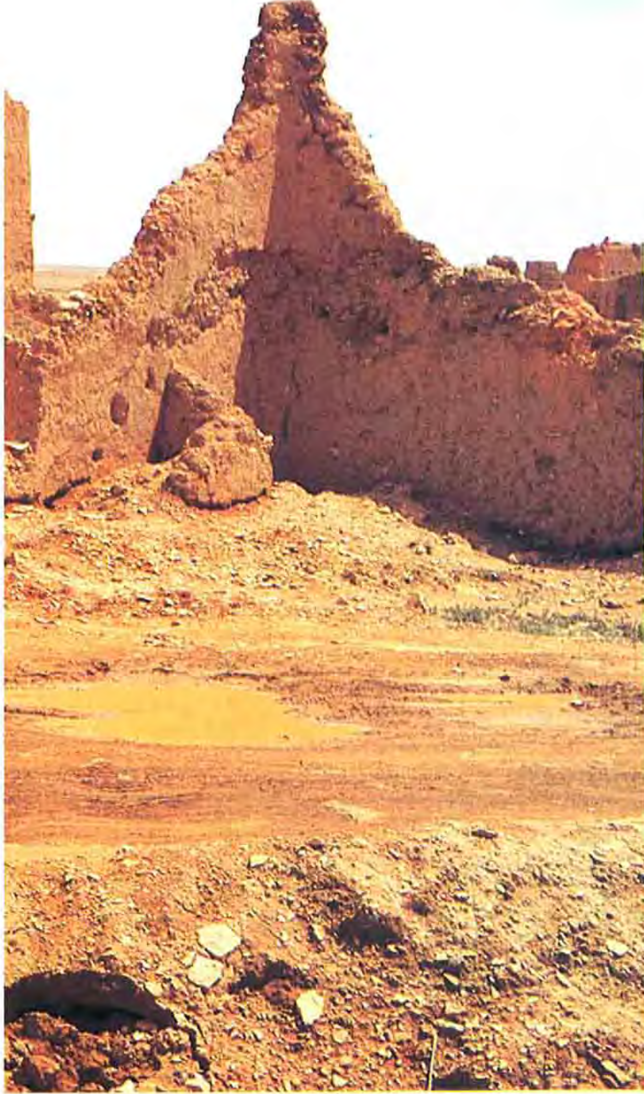
(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون).

* **خامسا: لقد استمع محمد بن سعود دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فاستوعبها فهما وآمن بها عقيدة واخذها على نفسه عهدا**.. ومثل ذلك يصعب اقتلاعه والنكوص عنه.

على أساس هذه المبادئ والارهاصات قدم الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدرعية فكان ما توقعه فيها وبها من أهلية لتحمل هذه الدعوة والجهاد في سبيلها والسير بها الى المستوى اللائق بها وبهم...

بدأ الشيخ محمد بنشر دعوته على مستوى الدرعية وفي أوساطها فكان تحولا في مجتمع الدرعية لا نظير له وكانت حلقات الذكر والتدريس وكانت حركة علمية وذهنية يعج بها مجتمع الدرعية لم تلبث أن تجاوزت حدودها وارياقها الى البلدان الاخرى عن طريق الاقناع والجاذبية والواقعية.

عندها أدرك الحكام المجاورون وأدرك سدنة القبور وعباد الاموات من رجال الجهل أن هذا أمر له ما بعده وأن السلطة التي يتمتع بها الحكام مهددة والمعنوية التي يتمتع بها العلماء في طريقها الى الاضمحلال فكان العداء السافر وكانت المقاومة اللسانية.. وكان الشيخ يقابل هذا بالحسنى وينشر دعوته بالرفق واللين انطلاقاً من منهج الاسلام في الدعوة ومن سبيل المصلحين قبله. سلك هذه السبيل ما وجد الى ذلك سبيلاً. واذا تعذر نجاح هذه الطريقة واعذر من هداية المدعوين استعمل سبيل **الجهاد** ما



شهر السلاح في وجهه وناصبه خصومة العداء طريقة الاسلام ومنهجه في ذلك..

وأخذت هذه الدعوة في السيرورة لتغطية الجزيرة جمعاء ومنها الى عموم اقطار الارض يقوم لها أنصار وأعوان ومريدون.

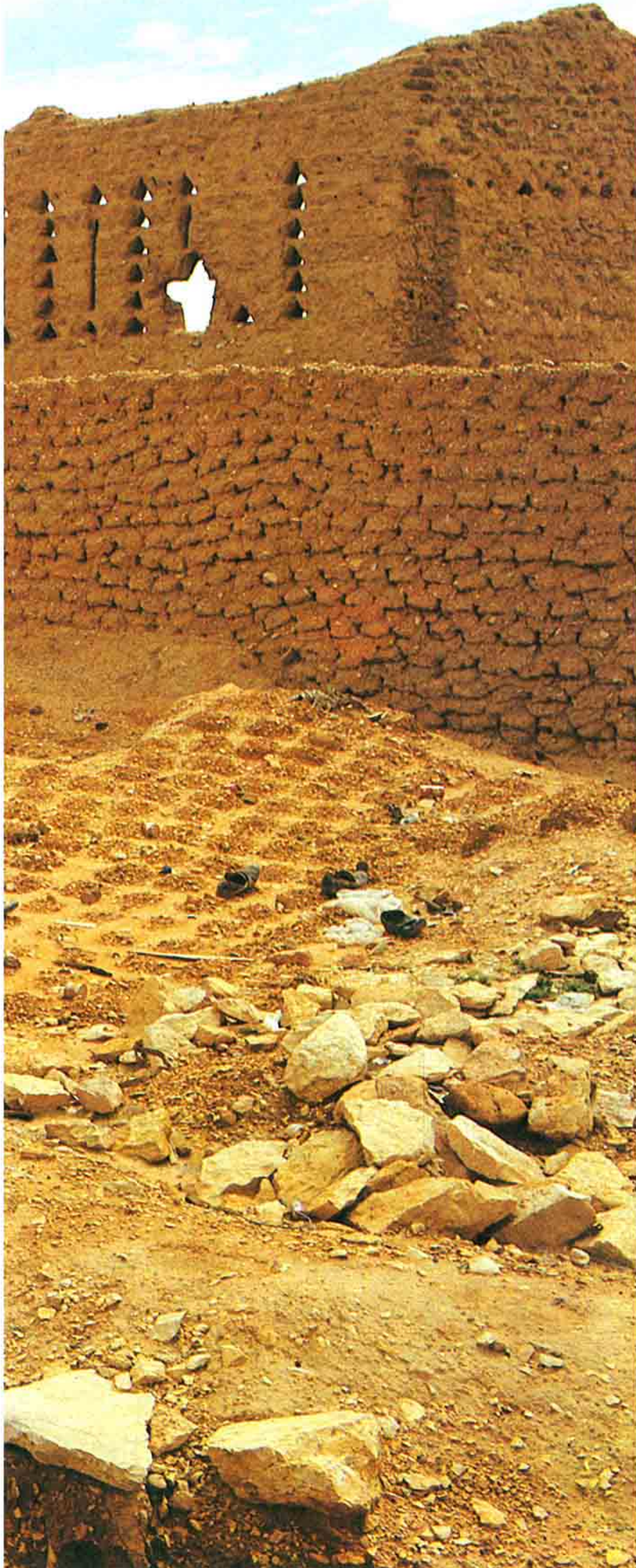
وقد كتب عن هذه الدعوة وصاحبها علماء أعلام من أمثال **أحمد أمين. والزيات. والطنطاوي. وخزعل. والعطار. والفتال** وغيرهم كثير.



أحد قصور آل سعود

فخلاصة دعوة ابن عبد الوهاب هي الرجوع بالمسلمين الى ما كان عليه سلف هذه الأمة في صدر الاسلام عهد الخلفاء الراشدين صافياً نقياً لا يعرف البدع ولا تتطرق اليه الشوائب. والأخذ بالنص الصريح والنقل الصحيح صحيح المنقول لا يختلف مع صريح المعقول. يوم كان أهل الاسلام قمة في السمو والمثالية والقدوة الحسنة.

وكما ساء الحكام والعلماء الذين يلون الدرعية في أول عهد دعوة ابن عبد الوهاب فتلاشى عداؤهم وبادوا. فكذلك ساء أمثالهم في أطراف جزيرة العرب وخارجها فلقد هالهم سرعة انتشار هذه الدعوة وجاذبيتها وخافوها على سلطتهم وكراسيهم ونفوذهم فناصبوها العداء وأعلنوا ضدها حرباً لا هوادة فيها واستعدوا ضدها الباب العالي بأن ليس الأمر مقتصراً على الاستيلاء على الحرمين الشريفين والمقدسات بل سوف يتعداها الى ولايات أخرى وسوف تطرق هذه القوة الناشئة أبواب **الاستانة** ان



لم تخضد شوكتها وتعضد في شبابها المبكر.

واذن فلا بد للاستانة أن تستجيب ولا مفر لها من الاستجابة ولكن كيف ومن ذا يتولى هذه المهمة ويضطلع بعبئها أيكون والي **الشام** على مقربة من **نجد** وليس بينه وبينها بحر وكذا ليس بينه وبين **تركية** حاجز طبيعي وفي استطاعته أن يجند من قبائل **الشام والعراق وشمال الجزيرة** من يريد وفي استطاعته أن يستعمل من ادوات النقل الموجودة ذلك الزمان في تلك المناطق ما يكفي لنقل جنوده ومعداته وتموينا‌ته وكل الأسباب متوفرة والسبل مناسبة. وما قلناه عن والي الشام ينطبق تماما على والي العراق **وفلسطين** فلماذا اذن يقع الاختيار على **محمد علي** والي مصر بالذات؟

ان الاستانة قد أخذت توجس من محمد خيفة فقد ورم أنفه وقصب جبينه وأخذ يبدي للباب العالي جفاء وترفعاً اعتماداً على نفوذه في مصر وعلى ما تدره عليه هذه البلاد المعطاء من خيرات.

ولو حاولت الاستانة اقتلاعه من مصر فانه يصعب عليها ذلك.

ولكن لماذا لا تضرب عصفورين بحجر **لماذا لا تضرب الدرعية بمحمد علي ومحمد علي بالدرعية؟**

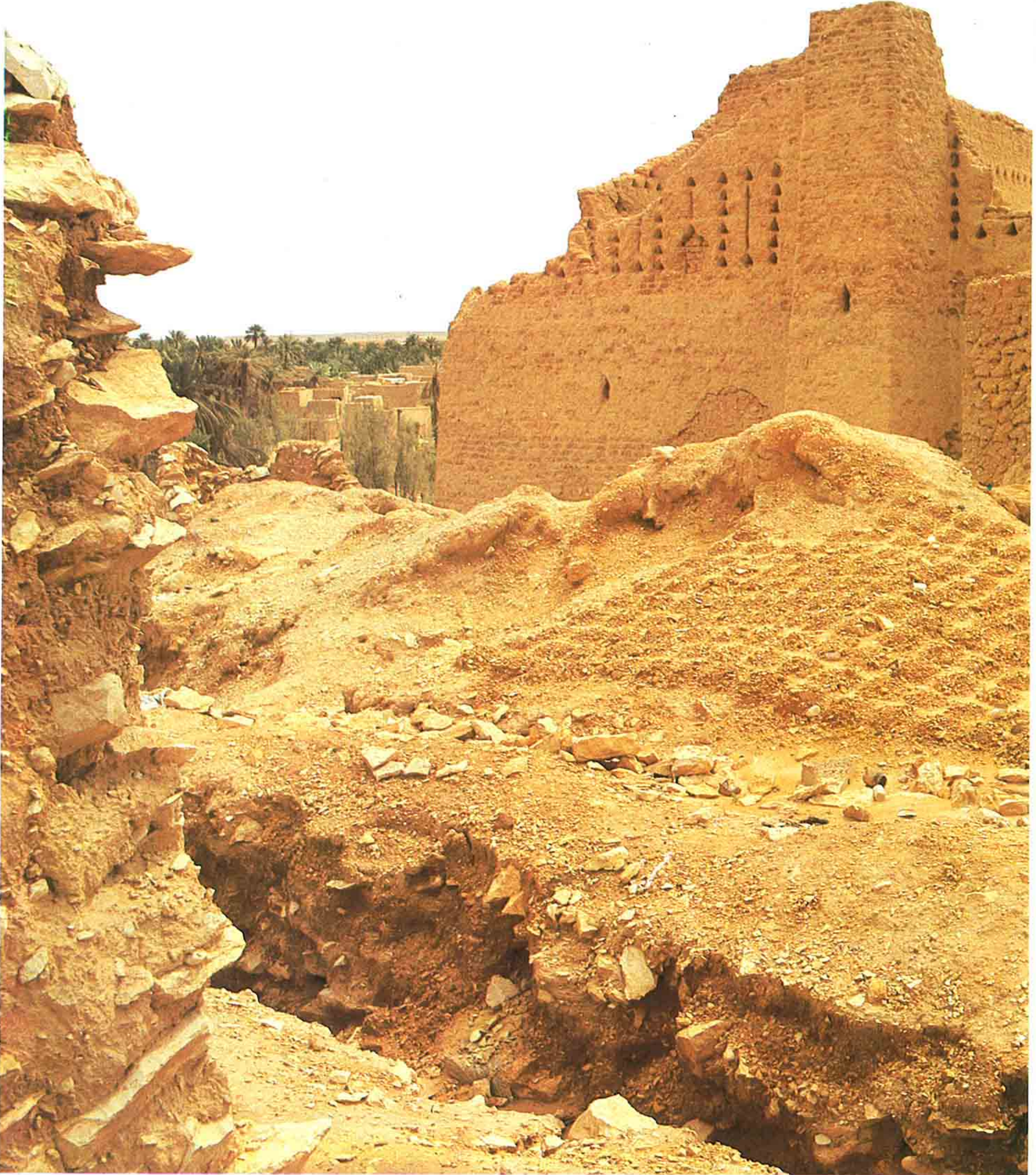
ان في استطاعتها أن تمد محمد علي بشيء من المال لا يرهق خزينتها اعتماداً على كثرة دخل مصر وفي استطاعتها أن تمده بجنود من المرتزقة من ولاياتها الكثيرة من **الانكشارية والدالاتية والتركمان والارنؤود والسجمان والبشناق**. فعقدت العزم على أن يتولى محمد علي حرب النجديين فاسندت اليه هذه المهمة فاستجاب رغبة في قوة السلطة وسعة النفوذ وتمثيل العظمة. فأمدته بما استطاعت أن تمده به وتركت البقية لارهاق الشعب المصري بالضرائب والمكوس ونهب خيراته والتصرف بمقراته ففعل..

وجهز (أول ما جهز) جيشاً بقيادة ابنه **طومسون** فلقيهم **النجديون في (وادي الصفراء) بين ينبع والمدينة المنورة** فهزمهم النجديون وقضوا على حملة طومسون قضاء مبرماً.

فأبى محمد علي الا العناد والمكابرة فقاد الحملة الثانية بنفسه فدخل **الحجاز** وأبعد النجديين عنها بعد حروب ومناوشات جرت بينهم وبين ابنه طومسون في الحملة الثانية.

ثم جهز الحملة الثالثة بقيادة ابنه **ابراهيم** فسار الى نجد وكانت أول هزيمة نزلت بالنجديين على منهل (**ماوية**) ومنها سار ابراهيم باشا الى (**الرس**) فحاربه أهلها محاربة الأبطال وانزلوا به خسائر كبيرة وأخيرا صالحوه فصفى بقية (**القصيم**) ومنها سار الى (**شقراء**) فحاربته واشتدت في حربه وأخيراً صالحته ومنها سار شطر (**العارض**) فحاربته (**ضرمى**) وأمعنت في حربه والحقت به

قصر سعد



خسائر كثيرة وأخيراً احتلها وقتل مقاتليها ونهب مالها وخرب بنيانها وساق نساءها واطفالها الى الدرعية ضمن حرب الأعصاب التي يشنها الى جانب حروبه المستعمرة.

معارك الدرعية التاريخية

ومن (ضرمى) دفع الى (الدرعية) فحاربته وجدت في حربه وأمعنت في مواجهته فكانت معارك دامية ومواجهاته ضارية فكانت «**موقعة الحريقة**» و «**موقعة السلماني**» و «**موقعة ناظرة**» و «**موقعة البليدة**» و «**موقعة كتلة**» و «**موقعة خيس نصر الله**» و «**موقعة قليقل**» ثم وقائع من حي الى حي ومن موقع الى موقع شهوراً متواصلة قتل فيها من الفريقين مئات من الناس. وقد ذكر **ابن بشران** قتلى الغزاة بلغوا نحوا من اثنى عشر الفا ، عشرة آلاف منهم في الدرعية **لقد أبلى أهل الدرعية في هذه الحرب بلاء حسناً ودافعوا مدافعة الأبطال** ولبسوا اكفانهم واستماتوا ولم يبقوا حرجاً

قصر الفصاصمة



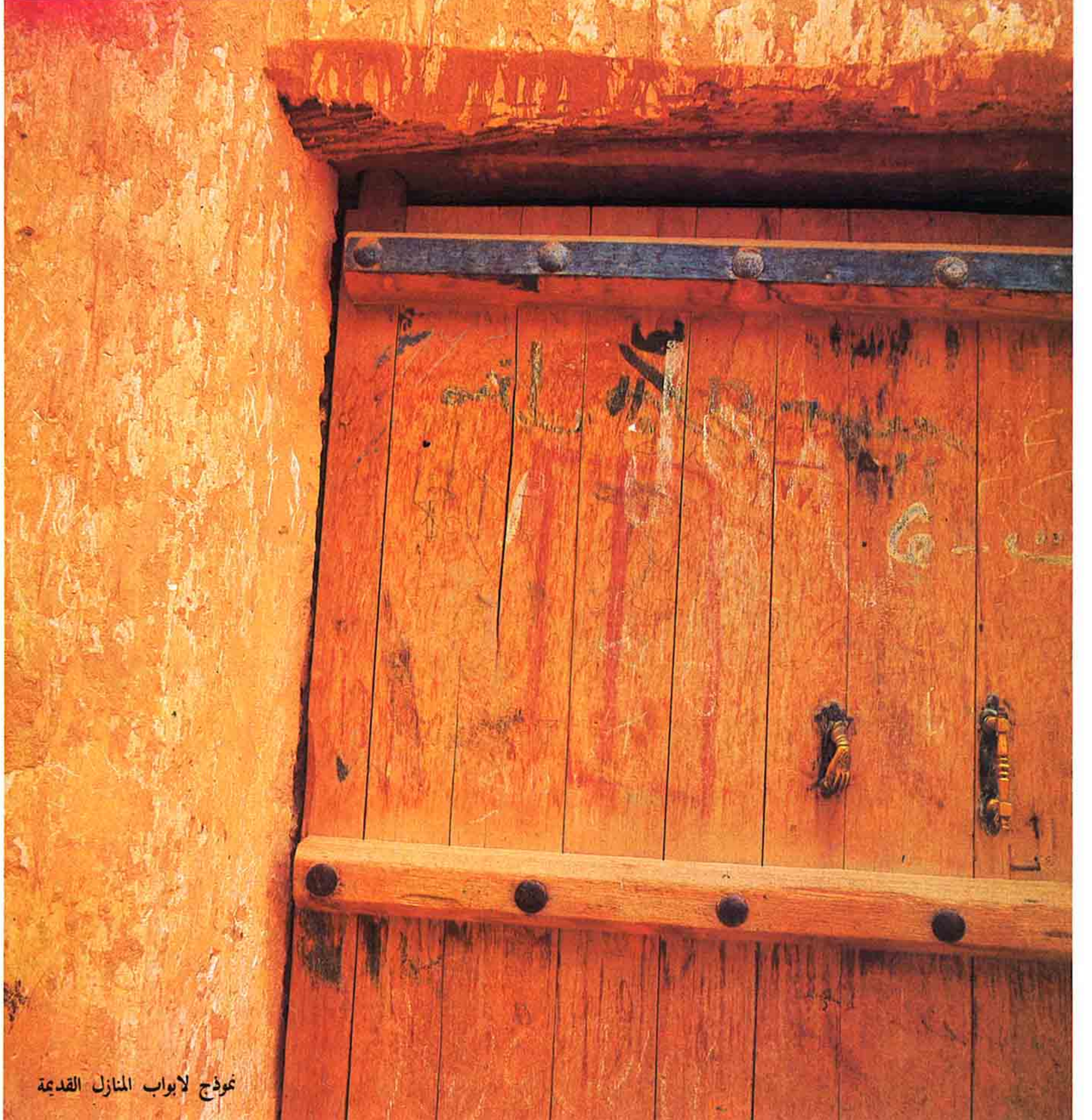
في النفوس ولا ملامة يلامون عليها والحرب منذ كانت الحرب، الحرب غالب ومغلوب ومهزوم ومنتصر ولله في خلقه شئون.

وسقطت الدرعية في ايدي الغزاة واستسلم القائد عبد الله بن سعود على أن يبقوا على البقية الباقية من أهل الدرعية وأن تصان المحارم وتحقن بقية الدماء.. فحمل القائد ومعه رهط من آل سعود الى محمد علي بمصر ومنه الى الاستانة حيث شنق هنالك رحمه الله.

ولم يكتفوا بما تم بل توالت البعوث والسرايا والقيادات فدقت الدرعية وحمل اهلها الى ثرمداء حيث ابيدوا هنالك وشردت النساء والأطفال وكأنما يحمل هؤلاء الغزاة ذحور وكأنما يدفعهم حقد أسود وضغينة ممتلئة غضباً وقلوباً لا تعرف الرحمة ونفوساً لا تعرف معنى للخير ولا سبيلا من سبل نظام الحروب..

معالم الدرعية الباقية

وبقيت الدرعية اطلالاً خاوية وأسواقاً موحشة ومساجد



نموذج لابواب المنازل القديمة



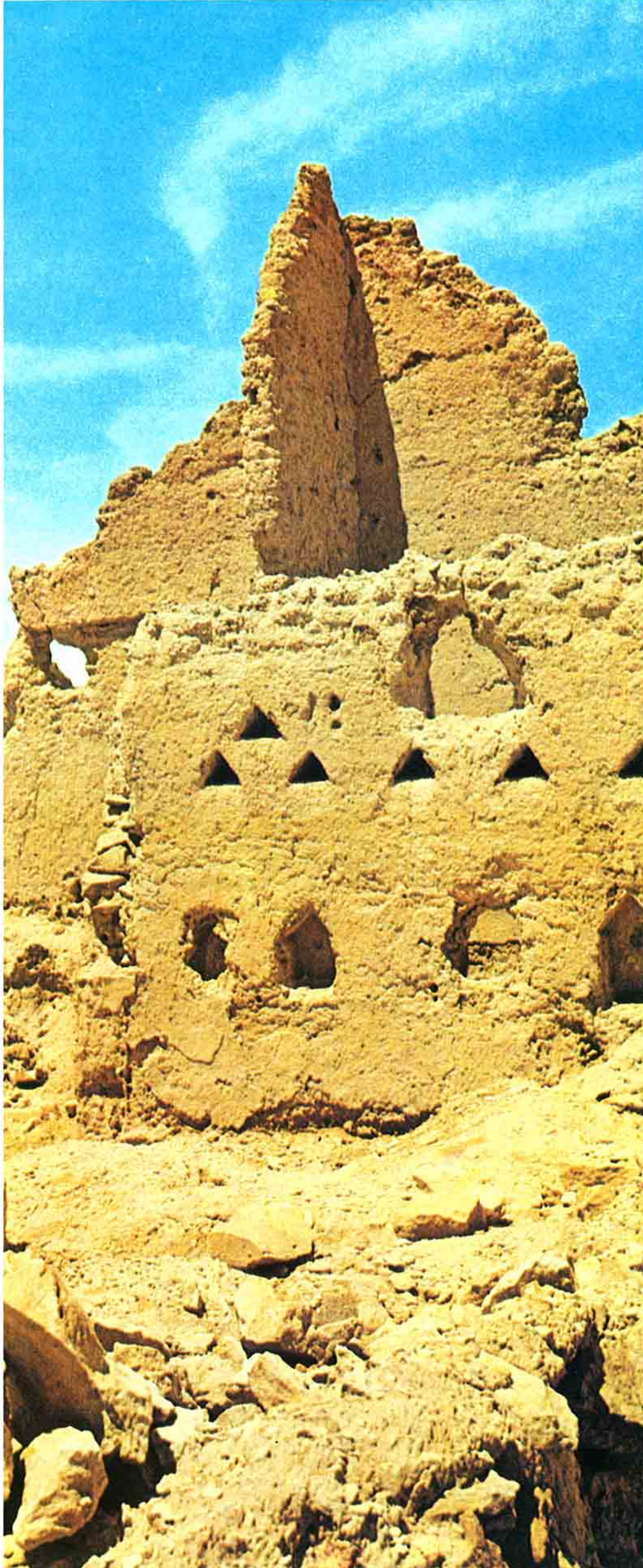
ومدارس ومجتمعات.. عبرة للناظرين وعظة للمتوسمين تشاهد رؤوساً بارزة من هذه الأطلال وأعلاماً ومعالم تدل على العظمة وترمز الى المجد وتشير الى حضارة كانت فبانت..

تشاهد **(سلوى)** زاوية لا تزال قائمة من قصر سعود بن عبد العزيز وكأنما هي تقول باد الغزاة وبقيت اهزأ مما صنعوا.

وتشاهد **قصر سعد بن سعود وبيت المال وحصن الدريشة ومسجد الطريف وقصر عمر بن سعود.**

وتشاهد **ثلاثة أسوار** خلف مدينة الدرعية لا تزال تشهد على عظمة البناء وقوة البناء مطرزة **بالابراج** التي كان لها ولمن فيها اثناء الحرب مواقف خالدة **كبرج شديد اللوح، وبرج الحريقة، وبرج المعلنية، وبرج قرى قصير وناظرة وغصبة وكتلة والقرن والرفايع**.. وتشاهد بقايا الاحياء الاخرى غير الطريف تشاهد **غصيبة حي آل دغيثر والروقية حي آل سويلم وظهرة سمحان والبجيري والمريح وملوي والسريحة والسهل والطوالع** وغيرها من الأحياء التي كانت في يوم من الأيام عامرة بالسكان مغطاة بالعمران وتشاهد **سوق الدرعية** على ضفتي الوادي يمتد في منطقة واسعة وتتوازعه الأسواق الفرعية لمختلف الأجناس والأصناف والسلع **وتغزوه البضائع من الشام ومصر واليمن والعراق وعمان** وتغاديه القوافل وتراوحه من هذه الاقطار ومن اطراف الجزيرة ومناطق الانتاج فيها.. ويصدر منها من القوافل مثل ما يردها تصدر قوافل الشام محملة ببضائع **اليمن** وبالعكس وقوافل شرق الجزيرة محملة

أحد ابراج حي الطريق



ببضائع غربها وبالعكس.

مدينة حضارية في قلب جزيرة العرب هي همزة وصل بين الاقطار شمالاً وجنوباً وغرباً وشرقاً ليست تخدم التجارة والاقتصاد فقط ولكنها ملتقى تعارف ومصدر معرفة ومركز علم وتعليم ونشر ثقافة،هذا السوق لا تخلو جوانبه من **حلقات تدريس ومجمعات وعظ ومذاكرة وتذكير بأيام الله. ومساجدها تغص بالمعلمين والمتعلمين وتنجب علماء وأدباء ومثقفين.**

ويتخول هذه الأسواق وهذه المدارس حكام الدرعية بالمجالس اليومية تتلى فيها آية الحق **وتدرس كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ والأدب وعلوم اللغة العربية وآدابها.**

ألم تر الى هذه العاصمة كيف كانت مصدر نور واشعاع وحق وثقافة وبر وخير والى مجتمعها كيف كان مجتمعاً سليماً مستقيماً يسوده الفضل وتعمه الاستقامة..

والى هذه المدينة مركز تجارة ومركز اقتصاد وملتقى عرب ومسلمين.

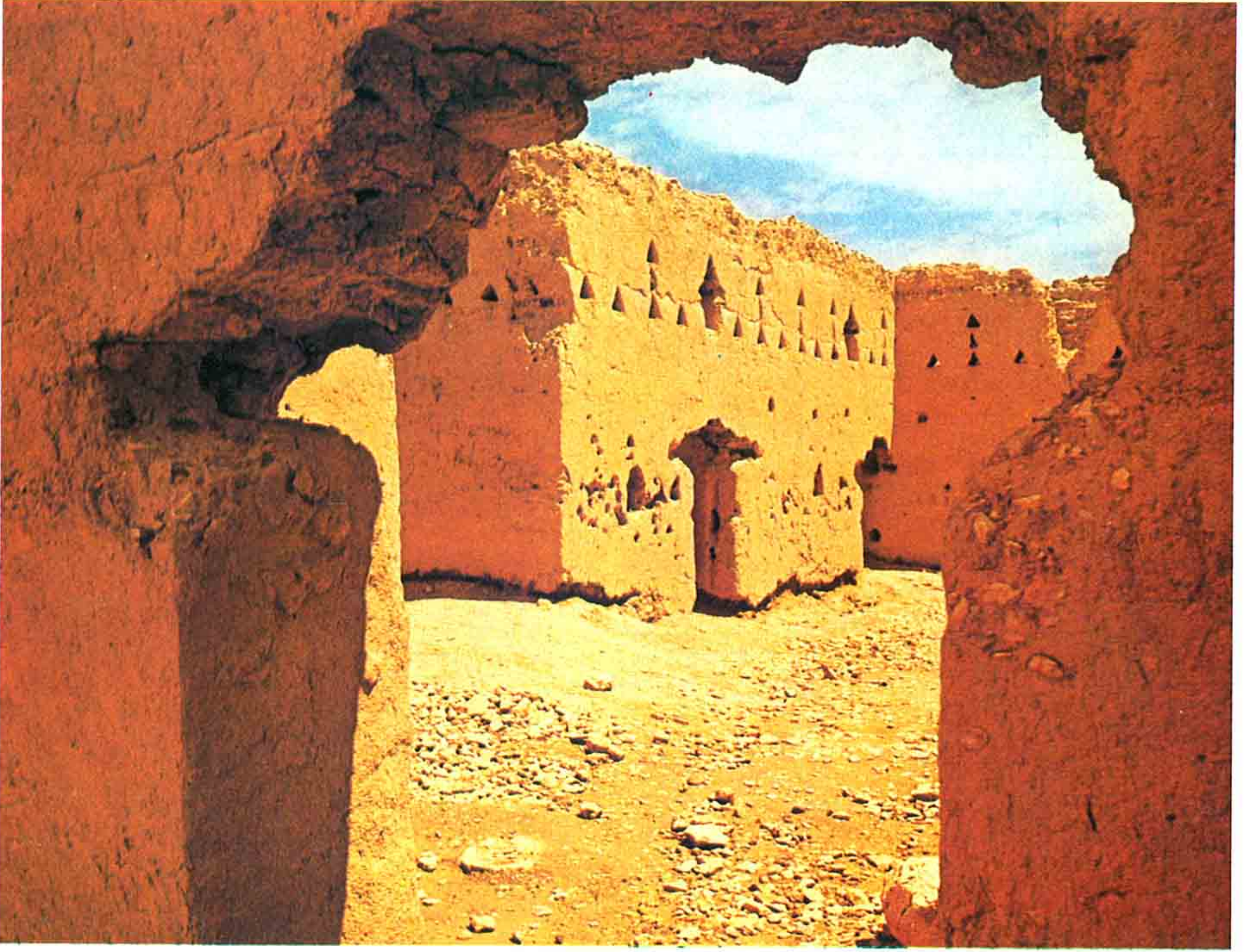
ثم ألم تر بعد خاوية هامدة أطلالاً بفعل الغزاة؟ كيف فقد العرب والمسلمون في قلب جزيرة العرب قاعدة متينة وعاصمة أمينة تنشر الفضل والخير والعلم والمعرفة وتدرأ الشر والطغيان وغوائل اعداء الاسلام؟

فقد فقدّ العرب والمسلمون بفقد الدرعية في قلب جزيرة العرب مصدراً لعزهم وقوتّهم منذ ما يقرب من مائتي سنة لو بقيت الى هذا العهد ما هو الدور الذي ستلعبه في العرب والمسلمين ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

الدرعية .. وعبق الشعر

هذه هي الدرعية رمز تاريخ وقاعدة عقيدة وركيزة حضارة ومنطلق أمة.. قف أمامها متأملاً وتابع صور التاريخ واقرأ في صفحاتّها الباقية ما أغنت وأقنت وأنشد معي:

لها غابر من وارف المجد شافع
وعون من الفعل الجميل بدائع
تسامت فمنها المكرمات نواطق
وقالت وآذان الزمان سوامع
اشارت الى الدنيا باصبع هيبة
له الحق رد، والعقيدة وازع



محامد شكرى بالمعالي فكلها
مداره في سمع النهى ومصاقع
لها السيف من وادي حنيفة مصلت
تناغيه ابطال حماة بواتع
اجادوا فنون الحرب من عهد تبع
كأن المنايا ان لقوها مراضع
اذا سمعوا العوجا تداعوا كأنهم
ظماء دعتها للورود شرائع
هم القوم ان يدعى الوغاء فانهم
ذووه وان يدعى الوفى فطلائع
وما حذقوا قرع الطبول تدلها
ولكن الى الهيجا تهيج المقارع
أما ههنا قد كان عز ودولة
ومجد يسامي هامة النجم فارع
وأودى فاما ساكنوه فغودروا
رمما لهم تحت التراب مضاجع
وأما الحصون الفارعات فانها
طلول يهيج الذكريات خواشع

مصادر البحث

١ عنوان المجد في تاريخ نجد – عثمان بن بشر
٢ عجائب الآثار في التراجم والاخبار – عبد الرحمن الجبرتي
٣ جمهرة أنساب العرب – ابن حزم
٤ الشيخ محمد بن عبد الوهاب – حسين الخزعل
٥ الرسالة – أحمد حسن الزيات
٦ زعماء الاصلاح – أحمد أمين
٧ الشيخ محمد بن عبد الوهاب – أحمد العطار
٨ الشيخ محمد بن عبد الوهاب – الطنطاوي

المجلة: الصور المنشورة مع هذا الموضوع مصدرها ادارة الآثار والمتاحف في المملكة العربية السعودية. الرياض.

غفران

د. عبدو مسوح

حَسِبْنَا ليالينا تَطولُ وتمتدُّ ... واذْ بثوانيها كأيامِنا تَعْدو
رفيقَ الصِبَا عشنا حياةً هنيئةً ... اذا ما ذكرناها يحرِّقنا الوجدُ
يقولون: خُلدُ الناسِ في المالِ والغِنى ... واقسم: ايام الشباب هي الخُلْدُ
وكُنَّا نرجِّي الدهرَ يجمعُ شملَنا ... فلما التقينا جُنَّ من يأسه البُعْدُ
ألا قاتل اللهُ الزمانُ فكلما ... بنينا قصوراً جَدَّ في محوها الهَدُّ
فلا بقيتْ نعمى نُفَيَّاً ظِلَّها ... ولا دام من أنسامِها ذلك الرَّندُ

* * *

اخي وبلادُ الله تفصِلُ بيننا ... أما آن للاحبابِ من غربةٍ عَوْدُ ؟
نعيشُ على الذكرى ونقتاتُ حلمَنا ... فياليتَ من نهواه في ليلِنا يبدو

* * *

وقائلةٍ واللؤمُ ياكلُ صدرَها ... وقد نَفَخَ الاوداجَ من حِقْدِها الحقدُ
كفاكَ .. أما تنسى عهودا قطعتَها ... وقد كثر الواشون وارتحلت «هندُ»
فقالت: ذَريني اجرعُ الشجوَ والأسى ... فان شفيعَ المغرمين هو العهد
نموت ونحيا..والأسى يبعثُ الأسىٰ ... وليس لبلوانا زمانٌ ولا بُعْدُ
واخشى مقالَ العاذلين: لقد سلا ... وينعتني العشاقُ أنِّيَ مُرتَدُّ
وكُنتُ اذا ما اهتزّ غصنٌ بروضةٍ ... يؤرقني ذكرُ المليحةِ والقدُّ
وان نظرت عيناي رمَّانَ أيكةٍ ... تَخَيَّلْتُ ذاكَ الصدرَ جَمَّلَهُ الهندُ

* * *

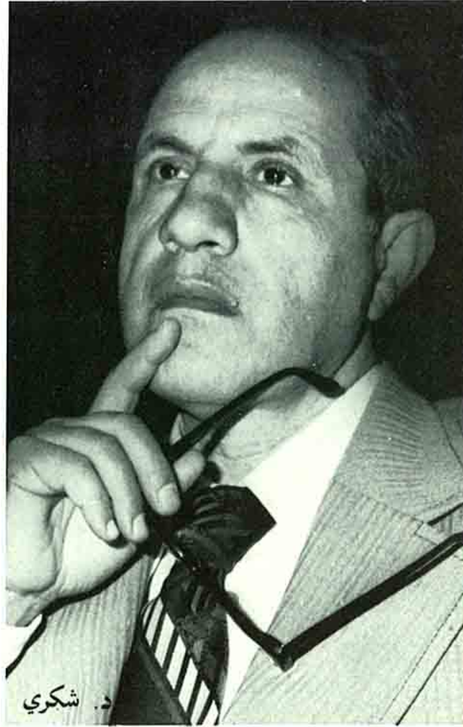
أأحبابَنا إنَّا نهيمُ بذكركم ... ويُحيي امانينا الصبابةُ والوُدُّ
وكنا لكم حصناً يذودُ عن الحِمى ... وزَنداً لِرَدِّ الكيدِ ان أعْوَزَ الزَّنْدُ
وكانت عيوني في هواكم سواهراً ... فلم تغفل الحُرَّاسُ او ترقد الجندُ
وزهَّدَني في الناس اني احبكم ... وانكمُ الملجا وانكمُ القصدُ
وما لسواكم ان يحلَّ مَحَلَّكُمْ ... وما قبلكم قبلٌ ولا بَعْدَكُمْ بَعْدُ
وانتم لنا روحٌ وراحٌ وسَلْوَةٌ ... وانتم لنا المالُ المُجَمَّعُ والرِّفْدُ
ونصفحُ عنكمْ ان فتكتم بقلبنا ... وليس لنا إلاَّ التَوَدُّدُ والحمدُ

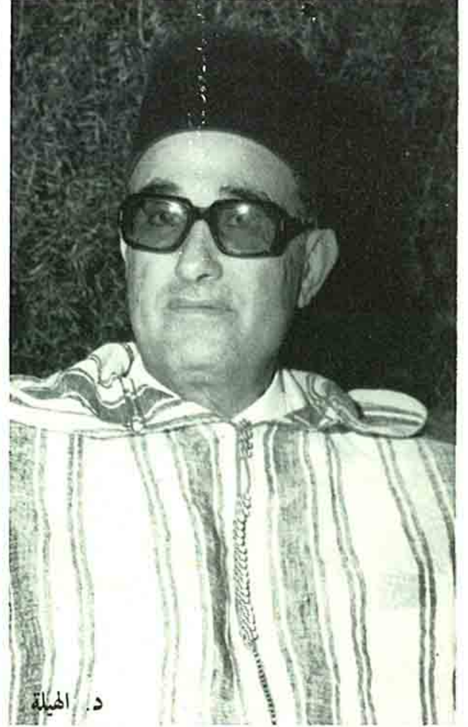

د. سعيد




. بن الخوجة


القرعاوي


د. شكري


د. الهيلة

ندوة الشهر

المجامع العربية

اللغة العربية لغة الضاد .. هذه اللغة السامية العريقة ظلت طوال حقب تاريخها الماجد رغم كل الرياح التي وقفت في وجهها لغة العلم .. والأدب .. والحضارة في كل العصور .. وقبل كل ذلك فهي لغة القرآن الكريم معجزة الدين الاسلامي الذي أنزل من السماء هدى ورحمة للعالمين.

وقد أثبتت اللغة العربية قدرتها على **التجدد** .. **والتجديد** .. ومرونتها الاصيلة على استيعاب معطيات العلوم .. والفنون والآداب .. والحضارات الانسانية.

والتاريخ يشهد لها بهذه القدرة التي واكبت حضارة العرب والمسلمين في **الاندلس** .. **وبغداد** .. وغيرها من الحضارات.

واذا كانت هذه اللغة قد واجهت كثيرا من **التحديات** العنيفة في الماضي خرجت منها منتصرة بفضل همم علمائها المخلصين الذين أفنوا حياتهم في خدمتها .. وتعميق أصالتها في نفوس الأجيال المتعاقبة فانها اليوم تواجه تحديات اكثر شراسة وعنفا من أعدائها الذين يسعون لتقويضها، من ناحية .. كما تواجه امتحانا عسيرا أمام هذا السيل من معطيات العلم الحديث من ناحية أخرى.

وكما كان لها في الماضي رجالها الذين واجهوا بها كل التحديات فانها لم تعدم اليوم امثال اولئك الرجال الافذاذ .. والارض التي أنبتت رجال الأمس .. ورجال اليوم لن تبخل بان يكون لها من رجالها في المستقبل من يحمل الامانة بصدق واخلاص وتضحية لتظل العربية كما كانت لغة العلم .. والحضارة .. والأدب .. والفن.

واطلالة سريعة على الجهود التي تبذل اليوم في خدمة اللغة العربية حفاظا على مكانتها الكبيرة تجسد كل هذه المقولات الصادقة.

فقد دخلت هذه اللغة المجالات الدولية .. وأصبحت واحدة من اللغات العالمية الرسمية المعترف بها في المؤسسات الدولية كمنظمة الامم المتحدة .. ومنظمة الطيران .. وغيرها من المنظمات الدولية .. وهذا الاعتراف لا يأتي بجديد .. واذا كان قد جاء متأخرا فلظروف لا يجهلها ابناء هذه اللغة.

ومن الجهود التي بذلت لخدمة اللغة العربية انشاء المجامع المختلفة (**مجمع القاهرة**، **مجمع دمشق**، **مجمع بغداد**. واخيرا **مجمع عمان** في الاردن). هذا الى جانب **اتحاد المجامع العربية** .. **ومكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بمدينة الرباط في المغرب الأقصى** مضافا اليها **الجهود الفردية** لعلماء اللغة العربية على اختلاف اقطارهم وامصارهم.

وندوتنا لهذه الشهر التي شارك فيها نخبة من العلماء الافاضل في البلاد العربية تدور حول المجامع العربية .. ودورها التاريخي الكبير في المحافظة على لغة القرآن .. والجهود المبذولة في تعريب **المصطلحات العلمية** .. **والعسكرية** .. **والفنية** .. وغيرها من المصطلحات من حيث تصحيح اللسان العربي .. ومقاومة الاتجاه المنزلق نحو العامية .. خاصة فيما يتعلق بالاشكال الفنية الحديثة **كالتمثيليات** .. **والمسرحيات** .. **والقصص**.

وحين تقوم المجلة بتخصيص ندوتها لهذا الشهر حول هذا الموضوع فانما تقوم به انطلاقا من ادراكها لاهميته .. وقد ركزت عليه في اعدادها التي صدرت من خلال الدراسات التي نشرتها لعدد من المختصين .. والمهتمين بشؤون اللغة العربية وقضاياها المختلفة .. ومن خلال لقاءاتها على مستوى الجهات الرسمية المسؤولة.

..مالها وما عليها

اشترك فيها :

د. محمد الحبيب الهيلة - تونس

عبد العزيز الرفاعي - السعودية

د. جميل سعيد - العراق

د. عبد الجليل شلبي - مصر

الحبيب بن الخوجة - تونس

عبد الله القرعاوي - السعودية

د. شكري فيصل - سوريا

محمد ارمزيان - المغرب

د. نعمان السامرائي - العراق



حدود وظيفة المجامع العربية

** من **تونس** تحدث الدكتور **محمد الحبيب الهيلة** المشرف على **مركز الابحاث الاسلامية التابع للكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين** بتونس .. وعضو قسم التاريخ الاسلايم في مركز الابحاث والدراسات الاجتماعية والاقتصادية قائلا :

«لا شك ان المجامع العربية تقوم بدور هام في الحفاظ على اللغة العربية، فوجودها في العالم العربي أمر متاكد ضروري، وما قامت به هذه المجامع من جهود في شد أزر لغة القرآن وتقوية جانبها لا يمكن ان ينكره النزيه من المثقفين».

ثم يطرح سؤالا هاما «هل نحجب هذه المجامع في اداء ما هو مطلوب منها في مجال تعريب المصطلحات العلمية والفنية والعسكرية ؟» ويجيب بنفسه «لا نستطيع ان نجد الجواب المقنع الواضح الا اذا كنا واقعيين».

ثم يتابع حديثه «اننا لا نستطيع ان نطالب هذه المجامع بتعريب كل المصطلحات العلمية والفنية التي ظهرت في جميع لغات الامم المتقدمة علميا شرقيها وغربيها. فنحن لا نستطيع ان نطالبها بتعريق ما يظهر من المصطلحات في كل سنة وعدد هذه المصطلحات يتزايد في كل شهر .. بل في كل اسبوع. لا نطالبها بكل هذا لان امكاناتها محدودة والسيل الجارف من المصطلحات يفوق الحصر. واذا ما الححنا في مطالبتها بذلك ولم نجد منها استجابة تامة رحنا نتهمها بالقصور او التقصير شأننا في ذلك شأن بعض **المستشرقين** واذيالهم الذين مازالوا يركزون الهجوم على هذه المجامع ليفقدوا **المثقف العربي** الثقة بمجامعه اللغوية العلمية وينزعوا من قلبه الايمان بجدواها».

ويعود ليسأل مرة أخرى «ما هو موقف رجال الاختصاص العلمي والتقني العرب من المصطلحات التي عربتها المجامع العربية ؟ هل اطلعوا عليها ؟ هل استعملوها في بحوثهم ومراكزهم العلمية ؟ هل تداولوها بينهم ؟ هل اعطوها نفس الحياة ومكنوها من البقاء باستعمالهم لها ؟»

ويحدد **وظيفة المجامع** «ان وظيفة المجامع تقف عند حدود تعريب الكلمة وان وظيفة المجتمع العربي ان يعطي تلك الكلمة رواجا وحياة، وذلك باستعمالها وتداولها وادخالها في اللغة العلمية والتقنية وعندها نتعرف على مدى نجاح هذه المجامع واخفاقها.

«وهكذا يتبين لنا انه ليس للمجتمع العربي والمثقف العربي خاصة ان يتهم هذه المجامع او يشك في اهمية دورها وعلينا ان نتحمل مسؤوليتنا الكبيرة في التؤدة والبطء الذي تسير عليهما حركة تعريب المصطلحات».

ثم يدافع عن المجامع برأيه «اعتقد انه ليس على المجامع ان تقوم بتعريب كل المصطلحات العلمية والتقنية نظرا الى ان الكثير من هذه المصطلحات عالمية يستعملها علماء العالم في أقصى بلاد **الصين واليابان** كما يستعملها زملاؤهم في **اوروبا وامريكا** فلماذا لا يستعملها العربي كذلك ؟ ونكون قد سرنا على سنن اسلافنا من

علماء وعصور ازدهار **الحضارة الاسلامية** الذين استعملوا المصطلحات العلمية **اللاتينية واليونانية** دون مركبات نقص وافادوا الحضارة الانسانية بمصطلحات علمية عربية دون مركبات غرور».

«ويكفينا ان نطالع **الكتب العلمية العربية القديمة** – من طب وهندسة وحسابيات وفلك وغيرها – لنتعرف على مواقف اسلافنا القدماء الذين احسنوا التصرف فحسن اثرهم وافادوا الحضارة الانسانية».

ويستمر في **دفاعه** «لا اكتمكم ان في الجزء الأخير من سؤالكم ما أثار استغرابي. **فانا لا اعتقد ان المجامع العربية مسؤولة على مقاومة الاتجاه المنزلق نحو العامية وخاصة في الفنون الحديثة كالتمثيليات والأفلام السينمائية والقصص وحتى الشعر**».

«**ان ما يظهر في مجتمعاتنا العربية من آثار فنية أدبية انزلقت نحو العامية أو العربية السقيمة هو من الأخطاء الاجتماعية الخطيرة**. على المجتمعات العربية ان تقاومه بالاعراض عنه وعلى اجهزة الاعلام والتثقيف والتوعية ان تقلل من حدة نشره وتقديمه للجمهور العربي وعلى نقاد الادب الاصليين ان يقولوا كلمتهم فيه، وعلى مدارس التعليم العربية ان توجه اذواق الناشئة نحو أدب تأصلت لغته فهل قامت كل هذه الجهات بواجبها حتى نطالب المجامع العربية بمهمة كهذه ؟ ثم هل أعطت مجتمعاتنا سلطانا وأثرا لمجامعنا على مصادر هذه الانحرافات اللغوية والذوقية ؟»

ويطرح **الدكتور الهيلة** سؤالا آخر من خلال دفاعه عن المجامع لا يقل أهمية عن الاسئلة الاولى: «ان اعمال مجامعنا العربية تسير على منهج جاد فهل قامت مجتمعاتنا المثقفة بما يجب عليها ؟» ترى .. من يجيب على هذه الاسئلة الهامة ؟ سؤال تطرحه المجلة.

نجاح في جانب معين

** ويشارك الاديب والباحث السعودي .. وصاحب سلسلة «المكتبة الصغيرة» الثقافية الاستاذ عبدالعزيز الرفاعي برأيه في الندوة قائلا:

«احسب ان مجامع العربية تؤدي مهامها في الحدود المرسومة لها. كأجهزة .. واذا قسنا نجاحها بما وضعته من معاجم واصطلاحات وبما قامت به من انشطة في تلك الحدود المرسومة وما اصدرته من كتب ومجلات .. فاننا نستطيع أن نقول إنها ناجحة على هذا الحسبان.

«اما اذا اردنا أن نقيس نجاحها بمدى شيوع الفاظها المعربة واصطلاحاتها .. وبمدى تقويم ألسنة الناس .. او بمدى انتشال اللغة العربية من الالفاظ الدخيلة خاصة بالنسبة للاجهزة الحضارية في مختلف مرافق الحياة – اذا اردنا ان نقيس نجاحها بهذه المعايير .. فان مدى نجاحها ضئيل وغير ملحوظ.

«ان الشعوب العربية الآن تتلقف الالفاظ الحديثة او المصطلحات الجديدة من **الصحف والاذاعة والتلفاز** وهذه الاجهزة كلها لا تتقيد باجتهادات المجامع .. بل كثيرا ما تنقل المسميات كما هي في لغاتها .. او قد تجتهد أحيانا اجتهادا حرا لا يخضع لتوجيه سليم .. وهي قد تتعارض في استعمالاتها حيث تختلف هذه الاستعمالات من بلد لآخر ولا أفكر ان بعض العاملين في هذه الاجهزة قد يوفقون في اختيار مصطلحات ملائمة .. او وضع مصطلحات ملائمة .. ولكن هؤلاء ندرة .. وهم كثيرا ما يتميزون بكفاية لغوية جيدة لا تتوفر في كل حين ولا لكل احد .. ان على المجامع ان تفكر في وسيلة تضمن لجهودها الذيوع والشيوع والسيرورة».

دور العلماء .. والادباء

** اما الدكتور **جميل سعيد ابراهيم** عضو مجمع بغداد في العراق فيضع اللائمة على العلماء والادباء .. لا على المجامع العربية ويقول:

«ان المجامع العربية تؤدي مهمتها في الحفاظ على اللغة العربية بتعريب المصطلحات العلمية والفنية والعسكرية وغيرها.

وهي تحاول جاهدة ان تذيع ما تعربه وما تصطلح عليه بين الناس وهي بهذا تيسّر السبيل لذيوع الالفاظ والمصطلحات العربية بدلا من الالفاظ والمصطلحات الاجنبية كما انها تعمل **باتحاد المجامع العلمية واللغوية** الى توحيد هذه المصطلحات في استعمالها بين البلدان العربية كافة».

«اما هل نجحت في تصحيح لسان الناس ومقاومة الاتجاه المنزلق نحو العامية ؟ فاستطيع أن اقول انها تؤدي واجبها في هذا ويؤدي لو التفت العلماء والادباء الى ما تعربه المجامع من ألفاظ ومصطلحات وعمدوا الى استعماله في تآليفهم العلمية والفنية لأن تأليفهم هذه هي التي تشيع بين الناس وهي الواسطة الاولى لاشاعة ما تعربه المجامع، والناس – في الغالب – يأخذون في استعمال هذه الالفاظ مقلدين لهم قبل ان يأخذوها عن المجامع اللغوية».

التعليم هو الأساس

** **والدكتور عبدالجليل عبده شلبي من مصر** (الأمين عام

لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ركز على أهمية التعليم ودوره الكبير في تقويـم اللسان قائلا:

«لا ريب ان مجامعنا العربية حققت كثيرا من **النجاح** في اداء رسالتها – وليست وظيفتها تقويم الألسن والقضاء على اللغة العامية في الألسن والمؤلفات – فهذا وظيفة المدارس ووظيفة المؤلفين وكتاب المسرحيات والروايات. ولكن **وظيفة المجامع لغوية بحتة** – وقد أخرج مجمع اللغة العربية في مصر **قاموسا لغويا** فيه كثير من الجديد .. وله مجلته القيمة. وحقق كثيرا من الالفاظ والعبارات – أباح اشياء كانت محظورة لانه وجد لها أساسا في اللغة ومنع استعمالات كثيرة شائعة لانها لا تتفق وقواعد اللغة. وفعلت مثل ذلك المجامع الاخرى».

«كل ما في الأمر **ان مستوى هذه المجامع كمستوى الجامعات والمدارس والصحافة .. هبط كثيرا عما كان عليه منذ اربعين عاما** .. ويرجع ذلك الى الظروف العامة التي تحيط بعالمنا العربي وضغوط السياسة وتطورات المجتمعات والتوسع في فتح المدارس – كل ذلك هبط بمستوى التعليم وادى هذا الى هبوط مستوى الخريجين. وهم الذين يتولون شؤون الصحافة والمجامع والجامعات».

الكلمة المستعملة .. هي الكلمة الحية

** أما **مفتي الديار التونسية الشيخ الحبيب بن الخوجة** فيرى ان نجاح تعريب أي مصطلح متوقف على استخدامه واستعماله لا في حفظه في الكتب والدفاتر ويشرح وجهة نظره:

«ان الدور الذي تضطلع به مجامع اللغة العربية في مختلف اشكالها، دور هام وجاد وان كانت الخطوات التي تقطعها المجامع وئيدة. فهي لا تستطيع بسهولة مسايرة العصر ومواكبته بسرعة في كل ما يجد من مصطلحات واستعمالات تقنية وفنية وعلمية ولو اننا عدنا الى ما تم ضبطه من مصطلحات لوجدناها مع ذلك كثيرة. والعائق الوحيد في طريقها هو عدم التعريف بها ونشرها على أوسع نطاق حتى تدخل المدارس ووسائل الاعلام وتصبح اقلام الدارسين والباحثين والمؤلفين والكتاب والشعراء ونحوهم، تستخدم هذه المصطلحات الجديدة استخداما يعطيها الحياة ويمكنها من ان تسجل وجودها لا في الدفاتر الموضوعة بالرفوف والسجلات التي لا يقف عليها الا الخاصة ولكن في الاستعمال اليومي وفي مسرح الحياة.

«فالكلمة المستعملة هي الكلمة الحية والكلمة المحتفظ بها والتي لا تعرف الدوران على الالسن كلمة ضعيفة جافة مؤودة من حين ولادتها لما يحوط بها من اغفال واهمال ينتهي الى الجهل بها ولانكران لها».

مسؤولية الاعلام والتعليم

** **والاديب السعودي الاستاذ عبد الله حمد القرعاوي مدير عام مؤسسة اليمامة الصحفية** يفند الجوانب التي اسهمت فيها المجامع العربية.. والجوانب التي لم تساعدها إمكاناتها من التأثير على الوسط الاجتماعي.. وهي مسؤولية وزارات الاعلام – والمعارف – والتعليم – والصحافة في البلاد العربية ويشرح وجهة نظره قائلاً:

«يحتاج الرد على هذا السؤال الى وقفة طويلة لمراجعة ما أنجزت المجامع اللغوية في العالم العربي، وهي المجامع العربية الثلاثة في كل من القاهرة ودمشق وبغداد.»

«والانطباع السائد لدى الناس ان المجامع لم تؤد الدور المطلوب منها أداؤه، وينعكس هذا في التعليق اللطيف الذي يتندرون به عن تعريب كلمة «**ساندويتش**» بأنها «**شاطر ومشطور وبينهما كامخ**» ولا شك ان هذا التندر لا يمثل الواقع الذي وصلت اليه اعمال المجامع اللغوية والا فاننا سنجيب بدون تفكير طويل.. اغلقوها وأريحونا.. ولكن.. وضع المجامع كما هو وضع أي جانب من جوانب حياتنا الثقافية والفكرية.. لا شك ان له وجهين.. فليس بالصورة الضعيفة المتخلفة التي يصفها تعريب «الساندويتش» وليس بالحالة التي يتمناها حتى يتمنى للغتنا العربية الرائعة ما هي جديرة به من مكانة بين لغات العالم.»

فالمجامع لا شك قامت بدور في الحفاظ على اللغة ولكنه دور لا يتناسب مع مكانتها اضافة الى انه بجانب الحفاظ على لغتنا تحتاج المجامع الى ان تعي دورها في إثراء هذه اللغة بالكثير والكثير مما يستجد من مصطلحات علمية وفنية وادبية في اللغات الاخرى وأخص بالذكر **المجال العلمي** الذي نحن بأمس الحاجة اليه وحين أقول العلمي فانني لا اقتصر على مجال العلوم بمعناها الحرفي في اللغات الاخرى (SCIENCE) وانما اقصد كل ما يدخل في نطاق هذه الكلمة بمعناها العربي أو هي بصورة أدق ما يمكن أن نعبر عنه بتعبير آخر بقولنا: العلوم **التجريبية وعلوم الرياضيات** وبالتأكيد فان هذا مجال واسع يحتاج الى متخصص يعطينا الرأي الصحيح فيما قدمته المجامع نحو العلوم بترجمة المصطلحات العلمية الحديثة الى لغتنا.

«أما في **المجال العسكري** فان المجمع اللغوي قد أصدر مجلدين كبيرين في هذا المجال لا أشك في انهما نافعان جدا لشبابنا العاملين والمتخصصين في العلوم العسكرية.»

ولكن الشيء الذي يبدو أن المجامع لا توليه عنايتها او هي توليه اياها ولكن جهودها تذهب ادراج الرياح هو مادخل على حياتنا الحديثة من أسماء لأدوات ووسائل حديثة أصبحت جزءا من حياة كل فرد مثل الهاتف (**التلفون**) والمرناه او التلفاز (**التليفيزيون**) وغيرها وغيرها فهذه ما زال الناس في كثير من البلدان العربية – حتى التي لم تصب بالاستعمار – يستعملون الكلمات الفرنجية نفسها مع شيء من التحريف في بعض الاحيان.. وهذه مناسبة طيبة ان ندعو المجامع ووزارات المعارف ووزارات الاعلام والصحافة في بلادنا العربية الى محاولة تبني اعمال المجامع وجهوده في تعريب المصطلحات والتركيز على استعمال المصطلحات حتى يتعود الناس عليها شيئاً فشيئاً.

أما الشق الثاني من القضية وهو مقاومة انزلاق ألسنة الناس واتجاههم الى استعمال اللهجات العامية وخاصة بالنسبة للفنون الحديثة كالتمثيليات والمسرحيات فلست اعتقد أن المجامع اللغوية قد قامت بأي جهد في هذا المجال.

وان كانت قد فعلت فهو شيء لا يذكر ولا أثر له في أي بلد عربي تنهض فيه مثل هذه الفنون وتتوافر فيه المسارح أو دور العرض وربما كانت المجامع أو طبيعة تكوينها أو وسائلها أضعف من أن يكون لها التأثير الواسع الذي تملكه جهات تنفيذية أخرى مثل وزارات التعليم والمعارف أو وزارات الاعلام أو الصحافة ووسائل الاعلام وهي التي تملك التأثير الأكبر في اذابة الفوارق اللغوية او على الاصح تقريب اللهجات بين الدول العربية.

الأمر في يد السلطات العربية

** ومن سوريا يسهم الدكتور شكري فيصل عضو مجمع دمشق** برأيه في هذه القضية واضعاً المسؤولية الكبرى على **الحكومات العربية.. او الاجهزة المسؤولة عن اللغة العربية في هذه الحكومات فيقول:**

هل هناك شك في ان المجامع اللغوية قد نهضت بمهمتها خير نهوض خلال هذه الفترات التي وجدت فيها؟ لقد كان **مجمع دمشق** هو المجمع الاول أو – كما وصفه الدكتور **ابراهيم مدكور** رئيس مجمع القاهرة هو (**المجمع الاب**) ثم كان **مجمع القاهرة** ثم كان **مجمع بغداد** ووجد مؤخراً **المجمع الجديد في عمان في الاردن**

وكان لهذه المجامع كلها فضلها الكبير في تأكيد اهمية اللغة العربية في المجالات العلمية بصورة خاصة ولعل من أجل مظاهر نجاح هذه المجامع **ان التدريس في جامعة دمشق يتم باللغة العربية وبالمؤلفات العربية في كافة فروع المعرفة العلمية والادبية على السواء** في الطب والحقوق والعلوم التطبيقية والنظرية وليس هنالك فرع من هذه الفروع كلها ليس فيه كتاب مؤلف ومقترحات غربية.

واذا فليس امر نجاح هذه المجامع بالشيء الذي تختلف عليه ولكن يحسن ان نلاحظ ان الذي تحتاج اليه الفروع العربية انما هو الاخذ بهذه المصطلحات واستخدامها فعلياً في الجامعات المختلفة.

هذه ناحية والناحية الاخرى تتصل بسعة الميدان العلمي فنحن نواجه كل يوم مصطلحات جديدة في فروع المعرفة المختلفة وليست المجامع بالأجهزة السحرية التي تستطيع ان تحيل بلمحة بصر أو بضغط زر من الازرار كل مصطلح أجنبي جديد الى اللغة العربية.

ان الأمر يحتاج الى تعاون مطلق بين المجمعين وبين العلماء والأساتذة في الجامعات وهم العلماء الذين يمارسون هذه المقترحات ويشرفون على معاملات ويحتاجون الى ما يقابلها في اللغة العربية.

ومعنى هذا ان ساحة العرب في المصطلحات ساحة متنامية دائما وان جهودنا يجب ان تتضافر باستمرار لملاحقة هذه المصطلحات.

أما عن تصحيح لسان الناس المنزلق نحو العامية فالأمر لا يتصل بالمجامع وحدها **وليست المجامع سلطة تنفيذية**. وخير ما يقال في هذا الموقف الجملة المشهورة «**ان الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن**» فالأمر امر السلطات التي تسكت عن مقاومة العامية او التي تتيح لها التصدر في بعض المجالات، اما المسرح فالنقاش حول لغته انتهى منذ زمن بعيد واصبحنا نؤمن بان من الممكن ان نقدم المسرحيات بلغة مبسطة نراعي فيها جمهور المستمعين كما نراعي فيها سلامة اللغة وصحة أصولها.

المسؤولية جماعية

** ومن المغرب الأقصى اسهم في الندوة الأستاذ محمد حدوامزيان عميد كلية أصول الدين بمدينة تطوان جاعلا مسؤولية النهوض باللغة العربية وخدمتها على الأمة العربية مجموعة قائلاً:

اعتقد ان المجامع العربية قامت في الفترة الاخيرة بفضل جهود المخلصين من أبناء امتنا العربية بالدور المنوط بها خير قيام لا من حيث تعريب المصطلحات المختلفة ولا من حيث تصحيح لغة الضاد على السنة الناس ولا من حيث مقاومته الاتجاه نحو العامية كما في الفنون الحديثة من تمثيليات ومسرحيات.



بيد ان المجامع العربية وان قامت بواجبها في هذا المضمار لن تصل الى ما تصبو اليه وحدها بل لا بد ان تتضافر الجهود من مختلف المؤسسات العلمية والادبية من **مدارس وجامعات** واذاعات واجهزة **الهاتف والتلفزة** وذلك باستعمال اللغة العربية الصحيحة حتى يتعودها المواطنون من مختلف الاعمار بل **يجب الى جانب هذا تعريب جميع المراسلات التي تصدر عن مختلف اجهزة الدولة من مختلف الوزارات والزام جميع المؤسسات التجارية والمقاولات بالتعامل باللغة العربية وكتابتها في الاعلانات والشوارع وغيرها من المواقف** وبذلك اعتقد ان اللغة العربية تقتعد مكانتها التي ارادها لها الاعلام ويريدها لها احرار الأمة العربية التي يغارون عليها.

هذا وينبغي ان نعلم **ان لهذه اللغة اعداء كثيرين ليس فقط من غير أبنائها بل مع الأسف الشديد لها اعداء من ابنائها الذي تثقف بالثقافة الأجنبية** ونفث فيهم الأعداء السموم ضد لغتهم واقنعوهم انها لاتساير ركب الحضارة الجديدة ولأبنائنا الذين اخذوا عن الغرب بعض العذر لانهم يجهلون آفاق لغتهم الواسعة وقديما قيل «**من جهل شيئا عاداه**» لذا فعلى كاهل الغيورين يقع العبء الثقيل في ارجاع المكانة اللائقة الى لغتنا واعتقد ان الله سيكلل جهود المخلصين من ابناء هذه الأمة ان تمسكوا بالصبر الطويل وتحملوا الجهد الجهيد وتعاونوا على بذل المزيد من العمل المثمر البناء والله لايضيع اجر من احسن عملا.

دور الجامعة العربية

** ويشترك **الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي من العراق في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود في الرياض** مشيرا الى قصور بعض المجامع العربية .. كما وضع اللائمة على وسائل الاعلام العربية التي تشجع اللهجة العامية.. ويقول:

من الملاحظ ان جهد المجامع يختلف من بلد الى اخر **ففي سوريا مثلا جرت محاولات جادة مبكرة لتعريب المصطلحات العلمية والعسكرية** وقد ادى ذلك الى طرحها في وقت مبكر وتداولها حتى صار بالامكان تدريس بالامكان تدريس العلوم على اختلافها باللغة العربية بما في ذلك الطب في جامعة دمشق.. ولكن هذا الجهد لم تقم به المجامع الأخرى. أو قامت ببعضه.

وقد دعت **جامعة الدول العربية** بالأشتراك مع **المجمع العربي في مصر** الى تعريب **المصطلحات العسكرية** وقد استجابت الدول العربية الى ذلك وبعثت ممثلين لها وبعد جهد متواصل لأكثر من عامين تم تعريب المصطلحات العسكرية ووزعت على الدول العربية على أساس تبنيها وتعميمها وقد كانت بادرة طيبة والمؤمل ان تحذو باقي القطاعات في الأمة هذا الحذو.

أما تأثير المجامع في مقاومة الاتجاه المنزلق نحو العامية وخاصة في الفنون كالمسرحيات فهو ضعيف جدا بل لا يذكر والسبب ان ادوات ذلك ووسائله بعيدة عن متناول المجامع فوسائل الاعلام المختلفة بين وزارات الثقافة والاعلام وهي – كما يبدو – تتجه حثيثا نحو المسرحيات المكتوبة بالعامية بحجة ان التعبير فيها يكون اقرب للواقع اضافة الى نفخ روح «**الاقليمية**» التي نراها تتعاظم يوما بعد يوم فقد كنا الى الأمس نتحي باللائمة على شياطين الاستعمار في تفرقنا حتى اذا استقلت اقطارنا بدأنا ندفعها بعنف نحو اقليمية ضيقة سيكون حصيلتها ان نفقد حتى الوحدة الاقليمية وان نثير تعصبات ونزعات لن تعود على احد بخير وبوادر ذلك ظهرت بأكثر من قطر واحد اننا نتجه الى التفرق وتعميق ذلك بدل ان نتجه للوحدة.



تعقيب .. وصرخة صادقة

وبعد .. فهناك **اجماع** من العلماء والأساتذة والمختصين الذين اشتركوا في هذه الندوة بان المجامع العربية قامت – وما زالت تقوم – بدورها على الوجه المطلوب في حدود امكاناتها لكنها كهيئة **الامم المتحدة** تمتلك اصدار القرارات .. دون ان تمتلك القدرة على تنفيذها فهي ليست سلطة تنفيذية.

والاجماع يضع اللائمة على المؤسسات التعليمية.. والثقافية.. والاعلامية في البلاد العربية لانها وحدها التي تمتلك السلطة الكاملة لتحقيق اهداف الخدمات الكبيرة التي تقدمها المجامع في خدمة اللغة العربية والتي تتحول الى الفاظ (معلبة) للحفظ فقط في الدفاتر.. والكتب.. ومجلات المجامع.. والى جانب هذه المؤسسات ينسحب اللوم والتقصير على النقاد والمؤلفين العرب.

ولن تستطيع المجامع العربية القيام بأي تغيير في المجتمعات العربية في سبيل اصلاح الالسنة.. ونشر اللغة الصحيحة بين الناس ما دامت الوسائل الاعلامية غير حريصة على تحقيق مثل هذا العمل انطلاقا من المقولة الشائعة (**هذا ما يريده الجمهور**).. خاصة في التمثيليات.. والمسرحيات.. والقصص التي يشاهدها عشرات الملايين من التلفاز.. ويسمعها الملايين من المذياع.

ونضيف الى ذلك ان **الأمية** التي تغشى المجتمعات العربية على مستوى الفرد.. والأسرة.. وبالتالي الجماعات من العوامل التي تعيق انتشار اللغة الصحيحة.. **فالأسرة** الأمية ينشا ابناؤها وعلى السنتهم تلك الألفاظ والمصطلحات التي يسمعها من أمه وأبيه.. واقاربه.. وجيرانه.. وهي الفاظ ومصطلحات عامية ومستهجنة تزيد في تأصيلها وسائل الاعلام من اذاعة.. وتلفزة.

وفي **المدرسة** يصل الاستهتار والضعف باللغة العربية الى حد اعتبار مادتها من المواد غير المهمة.. كما ان **المدرسين** سواء على مستوى المدارس او الجامعات يشرحون كل الدروس بما فيها دروس اللغة العربية باللهجة العامية.. ويصل الأمر الى شرح معاني الالفاظ الصحيحة بالألفاظ العامية.

ولو عدنا الى **قضية تعريب المصطلحات العلمية.. والعسكرية.. والفنية.. لوجدنا ان كل دولة عربية لها مصطلحاتها الخاصة.. وان ما يجمعون عليه من خلال علمائهم وممثليهم في المجامع يختلفون عليه فيما بعد.. وكل بما لديه فرح.. ويحصل كثيرا داخل اجتماعات العلماء اثناء تدارسهم لتوحيد المصطلحات يحصل الاختلاف ويحتد بحيث يصر كل فريق على ما عنده من مصطلحات حتى لو كان مصطلحا اجنبيا.**

فالقضية من الأهمية بحيث لا ينفع فيها الاتفاق على الاوراق.. بل لا بد ويجب تدخل الجهات الرسمية في الحكومات العربية للقيام باجراءات عملية رسمية تساعد المجامع في تحقيق مهمتها.

ومن المؤلم ان تدعو الى **وحدة سياسية.. أو اقتصادية.. أو فنية** في الوقت الذي لم نستطع تحقيق وحدة اللغة التي هي أساس التفاهم بين الشعوب العربية.. والاسلامية.. ان وحدة اللغة معناها وحدة المشاعر.. والعواطف.. والتفكير.. ومن خلالها تكون اي وحدة ندعو اليها.

لقد كنا في الماضي أمة عربية اسلامية واحدة حين كانت اللغة العربية الصحيحة السليمة هي لغة الجميع.. وكان الدارس في حلقات **المسجد الحرام والمسجد النبوي** يشعر بالالفة والتآلف والتقارب حين يلتقي بالدارس في **جامعة القرويين** (المغرب) **او الأزهر** (في مصر) **او الزيتونة** (في تونس) **او جامع أروى بنت احمد** (في اليمن) لان روافد دراساتهم واحدة.. والكتب التي يدرسونها مؤلفة بلغة عربية سليمة.. والمدرسين الذين يقومون على تدريسهم يتحدثون بعربية سليمة.

والسؤال الكبير الذي نطرحه هل تفيق المؤسسات الرسمية في الدول العربية وهي المؤسسات المسؤولة عن توجيه وسائل الاعلام.. والتعليم.. والتثقيف.. وتخرج عن صمتها امام صرخات المخلصين من علماء العربية.. والعاملين بلا كلل.. أو ملل في مجامعها. وتعمل بصدق واخلاص لنشر العربية السليمة؟ اذ لا سبيل امام انتشار العربية السليمة الا من خلال هذه المؤسسات.. والسؤال سيبقى حاداً كالنصل.. قاهراً كالسرطان حتى تهب هذه المؤسسات متكافئة لتصحيح ما أبقى عليه الزمن من أخطاء.. والله المستعان.

العقاد في بيته

تنشر المجلة هذا الموضوع بمناسبة ذكرى مرور ١٤ عاما على وفاة العقاد لأنه يمثل جانبا انسانيا من حياة هذا المفكر ربما لا يعرفه الكثيرون.

بقلم: عامر العقاد

(.. في هذا البيت كتبت خير كتبي وأحبها اليّ، وقد عشت فيه تلك الكتب عيشاً حياً باقي الآثار قبل ان انقلها من عالم النفس الى عالم الأوراق ..)

«العقاد»

قد يجد الانسان شيئا من الصعوبة عندما يحاول تصوير الحياة البيتية لاديب عملاق كالعقاد ذلك لأن الصفات التي عرفها الناس عنه خارج تلك الحياة هي الغالبة دائما على غيرها .. فقد عرف الناس عنه انه كان رجلا صعب المراس، قوي الشكيمة، سريع الغضب، حاد المزاج. فالعبقرية بقدر ما تكون في صاحبها تكون صفاتها الأساسية هي الغالبة. لانها بطبيعتها غليان فكري، على حين ان الحياة البيتية بطبيعتها هادئة وساكنة. فهل كانت هي كذلك في بيت رجل كالعقاد ؟

هذا ما سنجيب عليه في هذه السطور قدر المستطاع، وهو ما نحرص عليه حتى يخرج القارئ بعد قراءتها باجابة شافية على ذلك السؤال الذي يدور حول جانب هام من جوانب حياة ذلك المفكر العربي الكبير.

البيت .. هو المكتبة

وقد لا يجد القارئ فرقا كبيرا بين أن يكون عنوان هذا المقال هو ما جاء على رأسه وبين ان يكون «**العقاد في مكتبته**». **فبيت العقاد هو مكتبته، ومكتبة العقاد هي بيته.**

في ذلك البيت عاش العقاد رحلة العمر التي امتدت حتى جاوزت الرابعة والسبعين وبضعة شهور انتقل بعدها لرحمة الله في فجر يوم من شهر **شوال ١٣٨٣ (مارس ١٩٦٤)**.

فلا مبالغة اذن عندما نطلق على بيت العقاد كلمة «مكتبة العقاد» بكل ما تحتويه هذه الكلمة وبكل ما توحي به من معان ودلالات.

فليس من المعقول او المقبول أن يسمع القارئ عن رجل لم يبرح بيته لمدة أسبوع أو اكثر .. اللهم الا اذا كان ذلك الرجل هو



العقاد، وكان ذلك البيت هو بيت العقاد..

ان هذا البيت ليس كسائر البيوت الأخرى التي نراها منتشرة في ضاحية «**مصر الجديدة**» تلك الضاحية الهادئة الجميلة الوادعة. والتي قدر للعمران وللتزاحم السكاني في السنوات الأخيرة ان يمتد اليها فيشمل مع ما شمل من تلك المساحات والفراسخ من الرمال الصفراء فتغطيها المساكن والحدائق وأوجه النشاط البشري الأخرى عما كانت عليه عندما سكنها العقاد في اكتوبر عام ١٩٢٧ ميلادية.

صور العقاد حال تلك الضاحية يوم سكن بها فقال: «..**ويوم سكنت في هذا المكان، ونظرت من النافذة اعجبني اني افتحها فلا أرى منها الا النور والفضاء.. والحق أنه لا فضاء حيث يكون النور.. وكيف يكون فضاء ما يملأ العينين ويملأ الروح ويصل الارض بالسماء**».

«عِشرة» الكتب

من البداية نود أن نشير الى أن «عِشرة» الكتب ليست من السهولة واليسر بحيث يظن البعض أنها من المتع الخالية من التعب والجهد. وحسبنا رأي صاحبها نفسه عندما وصف ما جناه من المتاعب من وراء اقتنائه لتلك الآلاف من الكتب في قوله:

يا كتبي اشكو ولا اغضب
ما أنت من يسمع او يعتب
يا كتبي اورثتني حسرة
هيهات لا تنسى ولا تذهب
يا كتبي البست جلدي الضنى
لم يغن عني جلدك المذهب
كم ليلة سوداء قضيتها
سهران حتى ادبر الكوكب
ينتفع المرء بما يقتني
وأنت لا جدوى ولا مأرب
الا الأحاديث والا المنى
وخبرة صاحبها تتعب
انفقت مني ما يضن الورى
به على الله ولم يذنبوا
من ضوء عيني ومن صحتي
سدى ومن وقتي وما أكسب
ومن شباب فيك ضيعته
فما انا الا الفتى الأشيب

ولم يكتف العقاد بتلك القصيدة الفريدة التي صور بها عشرة الكتب في متوسط العمر ولكنه أكمل تلك الأحاسيس والمشاعر بأبيات شعرية أخرى قال فيها:

شكوتها والعمر في فجره
فكيف بي لما دنا المغرب

من الكتب التي غطت جدران ذلك البيت فقال له: «كل ما كنت اريده من الحياة لم ابلغه ولا أرى أن احدا قد بلغ كل ما طلب .. وقد تعبت كثيرا في تحصيل الأدب والثقافة».

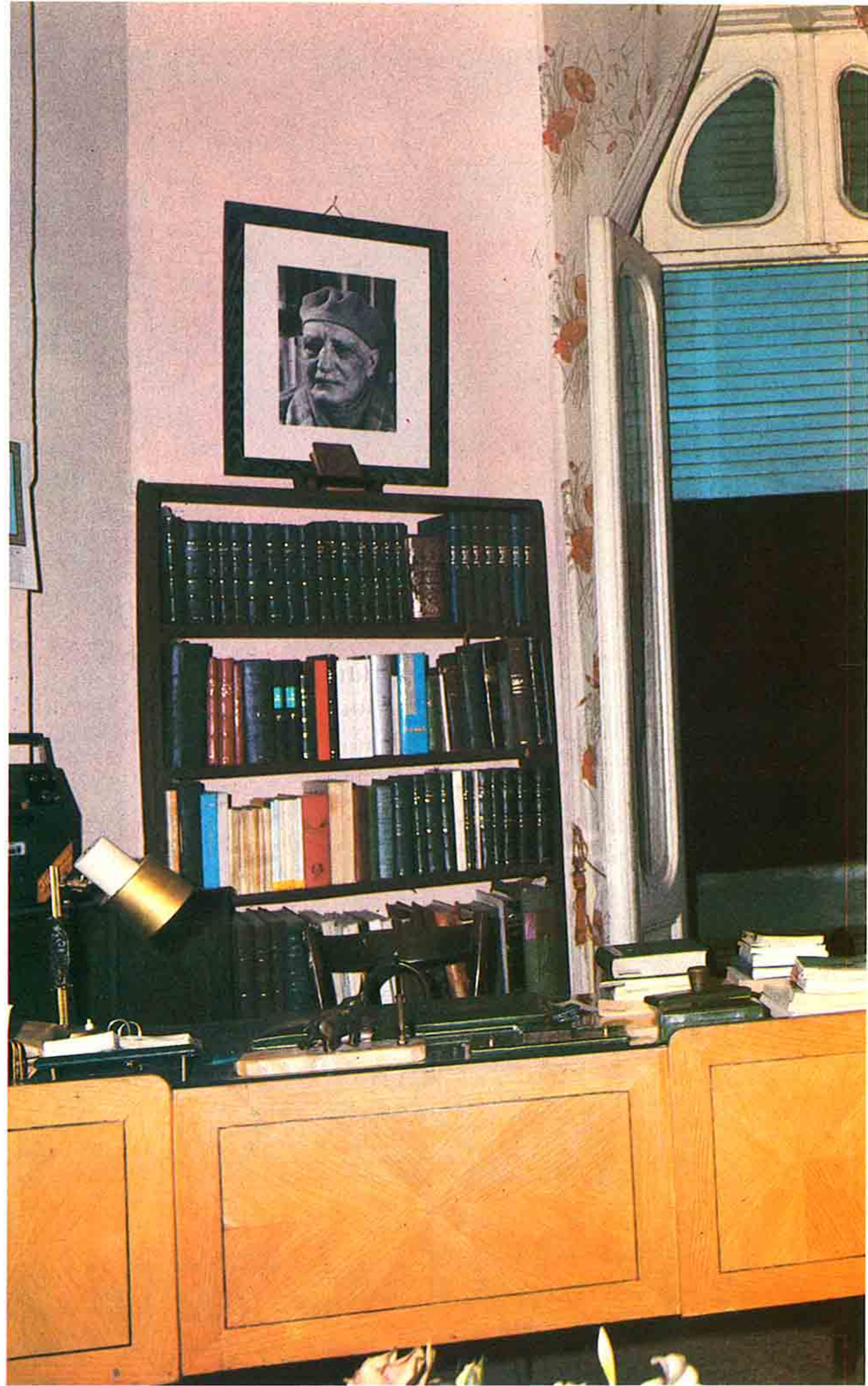
وصف البيت

يتكون البيت في بداية سكنى العقاد به من اربع غرف كبيرة، وردهتين وشرفتين ثم اضطر العقاد مع الزمن وبدافع من تزاحم الكتب واتساع المكتبة الى أن يضم الشقة الأخرى المواجهة لشقته وهي تتكون من اربع غرف وردهتين وشرفتين ايضا.

ولا يفوتنا ان نشير الى ان هذا البيت مايزال يحمل نفس الرقم الذي كان يحمله يوم سكن به العقاد وهو **رقم (١٣) من شارع السلطان سليم** في تلك الضاحية الهادئة.

في ذلك البيت استقبل المفكر الراحل الكثير من آماله، واستحيا الكثير من ذكرياته .. وعلى الرغم من أن الكثير من أمور هذا العالم قد تبدلت وتغيرت الا انه لم يتغير بالنسبة للحال الذي كان عليه عندما نزل العقاد به وهو في شرخ الشباب. وان كان هناك من تغيير قد لحق ذلك البيت فهو ازدياد الكتب مع الأيام حتى ملأت جميع حجراته وشرفاته وذلك مما كان عائقا هاما للمفكر الراحل من ان ينتقل الى بيت غيره عندما أدركت الشيخوخة مبانيه. فآثر الاستمرار فيه حتى لاذ بالرفيق الأعلى. وأصبح البيت من بعده معلما من معالم ذلك الشارع الذي يشير اليه المارة قائلين هنا كان يعيش العقاد ذلك المفكر العملاق.

ومما يذكر من أمر ذلك البيت **قصة جديرة بالرواية** وهي قد حدثت في حياة العقاد فقد حدث ان زارت المفكر العملاق **فتاة ذكية** تميل الى القراءة كلما اتفقت لها أسبابها ففوجئت بتلك الآلاف من الكتب التي تجمعت في مكان واحد. فصاحت على



جانب من المكتبة

لما دنا المغرب صالحتها
تلك التي تشتكي ولا تغضب
غدا سنمسي كلنا ما لنا
في العيش الا ذمك المترب
فليت لي اذ انا تحت الثرى
جمجمة ثرثارة تخطب

رهضا من القراء يرضونني
رضاي عن بلواك اذ أغضب
يا كتبي ما شئت فلتحسبي
او شاء قرائي فليحسبوا

اذكر يوما أن احدهم سأل العقاد عما حققه من الاماني بعد اقتنائه تلك الآلاف


صالة الاستقبال

غيروية منها: كتب .. كل هذه كتب .. انه لشيء يدوخ .. ثم مالت برأسها وكأنها تهرب من دوار ينذرها بالاغماء.

ان الذي لا شك فيه ان معرفة تلك الفتاة بالكتب لم تكن كمعرفة الذين لا يعرفون من الكتب الا جلودها وأوراقها وألوانها التي تشوق العيون، وانما كانت معرفتها لها كما هي في حقيقتها: زحمة من الافكار والمعارف تشفق الرؤوس الصغيرة منها. لأن الذي لا شك فيه ايضا، ان مشاهدة تلك الفتاة لمكتبة العقاد التي احتواها بيته لم تكن بالنسبة لها هي أوّل مرة تشاهد فيها **المكتبات فهي قطعا قد** شاهدتها من قبل في المدارس خلال سنين دراستها وتحصيلها العلم، كما شاهدت امثالها في الشوارع بمدينة **القاهرة** التي قلما يخلو شارع فيها من مكتبة، بل ان هناك شوارع بالقاهرة قد اشتهرت بما فيها من مكتبات دون سواها. لكن الذي نرجحه ونعتقده أن عقل تلك الفتاة الزائرة قد استطاع ان يفرق في تلك اللمحة الخاطفة بين الأشياء المتشابهة عندما يتفرق بها المكان. فتلك الرؤى للمكتبات لم توح اليها بما اوحته تلك الزحمة التي أرهقت رأسها كما قد يكون سبب ذلك انها قد رأتها في بيت واحد يعيش فيه رجل واحد.

مكتبة نادرة

ان بيت العقاد قد اشتمل على مكتبة نادرة .. قضى صاحبها العمر كله في جمعها ومداومة القراءة فيها.

انها من آيات العجب الانساني حقا. فيها الكتب أقسام، والمعرفة أقسام. منها ما يحمل القارئ الى **قطب الشمال**، ومنها ما

يحمله الى **قطب الجنوب**. وهناك منها ما يمكن أن يحمل القارئ ويتعدى به اقطاب الأرض الى **الشعري اليمانية** وما وراء **السديم**..

يا لها من قدرة مدهشة .. تلك التي تستطيع السفر بالانسان في رحاب الزمان كقدرتها على السفر به في رحاب المكان!!

لقد احتوى ذلك البيت من الكتب ما يستطيع ان يحمل المطالع في صفحاتها الى القرن الاول للهجرة بل الى القرن الاول للميلاد. وعبر هذا وذاك مما يحمل المرء الى ما قبل الهجرة وقبل الميلاد من أزمنة يضل فيها التاريخ وقلما يهتدي فيها الخيال.

فان خطوة واحدة بين جنباتها تلتقي فيها **بهوميروس**، وخطوة أخرى تلتقي فيها **بامرئ القيس**، وخطوة ثالثة تجمعك **بآدم وابنائه** الاولين. ناهيك عن خطوات تنقلك الى قارات العالم المختلفة وتاريخ الامم والشعوب وآدابها وفنونها المختلفة عبر الأزمنة والقرون.

كتب في **الشعر والتاريخ**، وأخرى في **الفن والدين**، وثالثة في **السير وطبائع العظماء** .. حتى **طبائع الحشرات** لم تخل منها مكتبة ذلك المفكر الراحل.

وقد يحلو لبعض المتعجلين أن يصفوا تلك المكتبة النادرة بأنها خليط من المطالب التي لا يعرف لها وحدة ولا يطرد لها نظام. ولكننا نقول لاؤلئك المتعجلين انه قد فاتهم أن صاحبها هو الذي أراد لها ذلك التنظيم والترتيب لحكمة لا يعرفها الا هو دون سواه هذا من ناحية، أما الأخرى: **أفلم يكن العقاد من الذين كانوا يرون في أن التخصص قد جنى على كثير من المعارف الانسانية ؟**

صحيح انه قد استحدث العقل الانساني في السنوات الأخيرة أنظمة وقواعد في ترتيب المكتبات وتبويبها، بل ورأينا أناسا قد تخصصوا في دراسة تلك الانواع والفروع من المعارف الانسانية فسمعنا عن «**نظام ديوي العشري**» وغيره من النظريات المتعلقة بتنظيم المكتبات لكن العقاد كما كان منفردا في ملكاته الأدبية والفكرية أراد ان ينفرد كذلك في ترتيب مكتبته التي شملت حجرات بينه كله.

خلاصة الخلاصات في أمر مكتبة العقاد انها كانت تبدو غريبة على غير صاحبها .. **آلاف من المراجع الاوروبية والعربية** تجاورت فيما بينها .. فالكتب التي عن الحشرات وطبائعها قد جاورت زميلاتها المتعلقة **بالميتافيزيقا** وما وراء الطبيعة .. انهما عنوانان متباعدان وقلما يتقاربان أو يتلاقيان .. لان البحث في الكون والسماء والخلود يختلف عن البحث في جحور النمل وشبيهه من الحشرات .. لكن عقل العقاد الواسع قد استطاع ان يجمع بينها في مكان واحد من بيته. ولو رحنا نسأله كيف يكون ذلك ؟ لالفيناه يجاوبنا على فوره:

«انهما متقاربان جد الاقتراب. افلا يجد الانسان في كلا الموضوعين ما يهديه الى بداية الحياة أو نهايتها.

«ان طبائع الحشرات تفسر لنا بناء الحياة وتصميمه تفسيرا تعجز عنه عقول الفلاسفة والحكماء فلربما عرفنا من الحشرة الضئيلة في اطوارها المتعاقبة ونحن نراقبها ونراقب دوافعها وجوازبها ما لا نعرفه من مقاييس المنطق وتقديرات البديهة والدراسة في المذاهب والتأويلات».

وقد يندهش القارئ عندما نذكر له ان الكتب في بيت العقاد قد غزت كل مكان من ذلك البيت .. حتى الشرفات وحجرة ذلك المطبخ الصغير الذي كان طاهيه «الشيخ أحمد حمزة» يطهو له فيها الطعام قد زحفت الكتب اليها..

ومما نذكره بهذه المناسبة ان **أحد الصحفيين** قد زار العقاد يوما فرأى الكتب قد غزت حتى الشرفات. فمد يده اليها – نعني تلك التي وضعها العقاد في احدى تلك الشرفات – فوجدها كلها تدور عن **الشيوعية والنازية** وبعض مبادئ الهدم الأخرى التي انتشرت في السنوات الخمسين الأخيرة فسأل ذلك الصحفي العقاد قائلا:

لماذا اخترت لهذه المراجع والكتب بالذات هذه الشرفة من البيت ؟

فاجابه العقاد ساخرا: لذلك سببان: **أولهما**: ان هذه الكتب ، يا سيدي، في حاجة لان تتنفس بعض نسائم الحرية حيث الهواء بالشرفة لا يحده حاجز **وثانيهما**: انه لو تصادف وفكر لص من اولئك الذين يسطون على المنازل والدور ووجدها امامه فحملها كلها لأراحني وشكرته وفي هذه الحالة سوف لا يكون من جانبي كبير أسف على هذه الخسارة. فان امنيتي التي اتمناها أن يكون ذلك نصيبها من على الارض جميعها وليس من المكتبة حتى تستريح البشرية من ذلك الداء الوبيل».

الصور .. واللوحات

والى جانب تلك الآلاف من الكتب التي يلفت النظر في بيت العقاد ذلك العديد من **الصور** التي علقت على الجدران. فهناك صورة للمصلح السيد **جمال الدين الافغاني**، وأخرى لتلميذه **الشيخ محمد عبده**. هذا الى جانب العديد من صور العباقرة من الغرب والشرق من أمثال **بتهوفن وكارليل**.

ويبدو ان كل تلك الصور قد تجمعت في أماكنها بمحض الصدفة لكن المدقق الحصيف يجد ان هذه الصدفة لا يمكن ان يكون لها مكان في بيت رجل مفكر كالعقاد يقيس كل أمر بمقياس المنطق الدقيق الا بأسباب ودوافع.

صحيح انه ليس هناك وحدة تجمع تلك **الصور واللوحات** في مكان واحد والا فعلام تجتمع **صورة موسيقار ألماني** الى جانب **صورة لحكيم انجليزي** تجاوره صورة **مصلح افغاني ومفت مصري** انهم مفترقون في الموطن

حول الإعلام

أحمد فراج.. في سطور

* بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية - جامعة القاهرة عام ١٩٥٣م.

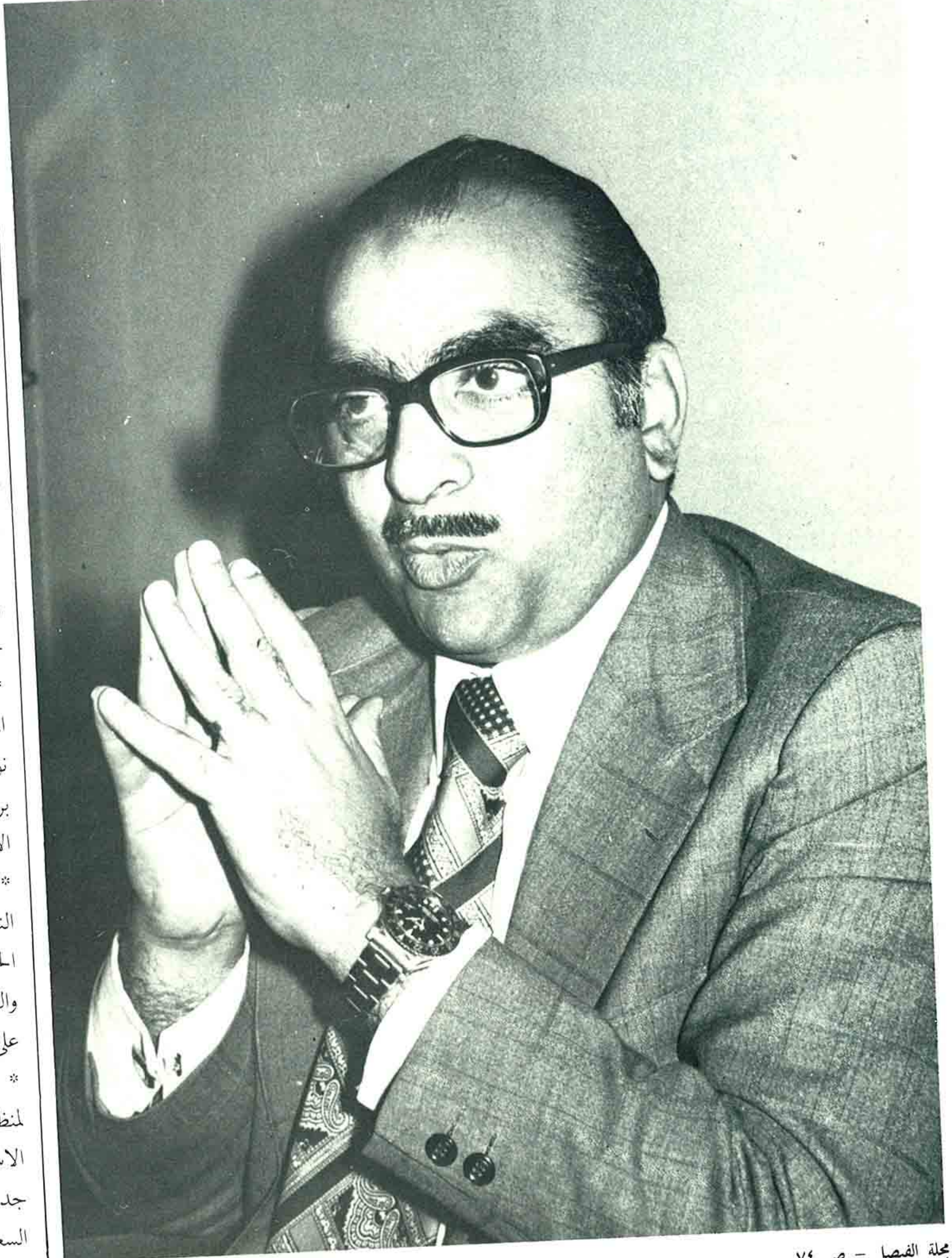
* لمع كصوت اذاعي منذ تخرجه من الجامعة. اذ بدأ بتقديم برنامجه الشهير «المائدة المستديرة» منذ عام ١٩٥٥.

* بدأ في برنامجه التليفيزيوني «نور على نور» منذ عام ١٩٦٠ افتتاح التلفيزيون في القاهرة - وحتى الآن .. قدم من خلاله تسعمائة حلقة.

* سجلت له الاذاعة المصرية برنامج «نور على نور» وكانت تذيعه في برامجها الموجهة لدول آسيا الاسلامية.

* قدم العديد من الندوات السياسية وادار الحوار مع عديد من الملوك والرؤساء العرب والاجانب على شاشة التليفيزيون.

* يعمل حاليا أمينا عاما لمنظمة اذاعات الدول الاسلامية. ومقرها مدينة جدة - المملكة العربية السعودية.



الإسلامي

••• اذا كان الاعلام في جانب منه علم وفن .. فانه عندما يكون اسلاميا .. يصبح الأمر كيفية استخدام هذا العلم وذلك الفن في خدمة رسالة الإسلام.

••• الإسلام عندما يكون هو العقيدة والسياسة التي يترجم الإعلام عنها .. فانه يحكم "الوسيلة" بمثله الذاتية .. التي تقوم على الحق لذات الحق والخير والجمال والعدل ابتغاء مرضاة الله.

••• ان الإسلام كمنهج لا يشكل ضرورة حياتية للمسلمين فحسب .. ولكنه يمثل نفس الضرورة للإنسانية المعاصرة .. المتردية في حمأة المادية في الغرب وفي الشرق على السواء.

مر بالقاهرة في مهمة تتعلق بعمله كأمين عام لمنظمة اذاعات الدول الاسلامية ولم يكن منصبه المبرر الوحيد لاجراء حوار معه على هذه الصفحات. ان هناك مبررا آخر. فأحمد فراج لا نتجاوز اذا قلنا انه أشهر وجه تليفزيوني أطل على المشاهد العربي – ومازال لسنوات طويلة من خلال برنامجه الشهير «نور على نور» لقد ارتبط مشاهدو الشاشة الصغيرة بهذا البرنامج بمناقشاته المستفيضة مع علماء الاسلام حول الدعوة الاسلامية وقضاياها .. وقد استفاد احمد فراج من برنامجه الشهير هذا وأفاد.

الاعلام الاسلامي

ومن الطبيعي أن يكون **الاعلام الاسلامي** صلب حوارنا .. سألته عن تصوره للفلسفة التي يقوم عليها هذا الاعلام فقال:

«اذا قلنا ان الاعلام كمصطلح له مفهومه الخاص به. وله الوسائل التي يستعين بها اقصد الوسائل الفنية. فاننا **عندما نصف هذا الاعلام بأنه اسلامي. فكأننا نتحدث عن الجوهر والمحتوى الذي يتوخى هذا «الاعلام» تحقيقه والتعبير عنه.** واذا كان الاعلام في جانب منه علم وفن. فانه عندما يكون اسلاميا. يصبح الأمر كيفية استخدام هذا العلم وذلك الفن في خدمة رسالة الاسلام ومبادئه واهدافه. وكيف يمكن ان نترجم عنها بأفضل وأحدث الأساليب المتطورة لتصل الكلمة المؤمنة الى غايتها. واستطيع أن أقول ان كل عقيدة تحرص على استخدام اجهزة ووسائل الاعلام بافضل السبل أيضا وأكثرها فائدة لتحقيق اهدافها. غير انني أعتقد ان «**الاسلام**» عندما يكون هو العقيدة والسياسة التي يترجم الاعلام عنها فأنه يحكم «**الوسيلة**» بمثله الذاتية التي تقوم على الحق لذات الحق، والخير والجمال والعدل ابتغاء مرضاة الله. بل تثبيتا لكل القيم التي تشكل التزام الانسان المسلم ازاء الغايات العليا للحياة كما رسمها الاسلام. والتزام الدولة المسلمة بتلك القيم والمبادئ التي يدعو اليها الاسلام وهو

ليس التزاما نظريا سواء عند الفرد أو الدولة. وانما هو إيمان عملي بما ندين الله عليه وهكذا .. **عندما يكون الاسلام وصفا للعملية الاعلامية. فنحن نحكم على هذه الوسيلة بما حكم به الاسلام على كل عناصر الحياة.** والاسلام لا يسمح بتطويع الوسيلة حتى مع شرف الغاية. يقول العزيز الحكيم في كتابه «**ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا .. اعدلوا هو أقرب للتقوى**». صدق الله العظيم. وهذه الآية – على سبيل المثال – تبين جانبا من جوانب حكم الاسلام وتسيده لسلوك النفس المؤمنة أزاء الآخرين في نطاق التعامل بالحق والعدل. **ولا يمكن أن يتعادل الحق والباطل أو يتشاركان في تسيير دولاب الحياة في النظرة الاسلامية.** والشئ الذي ينبغي أن يكون واضحا أن الاعلام الاسلامي – واظنه في هذا يتفق من حيث الأصل مع الاعلام كما ينبغي أن يكون – لا ينشئ سياسة الدولة اسلامية. وانما هو يترجم عن سياسة تلك الدولة. **والاسلام – كما اظننا نتفق على ذلك عندما يكون هو السياسة. يكون هو الحق والعدل والكرامة والمساواة الانسانية. التوازن في الحقوق والواجبات أو هو التوازن بشكل عام.** ولا سبيل الى تحقيق خصيصة من خصائصه في غياب قيمه الأصيلة الثابتة ومن ثمة .. فالاعلام الاسلامي يختلف عن **الاعلام الماركسي** مثلا. فالماركسية حين تؤمن بالصراع الطبقي وديكتاتورية الطبقة والالحاد. فمن الطبيعي أن يعبر اعلامها عن الالحاد وان يكون اعلاما ملحدا. ولا مجال لان يستغرب احد ذلك لانه حين يدعو الى الالحاد فهو يدعو الى ما يؤمن به اذا جازت لفظة «يؤمن» وحين يدعو الى اثارة الاحقاد او التصفيات الدموية فهو منسجم مع معتقداته. ولا تتعجب من قول «يؤمن» أو «يعتقد» لان الملحد لا بد أن يؤمن بشئ حتى لوكان هوى نفسه أو هوى غيره. يقول الحق تبارك وتعالى «**افرأيت من اتخذ اله هواه**» «**واضله الله على علم**» صدق الله العظيم.

ولعل شواهد التاريخ القديم والمعاصر تقدم لنا النماذج على صحة ما أقول وليس ببعيد ما حدث. ويحدث – في اسلوب معاملة المواطنين والعلماء والادباء والمفكرين في دول **معسكر الالحاد.** واجبار الانسان على ان يتعاطى عقاقير تقوده الى الهوس. أين هذا من قول العزيز الحكيم «**لا اكراه في الدين**». وبين آية أخرى تقول «**أنا واياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**» وخلاصة القول ان الاسلام هو جوهر اعلامه. وحاكم اساليبه مهما تطورت.

الحرب ضد الاسلام .. ودور الاعلام

قلت: ان الاسلام يواجه مؤامرات وتيارات فكرية في حرب لا هوادة فيها. والمؤامرات على الاسلام قديمة ومستمرة. ترى ما هو الذي يجب ان يقوم به الاعلام الاسلامي لمواجهة هذه الحرب ؟

كانت الاجابة:

«الحرب ضد الاسلام حرب قديمة منذ كان الدين. والدين عند الله الاسلام. **هي حرب بين الحق والباطل. وبين الايمان والكفر.** وحديثنا ليس حديثا عن التاريخ. ولكن عبرة التاريخ دائماً معنا. الحملات على الاسلام لم تتوقف منذ الدعوة. وانما هي تتخذ اشكالا وصورا متنوعة ومتطورة معا. واذا تجاوزنا **الحروب الصليبية** ومحاولات غزو العالم الاسلامي نلاحظ ان هذه المحاولات لم تتوقف.

ان حملات الغزو الضارية والمسعورة تنطلق من قواعد ذات نظم وفلسفات لم تصمد في التطبيق عشرات قليلة من السنين. وكان الزمن دائما – ومنذ بداياته الاولى – يكشف عن سوآتها عاما بعد عام. ولا يمكن ان يشفع لتلك النظم الغازية ان تعلق دائما على مشجب التطبيق كل الوان الفشل والانهيارات الاقتصادية والاجتماعية ولاسياسية. وكل انواع المعاناة التي يلاقيها انسانها. عندما يصبح ذلك كله هو الاصل وتكون الايجابيات هي الاستثناء. وهذا الغزو الذي لم يتوقف. وان فقد مع الاسف مبرراته المنطقية والموضوعية ان جاز ان يكون للغزو مبرراته. **يفرض على الاعلام الاسلامي واجبات هي نفسها واجبات الامة الاسلامية. من اعادة اكتشاف الذات والتمسك بالاصالة. ودعوة المسلمين الى التعرف على مبادئ الاسلام وعطائه للحياة. وتعريف شعوب الامة الاسلامية بعضها ببعض. ودراسة امكاناتها. وطاقاتها وحاجاتها والسبل التي تحقق التكامل بين هذه الامكانات والاحتياجات على كافة المستويات.** ان الاعلام الاسلامي يتوخى بث روح التضامن والاخوة بين المسلمين. ومن المهم في هذا

منظمة اذاعات الدول الاسلامية بجدة

* هي منظمة منبثقة عن المؤتمر الاسلامي.
* تشترك فيها اثنتان واربعون دولة.
* ميزانية المنظمة تساهم فيها الدول الاعضاء. وفق انصبتها في ميزانية منظمة «المؤتمر الاسلامي» وهو المنظمة الام.
* أنشئت المنظمة بقرار من مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية.
* تعني بتنسيق الخطط الاعلامية الاسلامية. وتبادل البرامج الاذاعية والتليفزيونية وانتاجها بين دول العالم الاسلامي.

الصدد ان يكون هناك تركيز خاص على الاسلام باعتباره عقيدة ومنهجا كاملا للحياة والحكم والسياسة والاقتصاد. وهو بهذه المثابة الحل الذي لن يكون هناك حلا سواه. لانه الحل الذي يتميز بالسمو والكمال والشمول. وهي بعض صفات المصدر الاسلامي. وما سواه من نظم وافكار يرد عليها ما يرد على البشر من قصور ونقص وخطأ. واذا كانت حاجة المسلمين الى الاسلام كمنهج قضية ملحة تطرح نفسها على اجهزة الاعلام الاسلامية. كتحد ضروري. فليس من التجاوز ان اقول ان الاسلام كمنهج لا يشكل ضرورة حياتية للمسلمين فحسب. ولكنه يمثل نفس الضرورة للانسانية المعاصرة المتردية في حمأة المادية وفي أتون الالحاد في الغرب وفي الشرق على السواء».

من تاريخ الاعلام الاسلامي

يتطرق بنا الحديث الى نماذج الاعلام في الاسلام منذ ظهور الدعوة الاسلامية عن هذا الموضوع. يقول احمد فراج:

«عندما نقرأ في التاريخ الاسلامي تبهرنا نماذج الاعلام الاسلامي خاصة في بداية الدعوة. **الفرد المسلم كان جهازا للاعلام عن دينه وداعية لمثل الاسلام**. لقد روى عن سلفنا الصالح «**كنا نتعلم العشر آيات بالعشر آيات. وكنا لا نتجاوزهن حتى نعلمهن ونعمل بما فيهن فكنا نتعلم العلم والعمل جميعا**» هذه صورة تبين كيف ان الفرد المسلم كان عقيدة تتحرك قولا وعملا خذ **مصعب بن عمير**. عندما بعث به **الرسول** ﷺ الى **المدينة**. استطاع خلال عام واحد ان يغير وجه المدينة كلها. **فلم يكن هناك بيت الا ودخله الاسلام**. ولا أحب ان اطوع المصطلح الاسلامي لمصطلحات العصر. فأقول **ان مصعب كان رجل اعلام من الطراز الاول**. ولكنه كان داعية مسلما من مدرسة رسول الله ﷺ. وقد كان شابا اولى به ان يكون مترفا. ولكنه طراز لشباب مسلم غير وجه الحياة. ان التاريخ الاسلامي زاخر بالامثلة. حياة الرسول ﷺ وكيف دعا الى دين ربه بالحكمة والموعظة والاقناع. **عام الوفود رسائل** الرسول ﷺ للملوك والقياصرة. **تصرفات** قادة جيوش التحرير الاسلامية **والحوار** الذي دار بين هؤلاء وبين خصوم الاسلام. هذه امثلة تحتذى عندما نوجه اعلاما اسلاميا بوسائل العصر. القيم ثابتة. الذي يتطور هو الاسلوب فقط شرف في الغاية. وشرف في الوسيلة.

مواجهة الافتراءات

قلت لصاحب برنامج «**نور على نور**»: يحاول خصوم الاسلام ان يضعوا عصرنا المتطور خصما للدين. بمعنى ان الدين لا يلائم العصر. الى غير ذلك من افتراءات .. كيف يدحض الاعلام الاسلامي هذه الافتراءات ؟

وقد رد بقوله:

«ان الاعلام الاسلامي لا تعوزه الادلة ولا الحجج. فهو منتظم شامل ومنهج كامل للحياة ولذلك فان الاديان التي لا تنظم الحياة بكل ابعادها فقدت سلطانها على انفس الناس. **ان الحياة لا تستقيم بغير الاسلام. فهو دستور في الاقتصاد والاجتماع والسياسة**. لقد جمع كل شيء فلم يترك شاردة ولا واردة حتى في ادق تفاصيل الحياة اليومية للناس. ومن هنا .. **فان الاعلام الاسلامي يرتكز على قيم اثبتت الازمنة سلامتها** فاذا كان الاعلام الاسلامي مطالب بمواجهة خصوم الاسلام فالواجب الآخر عليه ان يعمل في أمة الاسلام ذاتها. ان ينبه امة الاسلام الى الأخطار المحدقة بها. وان السلامة والتقدم في الاعتصام بالدين والاستناد الى قوة الايمان في كل سلوك. **لقد قام الاسلام وازدهر على الاقناع. ومخاطبة عقول الناس**. ومهمة الاعلام الاسلامي هنا يسيرة. اذا ما قورنت بمهمة أنواع أخرى من الاعلام تلجأ الى تزييف الحقائق بل والغاء عقول الناس ولعله من المناسب هنا أن أشير الى طبيعة رسالة واهداف **منظمة اذاعات الدول الاسلامية**. فهي تعنى **بالتراث الاسلامي**. وتقف في مواجهة كافة تيارات الغزو الفكري. وتطرح الاسلام بوسائل المعاصرة. كما تعنى المنظمة **بترشيد** اداء أجهزة الاعلام لرسالتها في مجال الدعوة الاسلامية. **وتنسق** خطط الاعلام الاسلامي. ان علينا واجبا كبيرا ومسؤولية محددة.

الاعلام الاسلامي في حاجة شديدة للاكثرية الواعية التي يجب ان تمارس هذا الاعلام بشكل واضح. والدول العربية والاسلامية بشكل عام. تمارس في اجهزتها الاعلامية - هذا العمل بدرجات متفاوتة. **ولا شك ان المملكة العربية السعودية تأتي في المقدمة حقا في مجال الاعلام الاسلامي** ولا شك ان تنسيق **مجموعة الخبرات الاعلامية الاسلامية** يضاعف الايجابيات المطلوبة لعملنا. **ان هناك بعض المناطق لا تزال حاجة المسلمين فيها ماسة الى التعرف على الاسلام وفكره وثقافته وتاريخه** بعيدا عن كل ما لحق به من تشويه. وهذا ما تسعى اليه منظمة اذاعات الدول الاسلامية عندما نريد ان نتجاوز برسالتنا آفاق العالم الاسلامي لتمتد رسالتنا الى آفاق الشعوب المتعطشة الى قيم الحق. المتطلعة الى مزيد من سلام النفس وطمأنينة القلب.

كانت هذه علامات ضوء سريعة على الاعلام الاسلامي وبدايته .. والموضع يحتاج الى مزيد من البحث والمناقشة يضيق بها وقت الحوار مع الاستاذ فراج الذي نأمل ان يتناول هذا الموضوع في بحث مستفيض.

اعداد: حازم هاشم



من هو المدير.. وما هي مهمته؟

وفي الطرف الآخر من السلسلة يوجد أشخاص متسامحون الى درجة أن مرؤوسيهم لا يقيمون لهم احتراما ولا وزنا بحيث يمكن ان يوصفوا بضعف الشخصية والتخلي عن مسؤولياتهم الرقابية وغيرها. وفي وسط السلسلة يوجد اشخاص يقبلون الانسان كوحدة مستقلة مسؤولة عن احكامها وقراراتها. ولكن بالنسبة للعمل يقبلونه في حدود تعطيه مجالا للتصرف دون ان يشعر أنه تلميذ في مدرسة ابتدائية ولكن تشعره دائما باحترام المسؤولية وتقديرها. وتجبره على تمييز حدود الحقوق والواجبات. وفي اختيار المدير يجب التأكد من وجود هذه الصفة فيه باعتدال.

٤- اعتبار المسؤولية تحدياً تجب مواجهته. لقد اوجد الله سبحانه وتعالى غريزة الخوف في الانسان والحيوان لحمايته. فلولا خوف الانسان من ربه ولولا خوفه من القانون ولولا خوفه من ضميره لدمر أخيه الانسان. ولولا خوف الحيوان عند احساسه بالخطر لما فر أو دافع عن نفسه ومن ثم نجا. ولكن الخوف الذي يعطي صاحبه أكبر فرصة في النجاة هو ذلك الخوف الموزون الذي يكون متناسبا مع مصدر الخوف ومقدرا لقيمته. أما الخوف المبالغ فيه والذي يعكس للخائف مصدر الخوف اكبر من قيمته فانه يشل حركة الحيوان او الانسان ويعمي موضوعيته نحوه وبالتالي تقديره لمواجهته.

وهنالك مدراء يخافون المسؤولية خوفا مغال فيه الى درجة شلت فاعليتهم وجعلتهم مترددين ونزعت ثقتهم في كل من حولهم. وجعلتهم يهتمون بتوافه الأمور وسطحياتها ومظاهرها وينشغلون بها عن اللب. واصبح العمل معهم لا يطاق ابدا. ويقابلهم على النقيض الآخر أولئك المستهترون الذين لا يقيمون للمسؤولية وزنا. وبين هؤلاء وأولئك يوجد أناس يدركون المسؤولية على حقيقتها ويواجهونها بشجاعة دون تهور ويعتبرونها تحديا تجب مواجهته وتحمل نتائجه. وهؤلاء هم من أكفأ المدراء.

٥- الادراك الحسي الديناميكي للاشياء. يختلف الناس في ادراكهم الحسي للاشياء وفي استيعابهم لها. فمن هؤلاء الناس من يدركها على أنها ساكنه. وهؤلاء عادة يرضون بالامور والاوضاع كما ورثوها ويستوعبون كل أمر واقع على أنه مديم. ومن الناس من يدرك الاشياء والحالات ادراكا متحركا. بمعنى انها حية تتفاعل وكل حي قابل للتغيير والتبديل. وهنالك نظرية او على الأصح رأي يقول بأن التطور والتأخر هما حالتان عقليتان وان الفرق بينهما يكمن في الادراك الحسي للاشياء أكثر مما يكمن في التعليم. ونرى دائما دلائل على ذلك. فهنالك في التاريخ القديم والحديث قواد غير متعلمين. بالمعنى الاكاديمي المفهوم. قاموا بفتوحات وأسسوا ممالك واظهروا من بعد النظر والحنكة والحكمة والاصلاح ما لم يظهره اندادهم المتعلمون من بني عصرهم (وطبعا الكلام بالنسبة لموضوع القيادة وليس بالنسبة للمواضيع التخصصية).

ولا بد للمدير لكي يكون قادرا على تغيير اساليب العمل لديه وتحسينها باستمرار وعلى تنمية الثقة في موظفيه وتغيير نظرتهم الى المسؤولية أن يكون متمتعا بالنظرة البعيدة المتميزة بالشمول والحركة وأن يكون لديه الصبر والجلد لاكمال ذلك.

وبعد. كم يا ترى من مدير يستطيع ان يجزم أنه يملك هذه الصفات؟ لا أكون مبالغا اذا قلت ان اغلب المدراء يعتقدون أنهم يملكون هذه الصفات. والدليل على ذلك ما يشاهده المرء في الحياة الواقعية من كثرة المدراء الذين تناقض أعمالهم أقوالهم ويدعون النجاح مع أن فشلهم واضح للعيان. وسيدهش المرء عندما يعلم أيضا أن هؤلاء الناس الذين تنقصهم هذه الصفات بصورة واضحة لغيرهم يعتقدون فعلا انهم يملكونها. والسبب في ذلك هو أن معظم الناس تنقصهم المعرفة الموضوعية لانفسهم والاعتراف بنقاط ضعفهم وقبولها. وقد دفعني ذلك وأنا اتحدث عن هذه المفاهيم النفسية أن لا انتقل من هذا الموضوع الى المواضيع الأخرى قبل أن اتطرق ولو بايجاز الى الدوافع النفسية التي تحول بين المرء وبين معرفته لذاته على حقيقتها لأني اعتقد أن ذلك يمثل الخطوة الاولى للتغيير الى الأحسن والى النضوج العاطفي والثقة بالنفس. ويتضمن الفصل التالي محاولة لهذه الغاية.

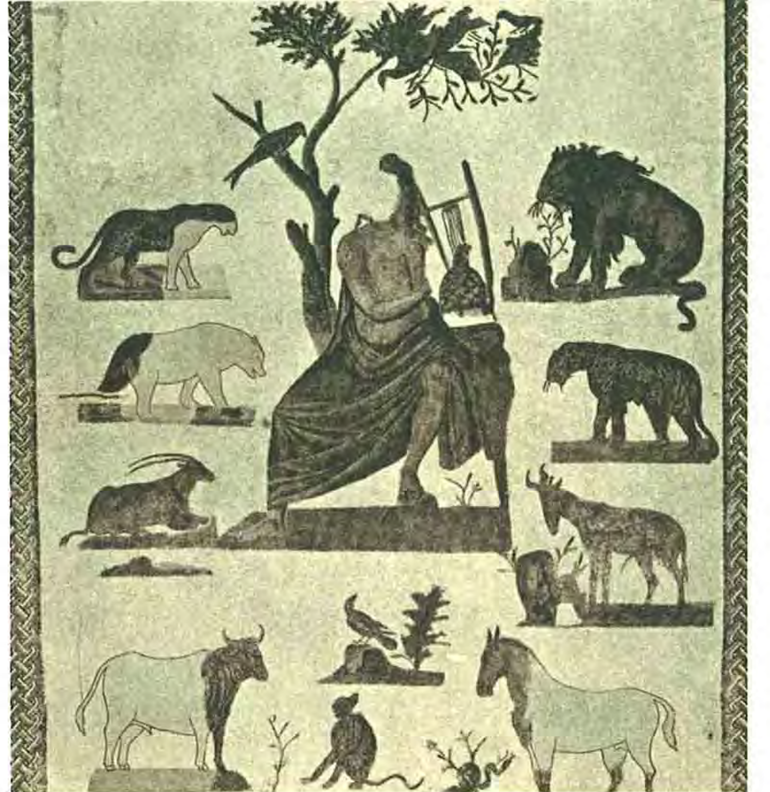


«جدير بأمة أصبح مصيرها بيدها، بعد توالي عهود السبات والاستعباد، واتجه الى رتق ما فتقته نوائب الدهر، وبناء صرح مستقبلها بناءً ثابتاً يتلاءم وجوهرها، أن تسأل ماضيها لتستجلي معالم شخصيتها الخاصة، وتجيب الى تطلبات يومها وغدها على ضوء أمسها القريب والبعيد».

الهاشمي السبعي

الحضارة التونسية من خلال الفسيفساء

تأليف: المنجي النيفر



العزف على قيثارة في ظل صنوبرة

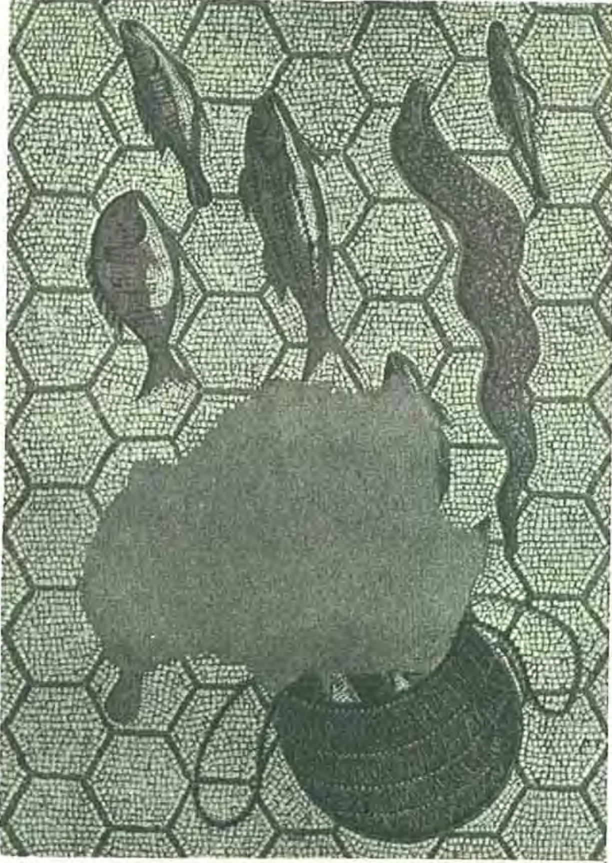
بهذه الكلمات المعاصرة دون أن تخلو من الأصالة، وبهذا الإدارك الحسي والعقلي الذي يتجاوز المحسوس الى ما وراء المحسوس، ويتخطى البصر الذي يؤدي الى البصيرة، وبهذه الكلمات الدافئة التي تذيب برودة التوتر من فوق جليد الحياة، وكأنما هي قشعريرة فكر هالها أن يحتضر تراثها في غفلة من الزمن، فهبت تستصرخ الماضي البعيد، أن يشد من أزر الحاضر القريب، استشرافاً لآفاق المستقبل، واستبصاراً بما هو أوسع أفقاً وأبعد مدى.

بهذه الكلمات وتلك المعاني، استهل الأستاذ الهاشمي السبعي - مدير المعهد القومي للآثار والفنون بتونس، تقديمه لكتاب: «الحضارة التونسية من خلال الفسيفساء» وكأنما يردد عبارة الشاعر الإنجليزي وردزورت: «**الطفل أبو الكهل**» والتي قصد بها أن الرجل كهلاً انما هو امتداد لما كان عليه طفلاً، وأن أعراض طفولته تسيطر على شخصيته في كهولته، وذلك لكي يخلص من هذه العبارة البريطانية المحدودة المعنى، الى ما هو أعم وأشمل، الى أن ما يصح في الفرد يصح في الجماعة فالجماعات في حاضرها انما هي نتيجة لتطورها عبر العصور، تلك العصور التي راكمت

صيد الأسود







اسماك مختلفة خارجة من سلة مصنوعة من الحلفا



لاعبو النرد

في شخصيتها من الحضارات المتوالية، كون ماهيتها، وشكل هويتها، وطبعها بطابعها الخاص، فجعل حاضرها وليد أمسها، وغدها وليد يومها.

فالماضي حي لا يموت في ضمير الشعوب. وان خفي عن العيون، وشأن الشعب في ذلك شأن الفرد، له عقلان: **«عقل ظاهر»** يشعر به شعوراً واضحاً، **«وعقل باطن»** يتكون من الوراثة وأعراض الطفولة، وما تنساه من أحداث حياته، يكيف حساسيته ويشكل تيارات فكره.

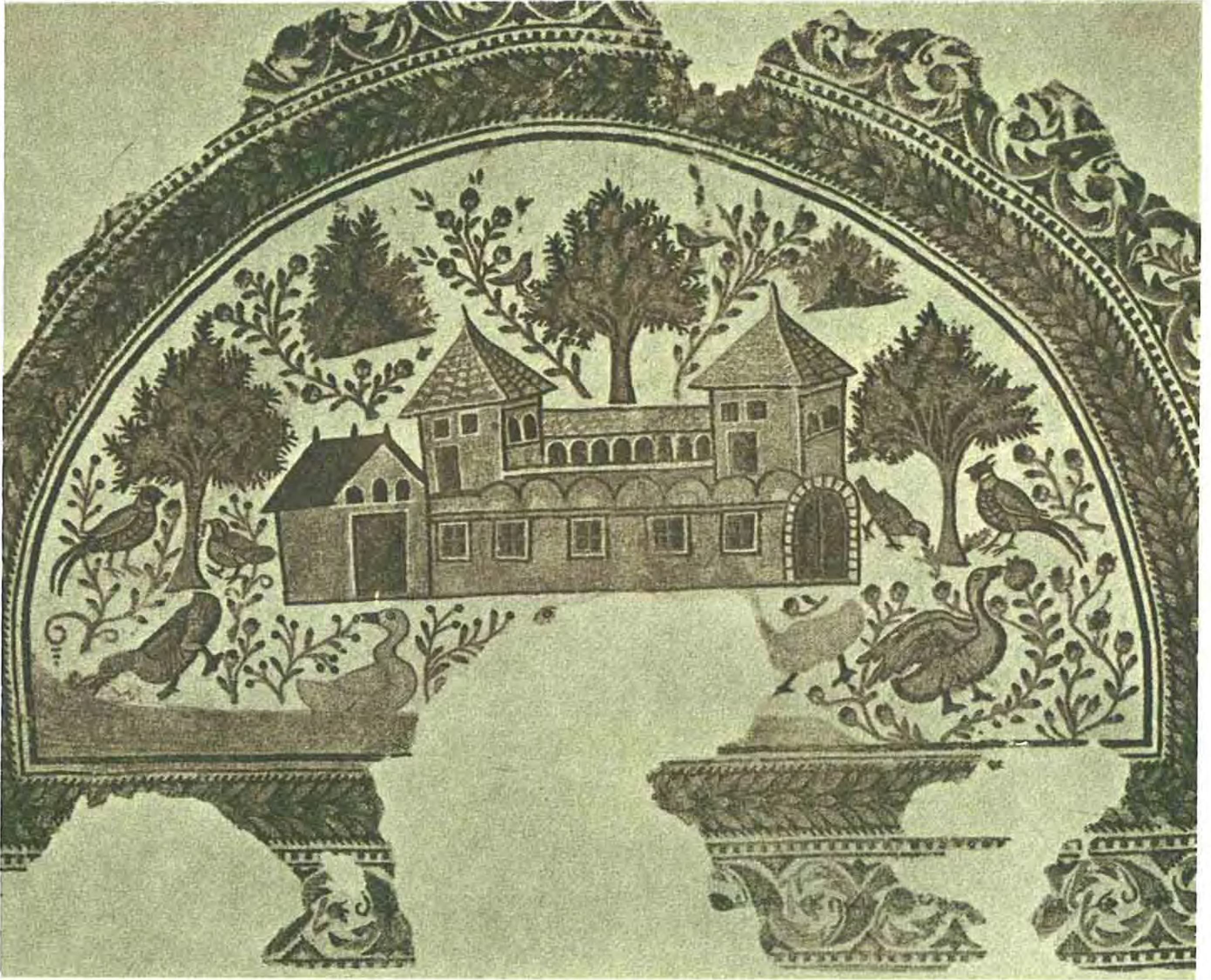
وهنا يتأدى الأستاذ الهاشمي السبعي من عبارة الشاعر الإنجليزي «وردزورت» الى بيت شاعرنا العربي. «الفرزدق» الذي يقول فيه: أولئك أبائي فجئني بمثلهم

اذا جمعتنا يا جرير المجامع

ويعلق على بيت شاعرنا العربي، بأن ما حواه من معنى، ليس خاطر شاعر فحسب بل هو حقيقة اثبتتها التجارب أولاً والعلم فيما بعد.

وكأنما كانت مقدمة الأستاذ الهاشمي السبعي، منهج البحث أو خطة السير، التي أهتدى بها الأستاذ المنجي النيفر في وضعه لهذا الكتاب، الذي جاء رغم صغره حافلاً بالكثير من المعاني، محتفلاً أروع احتفال بالحضارة التونسية في ماضيها البعيد وكأنما يستنطق الحجارة، ليستمع من خلالها الى.. أصوات الصمت.. وهي تحكي عن سير القرون – واية حكاية؟

انها حكاية يحكيها فنان مثقف.. ملؤها الفن والفكر



مسكن أحد كبار المزارعين

والتاريخ، ولذلك فهي تدل على كل شيء.. كل شيء.

ما أكبر هذا الشيء الصغير؟

انه الفسيفساء

تلك القطع الصغيرة، التي لا يتعدى حجم الواحدة منها سنتيمتراً واحداً، والتي تصاغ ضمن قوالب مكعبة وملونة من الرخام أو الآجر أو عجين البلور، وتصنع منها الأشكال المتنوعة، التي نراها عادة في تلك اللوحات. وعلى ذلك فإن فن الفسيفساء فن زخرفي في جميع مظاهره، تقليدي في طريقة صنعه، وهو بالتالي شاهد على مدى انتشار الحضارة الاغريقية الرومانية، التي امتزجت بالحضارة الافريقية وطبعت بطابعها، فأقامت الدليل حياً وصارخاً على الازدهار المحلي وبخاصة في الشمال الأفريقي. ذلك أن مجموعة الفسيفساء التونسية تعد أثرى المجموعات في العالم الروماني سواء ما كان منها موجوداً اليوم في المتاحف، أو ما لم يزل بعد في الأماكن الأثرية.

هذا والفسيفساء بمقدار ما هي «فن» فهي أيضاً «فكر» فمن خلالها يمكن قراءة الاقتصاد والحياة الاجتماعية فضلاً عن قراءة كافة أشكال الثقافة، فهي تعبير وتصوير، تعبير عما يعتمل في

خوالج الصدور، وتصوير لما يدور في خلايا العقول.

والفسيفساء كذلك بمقدار ما هي فن وفكر فهي بالإضافة «تاريخ» ذلك أن تاريخ الفسيفساء مرتبط كل الارتباط بتاريخ التقلبات السياسية، والحركات الاجتماعية. والظروف الاقتصادية، فكلها تقريباً تنعكس على اللوحات الفسيفسائية، باعتبارها مرايا عاكسة للوضع الاجتماعي بجناحيه كليهما.. السياسي والاقتصادي .. ومن ثم فهي وثائق تاريخية.

وما أقدم تاريخ الفسيفساء؟

على أن الكلام عن الفسيفساء من حيث هي فن وفكر وتاريخ، يرتد بنا بالضرورة الى الكلام عن تاريخ الفسيفساء نفسه، والى طرح هذا السؤال عن تاريخ ظهور الفسيفساء، وعند واضع هذا الكتاب أن القرطاجنيين عرفوا هذا الفن عن طريق اليونان منذ القرن الثالث قبل الميلاد، كما تشهد بذلك بسطة مدينة «**كركوان**» الأثرية، وبسط بعض المنازل التي شيدت في قرطاج قبل تحطيمها، وقيام مدينة رومانية على أنقاضها، وبازدهار هذه المدينة في القرن الثاني الميلادي، وهي الفترة التي شيدت فيها المباني العمومية ازدهرت الفسيفساء، ثم تطورت صناعتها ورقت وحسنت في القرنين الثالث والرابع حيث ذاع صيت مدرسة قرطاج في القرن الرابع، وعرفت بطابعها الخاص الذي تأثرت به فسيفساء صقلية، وفسيفساء أسبانيا في القرن الخامس.

واضمحل هذا الفن في العهد الاسلامي، ولم يعثر حتى الآن الا على لوحة ذات أشكال هندسية اكتشفت بقصر القائم **ابن عبيد الله المهدي**. أما عن أصل فكرة الفسيفساء التي أدت الى احياء هذا الفن، فقد كان مصدرها الشرق، ومن مدينة بابل.. حيث كان الكلدانيون يوشحون جدران قصورهم بمخروطات طينية ذات أوضاع هندسية متعددة.

ويدل على ذلك، ما اكتشف في آسيا الصغرى ومصر، اذ كانت في بلاط ملوكها بعض اللوحات المصنوعة من الحجارة والقواقع المغروسة في أرضية من الأسمنت في هيئات هندسية مختلفة. وتطور فن الفسيفساء في الاسكندرية وانبعث منها تياران: اتجه الأول الى الشرق وآسيا الصغرى، حيث تكونت المدرسة اليونانية الشرقية، في حين اتجه الثاني نحو الغرب وصقلية وروما، ونتجت عنه المدرسة الرومانية.

وأقدم المجموعات التي وصلتنا من المدرسة اليونانية الشرقية هي مجموعة «**أولانت**» بشمال اليونان، ويذهب بعض المؤرخين الى أن هذه المجموعة هي بدء تاريخ الفسيفساء، ويرجع عهدها الى سنة ٣٤٨ قبل الميلاد، وهي السنة التي حطم فيها **فيليب المقدوني** مدينة اولانت، ولوحات هذه المجموعة مصنوعة من حجارة على حالتها الطبيعية رتبت في اشكال تمثل آدميين وحيوانات وأشكال هندسية، كما احتوت المجموعة على صور أسطورية.

ثم تأتي مجموعة بيلا عاصمة مقدونيا القديمة، ومسقط رأس فيليب وابنه الاسكندر التي صنعت في أواسط القرن الثالث قبل الميلاد، وبنفس الطريقة.

وفي نفس الفترة، أي أواسط القرن الثالث قبل الميلاد، تظهر بمدينة مرقنستينة في صقلية، أول لوحة من النوع المسمى «**فرمكولاتوم**» والمركبة من قطع صغيرة مكعبة صيغت في أشكال مختلفة. وأقدم لوحة من هذا النوع اكتشفت في تونس، حيث عثر عليها بأحد منازل مدينة «**اوتيكا**» ويرجع عهدها الى أواخر القرن الأول الميلادي.

وتوجد في تونس لوحة، تعود الى المدرسة اليونانية الشرقية، وهي تمثل بقايا مأدبة مبعثرة على الأرض، وهي وان كانت رومانية الصنع، الا أن موضوعها يرجع الى العهد الهليني، وربما كانت الفكرة مستوحاه من لوحة رسمها الفنان «**سوسوس دي بيرغام**» وبيرغام هو اسم المدينة التي عاش فيها الفنان في اواخر القرن الثاني قبل الميلاد.

وبوجه عام فإن لهذه المدرسة مميزات لعل من أهمها الا يتعدى حجم القطعة الواحدة من القطع المكونة للوحة ثلاثة مليمترات، بالإضافة الى دقة الصنعة واتقان الصناعة أما مدرسة الفسيفساء الرومانية فقد وصلت عن طريق الاسكندرية فطرابلس الغرب كما وصل عبر روما تيار آخر ظهرت آثاره في شمال البلاد التونسية، وهو التيار الذي تمثله مجموعة «**زليطن**» الواردة من «**داربوك عميرة**» بطرابلس، والذي يمثل فترة تسرب الفنانين الهلينيين من الشرق الى افريقيا.

وقد بدأ تأثير المدرسة الشرقية بضعف في تونس ابتداء من القرن الثاني وخاصة في القرن الثالث، حيث برزت للوجود المدرسة التونسية المتمثلة في معمل «**أوذنة**» الذي صنع فسيفساء منزل عائلة اللابريي، وضمن هذه المجموعة أيضا توجد فسيفساء أورفوس التي تحمل توقيع مازريوس، وفسيفساء ثانية من «أوزنة» موقعة من اندرستريوس واخرى وقعها اكومنيا، ورابعة بجهة النفيضة موقعة من صابيونوس، وخامسة بهنشير القصبات تحمل توقيع نيسانتيوس.

ازدهار الفسيفساء التصويرية

الواقع أن الفن التصويري، بلغ في القرن الثاني للميلاد، غاية الحذق والاتقان سواء في تصوير الأجسام أو في تنسيق الألوان، ثم ازدهرت الفسيفساء التصويرية بعد ذلك في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، وهو التاريخ الذي صنعت فيه فسيفساء الخيول التي تم اكتشافها بقرطاج، وجمعت بين الفسيفساء الهندسية والتصويرية.

وفي القرن الثالث تشعبت الأشكال الفسيفسائية، واستعاض الرسامون عن الموضات الخرافية بموضوعات واقعية، ودخلت الفسيفساء الحياة اليومية حتى صار كل موضع موضوعه الخاص، وشكله المميز.

وبعد فترة الابداع والابتكار هذه، بدأ فن الفسيفساء يتدهور، حتى ضعف في النصف الثاني من القرن الثالث، وتحول جمال الاجساد ورشاقة الحركات الى جمود وموات. واكتظت لوحات الفسيفساء بزخارف زادتها تشويهاً على تشويه. وجاء هذا الانحطاط الفني والثقافي نتيجة للتدهور الاقتصادي والأزمات التي تخبط فيها العالم الروماني، ولم تسترجع الفسيفساء مكانتها الا في عهود السلم التي بعثت الأمن والراحة في أفريقيا من جديد.

وفي هذه الفترة نشأت الفسيفساء الحائطية، التي بدأت في روما في القرن الأول وكان تطورها بطيئاً على مر الأيام، ولم يتجسم أول مظهر لرقيها الفني الا في النصف الثاني من القرن الرابع وفي أوائل القرن الخامس للميلاد.

وهنا تجدر الاشارة الى نوع آخر من الفسيفساء، كان له أهمية في التاريخ وهو فسيفساء الأقباء، التي يقول عنها المؤرخ الروماني «بلين» انها استعملت لأول مرة في حمامات أفريبا، التي تم بناؤها في العام التاسع عشر بعد الميلاد، وهو ما اعتبره بلين ابتكاراً فنياً جديداً. ولقد اكتشفت هذا النوع من الفسيفساء ببعض أقباء قرطاج وحمامات انطونيوس وفي اوتيكا وبطرابلس الغرب وكذلك في الغرب، ويرجع عهد هذا النوع من الفسيفساء الى ما بين أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث على أكثر تقدير.

الفسيفساء تعكس حياة المجتمع

يرجع العهد بمجموعة فسيفساء العقارات والمساكن الضخمة الى ما بين القرن الأول والرابع للميلاد، وأقدمها بالنسبة لأفريقيا، تلك التي جاءت من زليطن، ثم مجموعة أوزنة في القرن الثاني، ثم فسيفساء «شرشال» بالجزائر في القرن الثالث فسيفساء السيد جوليوس التي تمثله خلال عمله اليومي.

ويبدو كما يقول مؤلف هذا الكتاب، أن هذه الضيعات كانت تنتج أغلب ما تحتاج اليه من زراعة وما شابه مما يجعلها في شبه اكتفاء ذاتي، أما حياة الرحل التي كانت سائدة قبيل تلك الفترة، فقد اهملت عن قصد، خاصة وان هذا النوع من حياة الترحال أخذ يتراجع نتيجة للاضطراد المتزايد في استغلال الأراضي.

ولقد كانت المساكن تظهر دائماً في شكل حصون متينة، وسط حدائق كبيرة محاطة ببعض البناءات الأخرى كالإسطبل وبين خزن المؤونة، كما نشاهد ذلك في فسيفساء طبرقة. أما بالنسبة للأعمال الريفية والإنتاج الفلاحي، فإننا نجد صانع الفسيفساء يستلهم من كل فصل من الفصول ما يلائمة ويوافق طبيعته، ويرمز الى كل عمل من أعمال الأفراد برموز حية وواقعية، فبالنسبة لفصل «**الربيع**» مثلاً، نشاهد في لوحات الفسيفساء امرأة جميلة، وباقات من الورود، ورمزا آخر لتربية الماشية والاصطياد، أما «**الصيف**» فغالباً ما يرمز اليه بامرأة متوجة بحزمة من السنابل، تمسك بيدها منجل الحصاد. ويرمز «**للخريف**» بكل ما يوحى بأنه فصل العنب وقطف العناقيد، ويمثل «**الشتاء**» عادة بامرأة طاعنة في السن وأحياناً تكون معها آلة للفلاحة، ويرمز كذلك صانعو الفسيفساء لهذا الفصل بالخنزير الوحشي.

ومن الزراعات السائدة في افريقيا في القرن الثاني للميلاد، زراعة القمح، فافريقيا كانت تلقب مطامير روما، ولهذه الزراعة تأثير واضح في لوحات الفسيفساء. وليس القمح هو كل الزراعة الموجودة في تلك الفترة، فالزيتون هو أساس الغذاء مع الحبوب الأخرى حيث يقوم السكان الافارقة بالإضافة الى استخدامه في الاستضاءة، بتحليله واستعماله في الأدوية وتدليك الأبدان، والتجميل.

وثالث مظاهر الانتاج الفلاحي الذي عنيت به الفسيفساء هو العنب، وكان العنب من غلال المائدة، وقد صورت لنا ذلك فسيفساء الجم. هذا بالإضافة الى الغلال والخضر التي نراها في فسيفساء سوسة، ومن بينها القرع والخيار. أما التين فمنزلته كبيرة، خصوصاً ونحن نعلم أن «**كاتون**» عندما عاد من افريقيا الى روما، سنة ١٥٠ قبل الميلاد، حمل معه بعض التين الطري واستظهر به أمام مجلس شيوخ روما، ليثير فيهم الحماسة والاندفاع، لتحطيم قرطاج قائلاً:



ضيعة السيد جوليوس

«هذا التين يبعد علينا ثلاثة أيام فقط، نعم.. لنا عدو على هذه المسافة من سور مدينتنا».

وبعد النبات يجئ الحيوان

ذلك لأن فلاحي افريقيا، اعتنوا بتربية الحيوانات كتكملة اقتصادية لزراعة الحبوب والثمار، وكان المركز الأول من نصيب الخيل، فهي تصلح للعدو والرياضة والاصطياد، وتستخدم احياناً في الحرث، ونادراً جداً ما تستعمل للنقل مثلما جاء في أكثر لوحات الفسيفساء.

ثم يأتي الثور في المرتبة الثانية بعد الخيل، ومن المعروف في الأسطورة اليونانية ان **جوبيتر** مثل في صورة ثور، عندما أراد اختطاف الجميلة **اوروبا** – هذا وسباق الثيران وعراكها، كان من الألعاب المحببة لدى القدامى. كان استخدم هذا الحيوان في الأغراض الاقتصادية كجر المحاريث وأكياس الصيد البحري على نحو ما نشاهد في فسيفساء أوزنة وعالية.

أما الجمل فنراه بقلة، على العكس من الماشية التي صورت بكثرة، فهناك أكثر من لوحة تمثل الراعي وهو جالس عند شجرة، ينفخ في ناية وبجانبه كلبه يحرس قطيع الغنم والماعز وعلى احدى لوحات طبرقة نرى راعية جالسة تحت شجرة صنوبر، تغزل الصوف وحولها بعض الأغنام والدواجن. ويذهب مؤلف هذا الكتاب الى أن وجود خيمة في لوحة «**أوزنة**» يحمل على الاعتقاد بوجود قوافل الترحال. ولو مرة واحدة في السنة، عندما يتغير الطقس.

وينتقل الأستاذ المنجي النيفر الى القسم الأخير الذي حدثتنا عنه الفسيفساء ويقصد به الدواجن، التي كانت مورداً هاماً من موارد الفلاحين، زيادة على فضلتها التي كانت تستخدم سماداً، وعنده أن هذه الحيوانات بوجه عام، كانت لها عائداتها الوفيرة على الاقتصاد، حيث تكونت حول الصيغات صناعات عديدة مثل صناعة الخزف وصناعة الجلود وصناعة التصدير.

التجارة بعد الزراعة والصناعة

وهنا ينتقل المؤلف مباشرة الى ميدان التجارة، ليؤكد أن تونس كانت تصدر الى جانب مواد الفلاحة والحيوانات المفترسة

التي تصلح للألعاب المسرحية، بعض المعادن والخزف فقد اكتشفت بأوستي.. ميناء روما القديم.. قرب المسرح.. ساحة كبيرة يحيط بها رواق وغرف صغيرة، كانت تستعمل مكاتب لعدة مؤسسات، وشركات ملاحة وجمعيات ممثلة في ميناء اوستي، وبفضل لوحات الفسيفساء التي ترجع الى عهد كمودوس في القرن الثاني الميلادي، أمكن التعرف الى هوية هذه الشركات، تسع منها افريقية .. من بينها ما يمثل بنزرت وقرطاج وسيدي داوود وسلقطة، وكانت لكل شركة من هذه الشركات شارة خاصة. كما عثر على لوحة في المدينة، تعطينا خمسة وعشرين نوعاً من المراكب التي كانت تستعمل في المعهد الروماني، وتختص بنقل أنواع البضائع، واخرى بسوسة، عليها مشهد انزال معدن مستورد في شكل قضبان.

والى جانب التجارة البحرية، نشطت تجارة القوافل الرابطة بين افريقيا الشمالية والصحراء وذلك عن طريق غدامس وطرابلس وقادس، وذلك بفضل الجمل الذي بدأ استخدامه في القرن الثاني بعد الميلاد.

وماذا عن الفكر والثقافة؟

بعد أن أتم **أوغسطوس** برنامج قيصر في بناء قرطاج، وافخامها في الامبراطورية الرومانية، رافق ذلك نهوض من الناحية الثقافية فظهر خلال هذه الفترة عدة مفكرين سياسيين وخطباء من بينهم **فرانتون وأبلي**، وهؤلاء لم تكن دراستهم محدودة بما يتلقونه في المدارس الافريقية، اذ كانوا في الغالب يواصلون تعلمهم خارج افريقية في معاهد عالمية شهيرة.

وكانت لقرطاج جامعة بأتم معنى الكلمة، ومكتبات بالحمامات ومختلف المؤسسات تساعد المتعلمين على الاغتراف من منابع المعرفة، وقد ذهب بعض خريجي هذه الجامعة الى الشرق لطلب العلم وذهب البعض الاخر الى روما.

وقد جعل فرانتون المحامي الكبير، وهو من مواليد قسنطينة، بيته بروما منتدى علمياً يشيع العلم بين الطلاب والمثقفين ومن مظاهر الازدهار الثقافي بافريقيا انتشار مسارح **الأوديون** حيث يتبارى فيه الشعراء والموسيقيون، وأكبر اوديون عرفه العالم الروماني كان هو أوديون قرطاج.

وقد مثلت بعض لوحات الفسيفساء مشاهد مسرحية، لما كان يعرض في هذه الفترة، من ذلك مشهد من رواية مسرحية ربما كانت للشاعر الهزلي **بلوت**، وقد كان ذلك في فسيفساء عثر عليها بسوسة. وأشهر فسيفساء في ميدان الشعر والمسرحيات هي التي مكنتنا من التعرف على وجه فرجليوس وهو يكتب ملحمة الإلياذة.

وقد كانت للمدن الكبيرة كما يقول الأستاذ المنجي النيفر فرقها البلدية، بينما كانت المدن الأقل أهمية منها تحظى بعروض هذه الفرق، ومن الممثلين من نال شهرة واسعة وأقيمت له التماثيل بعد وفاته.

واثر سيطرة الافارقة تدريجياً على الامبراطورية الرومانية في حين أن روما كعاصمة اشعاع الثقافة اللاتينية بدأت تتدهور، اكتسبت اللغة اللاتينية من خلال نهضة الافارقة روحاً جديدة ومتجددة، وأصبح التنافس على حد تعبير مؤلف هذا الكتاب وأصبح التنافس على أشده بين الحضارتين الهلينية والرومانية.

وكان من جراء ذلك ان تعدت شهرة «**أبولي**» الافريقي روما الى انحاء العالم وصار مرآة انبعاث الفكر الافريقي الذي صيغ في القرنين الأول والثاني بعد أن تشبع بالفيثاغورية والافلاطونية تشبعاً كاملاً. وفسيفساء القرن الثاني تصور لنا بدقة هذه الحيوية الثقافية ومنها تلك التي اكتشفت بالجم.

وهنا ينتقل الأستاذ المنجي النيفر على ضوء اللوحات المختلفة التي قام بدراستها والتي تمثل جانباً من الثقافة الحية. الى محاولة تقسيم الفن الإفريقي الى اربعة اقسام في هذه الفترة التي تمتد حتى سنة ٢٣٨ بعد الميلاد.

** **القسم الأول**: منها يتعلق بتأثير الحضارة الهلينية والرومانية خاصة ما كان منها قادماً من البلاد المصرية.

** **القسم الثاني**: يشمل عهد الامبراطور اوريانوس، عندما كان الادب الروماني في طور الافول والاضمحلال، بينما كان الادب الافريقي في طور الرقي والازدهار، وعند مؤلف كتابنا هذا أن المدرسة الرومانية طوال هذه الحقبة، اختصت باستخدام اللوني الأبيض والأسود. في لوحات الفسيفساء، بينما تميزت المدرسة الافريقية بتعدد الألوان مع وجود اللونين الأبيض والأسود، وفسيفساء الشابه، على حد تعبيره، دليل على الإبداع في هذه الألوان.

** **القسم الثالث**: او المرحلة الثالثة تسيطر عليها

شخصية «**ابولي**» المولود بمداوروش بالجزائر، وهو مؤلف كتاب المسخ أو الحمار الذهبي.

** **القسم الاربع**: او المرحلة الرابعة هي التي بلغ فيها الانتاج قمته، وهي التي تتواصل مع عهد تسلم الافارقة مقاليد الامبراطورية تحت أمرة «**السيفاريين**».

ويخلص الأستاذ المنجي النيفر من هذا التقسيم الرباعي الى القول بأن النهضة الاقتصادية والازدهار المعماري وانتشار القصور الضخمة، رافقته تقدم في الإنتاج الثقافي انعكس على الانتاج الفني، الذي قام فيه الأفارقة بنشاط بارز عندما اتخذوا لأنفسهم اتجاهاً جديداً نحو الموضوعات الفلسفية والصور الرمزية.

الا أن الفن الفسيفسائي كما يخلص الى ذلك الأستاذ المنجي اعتراه خلال فترة الاضطرابات القصيرة، التي مرت بافريقيا في النصف الثاني من القرن الثالث، بعض الانحطاط والفتور، ففقد الاعتناء، وانعدم الابتكار، وكان هذا الانحطاط الفني والثقافي نتيجة للأزمات والتدهور الاقتصادي وفقد الأمن والاستقرار.

احياء بعد موات

ولكن مع عودة الاستقرار وهدوء الحالة، انبعثت كما يقول المؤلف «**حركة ترميمية**» تستهدف تجديد بناء المنازل والمعالم القديمة في قرطاج وبقية المدن، واكسائها بالفسيفساء. وتظهر مراحل هذا التجديد جلية واضحة من خلال البسط المتراكبة في بعض الغرف والجدران، والتي يمثل كل واحد منها عهداً بعينه من عهود تطور الفسيفساء.

وماذا يعني هذا كله؟

انه يعني الكثير والكثير جداً، ولا يكاد معناه يتبلور في اذهاننا الا اذا عرفنا أن أغلب المؤرخين الذين وصلتنا كتاباتهم لم يبرزوا الشخصية الافريقية كما ينبغي، وان آخرين ممن عرفوا باستغلالهم لتراثنا القومي، عمدوا الى طمس الشخصية الافريقية فجعلوا من فناني افريقيا ومفكريها مقلدين للمستعمر الروماني تقليداً رديئاً. لا أكثر.. ولا غير.

ويالها من حملات ثقافية، القصد منها تشكيكنا في قيمة تراثنا، وعزلة عنا، وعن قدرتنا على استلهامه واتخاذه وقوداً حياً في معاركنا الثقافية، من أجل مواجهة كل تحديات الغرب ومن أجل مواكبة كل تطلعات العصر.

فها هو أحدهم ينعت الفن الافريقي بأنه فن بدائي لا دقة فيه ولا اتقان، وها هو آخر يذهب الى أن الفكر الافريقي بعيد كل البعد عن الابداع، وها هو ثالث ينكر وجود فن افريقي في العهد البونيقي على الاطلاق. هذا بالاضافة الى شرذمة المؤرخين من فاقدي النزاهة، ممن أرادوا حمل قرائهم على الاعتقاد بأنه لا فكر ولا فن.. ولا حضارة تستحق هذا الاسم قبل الحضارتين الاغريقية والرومانية، ثم الاوروبية بطبيعة الحال.

ولا شك في أن اكتشاف الواح الفسيفساء بالحمامات ونابل وسوسة والجم وغيرها، فضلاً عن أنها أبرزت للوجود هذا الفن الخلاب بجمال ألوانه وروعة صناعته، جاءت رداً حاسماً على أولئك وهؤلاء جميعاً، كما ان دراسة هذه الفسيفساء، مكنت من الاطلاع على جملة معلومات ناطقة وصريحة، عززت الاخبار التي استقيناها من نصوص المؤرخين القدامى عن حياة اسلافنا العقلية والمادية، كما يقول صاحب هذا الكتاب.

ويقول أيضاً: «انه لا يكاد يمضي يوم دون أن تضاف بسط جديدة، وصحائف رائعة التصوير لمجموعتنا الفسيفسائية، تمثل حلقات متتابعة في سلسلة تاريخنا القديم. وهذا صحيح.. وليس أدل على صحته من تلك الوثبة الفكرية التي تبعث الوثبة السياسية مما شهدته افريقيا في السنوات القليلة الماضية، ومما جعل المؤرخين وفي مقدمتهم الافارقة يكتشفون من جديد شخصية افريقيا في فنها الأدبي والنحتي والمعماري، ويكفي أن نذكر في هذا الصدد مهرجان الفنون الزنجية الذي أقيم بدكار عاصمة السينغال في عام ١٩٦٥، والذي اهتز له العالم بأسره، وأعجب بأصالة الإنسان الافريقي وقدرته على الابتكار والابداع، وكان من جرائه، ذلك الغموض الكبير الذي نظم بباريس وخصص قسم منه لابراز تأثيرات القارة الافريقية في الفنانين الاوروبيين في شتى المجالات ومختلف الميادين.

موضوع خاص:

الأفاعي

الثعبان .. الحية .. الافعى .. الافعوان..

أربعة أسماء وغيرها كثير، لمسمى واحد..

المسمى: مخلوق من الزواحف .. يثير في النفس النفور والاشمئزاز .. وفوق كل شيء .. الكثير، الكثير من الذعر والهلع لمجرد ذكر واحد من اسمائه.

تجلس في البيت مستأنساً، تتحدث مع قريب من الاهل أو صديق من الخلان .. فاذا ورد اسم «**الحية**» – دون ان تدري – يعتريك شعور بالنفور والخوف معاً .. وكأنها تسعى تحت قدميك ولا تتردد بان تصيح «أعوذ بالله»..

مم؟

من الحية؟ .. أم من شرها؟ ام من مجرد ذكر اسمها؟ لا ندري .. ولكن .. أعوذ بالله منها على كل حال .. وكما يقول المثل الشعبي .. «من الجمل .. وما حمل» لكن صبراً .. قراءنا الاحباء.

لا تأخذونا مع «الجمل بما حمل» .. ولنجلس معاً حول السطور التالية، نناقش ذلك المخلوق، الذي – باذنكم ودونما انفعال منكم – ظلمناه كثيراً، وأضفينا عليه كل ما نملك من ازدراء ونفور .. وكما قلنا، من قبل، من ذعر وهلع .. فالافاعي ليست كلها شراً وأذى.

والشرير منها والمؤذي .. ليس دائماً هكذا..

فما الافاعي سوى حيوانات زاحفة «**وديعة**» .. أجل .. هي «كلها» وديعة وانيسة وغير مؤذية .. ما لم يتهددها الخطر ويلوح لها العدوان.

الافاعي .. في القرآن الكريم

ورد ذكر الافاعي في **القرآن الكريم** باثنين من مسمياتها .. فقد وردت باسم «**ثعبان**» في سورتي الاعراف (١٠٧) والشعراء (٣٢) في قوله تعالى «**فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين**» .. كذلك وردت باسم «**حية**» في سورة طه (٢٠) في قوله تعالى

افعى افريقية .. ويبدو لسانها الاحمر لجذب الطيور وغيرها



«قال القها يا موسى، فألقاها فاذا هي حية تسعى»..

ثم اشار القرآن الكريم الى الحية أو الثعبان ضمناً في ثلاث آيات هي:

* «الاعراف -١١٧» .. فاذا «هي» تلقف ما يأفكون..
* «طه - ٦٩» .. وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا..
* «الشعراء - ٤٥» .. فألقى موسى عصاه فاذا «هي» تلقف ما يأفكون.

الافاعي في اللغة العربية

الثعبان: الحية الضخمة الطويلة **(للذكر والانثى)** .. والجمع **ثعابين** وثعبان الماء نوع من انواع السمك.

حنش: الحنش: الحية، والحنش ما أشبه رأسه رأس الحيات من الحرابيّ وسَوَامّ أبرص ونحوها والجمع **أحناش**.

الحية: حيّة انثى وحيّة ذكر ويقال للجميع حَيّ، واشتقاق الحية من الحياة وهي في البناء على تقدير حَيوَة وقيل اشتقاقها من حَوَيت لانها تتحوى في لوائها. والحيّوت ذكر الحيّات.

الافعوان: ذكر الافاعي من أخبثها، والافعوان من فوعة السم وهي حدّته وانما كان قياسه افوعان فقلبت وكذلك القول في الافعى.

أفعى: قال **سيبويه**: قالوا الافعى فجعلوه في الاصل بمنزلة شديد اي انه في الاصل وصف وقال أرض مفعاة - كثيرة الافاعي.

أنواع الحيات في اللغة العربية

العِربَدّ - والاسود والافعى والافعوان والحربش والشّجَاع والأرقم والحفّاث وابن قِترة والاصَلَة والأعَيرج، والدسّاس، والنكّاز، والجان، والأيم والأين، والثّعبان. والحرّ والأبتَر وهو الشيطان، والأصَمّ والقصَيري، وذو الطّفيتَين، وذو الطّرّتين، والحَنَش والحَرَف والحراف والحَفَث والحِضب والقزة والحِنفيش.

أصوات الحية

من أصوات الحيّات الصفير والنّباح والضباح والحفيف والحَدَمة والفحيح.

.. وفي التاريخ

ولعل ما يحضرنا في هذا المقام هو تلك الحية التي كانت لكليوباترا، ملكة مصر القديمة، التي كانت الخلاص والنجاة لها من اسر **اوكتافيوس** قائد **روما** وقد هزم كليوباترا واصبحت حياة الاسر والسبي اقرب اليها مما عداهما.

عندئذ كان سم الافعى هو طريق الخلاص من الأسر والفرار بالكرامة الشخصية – حسب مفهومها –

وفي مسرحية «مصرع كليوباترا» **لاحمد شوقي** قصيدة في واحد وعشرين بيتاً في الفصل الرابع من المسرحية تناجي فيه الحية قائلة..

هلمي الآن منقذتي هلمي
وأهلا بالخلاص وقد سعى لي
شربت السم من فيك المفدي
بسلطاني وزدت عليه مالي
على نابيك من زرق المنايا
شفاء النفس من سود الليالي
وبعض السم ترياق لبعض
وقد يشفي العضال من العضال

الى أن قالت:

سأنزل غير هائبة اذا ما
تلمظت المنية للنزال
أموت كما حييت لعرش مصر
وابذل دونه عرش الجمال
حياة الذل تدفع بالمنايا
تعالي حية الوادي تعالي

الافاعي .. في سطور

يعتقد الكثيرون أن الافاعي مخلوقات قذرة، وكئيبة وخطرة. والواقع يخالف ذلك فهي – في أغلب الاحوال – رشيقة الى حد كبير، وذات خطوط أو شرائط او بقع زاهية الالوان .. كما ان أجسامها تتميز بانسيابها الدقيق.

واغلب أنواع الافاعي ليست ضارة بالانسان، بالعكس، **فالكثير من الافاعي تعتبر من اخلص حلفائنا، لأنها تتغذى على القوارض (الفئران والجرذان)** التي تدمر محاصيل الخضر وتستهلك محاصيل البذور (كالقمح والذرة والشعير.. الخ) كما ان هناك من الافاعي ما تعتمد في غذائها، اساساً، على الحشرات (كالديدان والجراد) وكلها آفات زراعية تستهلك منا المزيد من الجهد والمال وتتحدقنا بالاخطار الاقتصادية.

صحيح ان بعض الافاعي تقتل ضحيتها بدفع السم الزعاف الى أجسامها .. الا انه حتى هذه الانواع السامة .. تتجنب الانسان .. اجل تتجنبه ولا تسعى الى الاضرار به أبداً .. الا اذا شعرت بالخطر يتهددها او هيئ اليها ذلك.

مناطق تواجدها

الافاعي من الزواحف .. والزواحف تشمل التماسيح والسلاحف والسحالي. واكثر انواع الزواحف قرباً من الافاعي هي السحالي..



افعى المراعي ذات الخطوط



الا ان ما يميز الافاعي عن غيرها من الزواحف او الحيوانات هو الصفات التالية:

* **عدم وجود اية اطراف للافاعي..**
* **عيونها مفتوحة دائماً ولا تغطيها جفون..**

هذا وتوجد الافاعي في جميع المناطق الاستوائية **ولا يكاد يخلو منها مكان في كافة ارجاء العالم، فيما عدا منطقتي القطبين الشمالي والجنوبي، وجزر هاواي وايرلندا ونيوزيلندا التي تخلو من وجود انواع محلية من الافاعي بها..**

اما عن دراسة تاريخها، فان اقدم حفرية عثر عليها لافعى، تعود الى العصر الطباشيري، منذ حوالي **مائة مليون سنة** .. بيد انها لم تقدم لنا أية معلومات عن تاريخ اسلافها المبكرين.

الصفات الجسمية

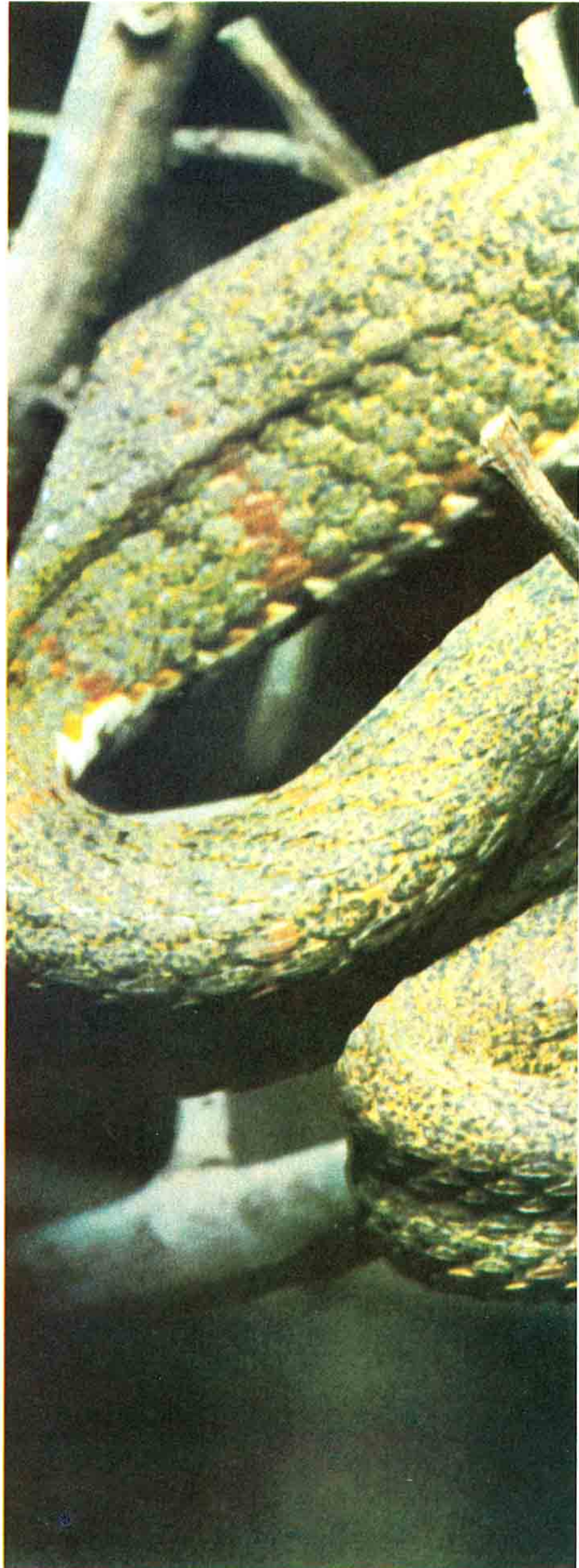
تتميز **جمجمة** الافعى بمرونة في التركيب، تساعد على منح فكيها: السفلي والعلوي درجة كبيرة من حرية الحركة.

ذلك ان الفك السفلي ينقسم الى نصفين، غير متصلين من الامام، لكنهما موصولان برباط مطاط مرن.

اما **الاسنان** فهي حادة الاطراف، كما الابرة ومقوسة الى الوراء، وتنتشر على الفكين واما **جسم الافعى** فيتميز بطوله الانسيابي، ولذلك كانت اعضاؤها الداخلية طولية هي الاخرى **فالقلب** – بخلاف شكله المعروف عند كثير من الحيوانات – طولي الشكل، وكذلك الحويصلة الصفراوية **(المرارة)** .. التي لا تلتصق – كالعادة – بالكبد، بل ترقد بعيداً، وراءه كذلك تنحت احدى الرئتين، وخلت مكانها **لرئة واحدة للافعى**.

وجسم الافعى تغطيه **الحراشيف**، وهي شبيهة بقشور السمك، لكنها تزداد سمكاً في منطقة الرأس وعلى الجانبين. **وتختلف الوانها باختلاف البيئة التي تحيا بها الافعى** كما أنها تحوي عدداً من الاصباغ هي التي تحدد لونها بين **الاسود والبني**. وقد تختفي الاصباغ تماماً من بعض الحراشيف فتكون الفرصة سانحة لانكسار أشعة الضوء عليها منتجة عدداً من الالوان، كما يحدث في المنشورات الزجاجية الدقيقة.

على ان ألوان الافاعي تتفق – في اغلب الاحوال – مع لون البيئة التي تحيا بها الافاعي فاذا وجدت الافاعي بمناطق الغابات والادغال، فانها تشاهد ذات بقع او خطوط تحاكي أوراق الأشجار وأعضائها .. أما **أفاعي الأشجار** فيختلف لونها بين



الاخضر والبني أما ساكنات الصحارى فتتميز الوانها بالشحوب.

على ان الافاعي تبلغ حداً كبيراً في تكيفها مع البيئة المحيطة بها، ليس فقط في انماط الحياة والوان الحراشيف ولكن ايضاً في مجال التركيب الجسدي.

ذلك أن بعض انواع الافاعي تقضي جزءاً كبيراً من عمرها تحت سطح الارض .. وتتميز برأسها المدبب، الذي يشبه الاسفين او الوتد .. الامر الذي يساعدها على اختراق الارض والغوص تحت سطحها. وتسمى هذه الانواع بالافاعي «**الحفارة**» وهي ثقيلة الوزن ضخمة الجسم.

اما الافاعي «**الارضية**» فتستطيع تسلق الادغال والاشجار، بل والسباحة اذا دعت الحاجة .. في حين تفضل «**الافاعي المائية**» مياه البرك والمستنقعات، ونادراً ما تتجول في سباحتها بعيداً عن المياه العذبة .. وهي ماهرة في السباحة.

كذلك تحبذ «افاعي الاشجار» سكنى فروع الشجر والحياة على ثمارها وعلى بيض الطيور.

الحواس

نظرا لان الافاعي من الحيوانات الصيادة الماهرة، فهي بحاجة الى جهاز من الحواس الدقيقة الحادة.

أولاً : حاسة البصر

تتمتع بعض انواع الافاعي — خصوصاً الحفارة منها — **بحاسة بصرية حادة**، اذ تتركز حدقة العين بدقة على الاشياء على اختلاف مسافاتها ومن ثم تستطيع تحديد الوقت اللازم للانقضاض على الفريسة وبدقة متناهية.

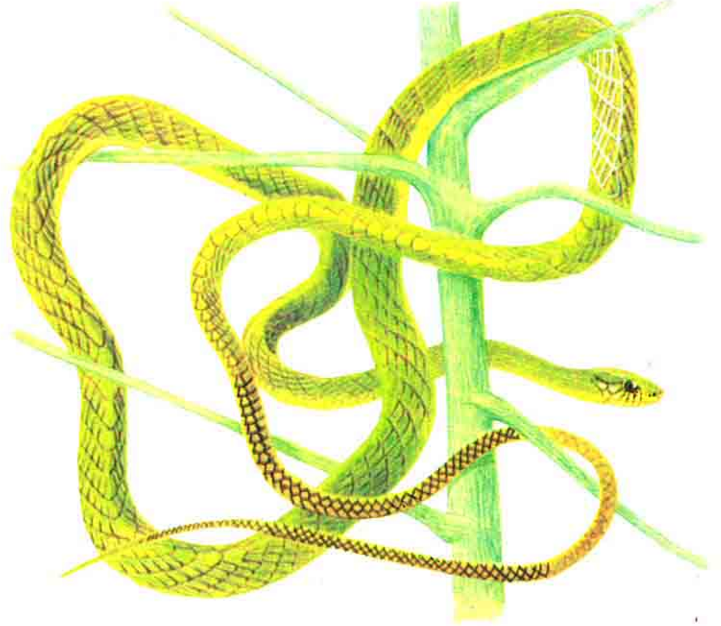
ومن المعروف **ان عينيها لا يغطيهما جفنان، بل حراشف شفافة** .. رغم ذلك تكون حدقة العين في الافاعي التي تقتنص فريستها اثناء النهار مستديرة .. اما صائدات الليل فتكون حدقاتها مستقيمة كما القطط.

ثانياً : حاسة الشم

وتتصف الافاعي **بحاسة شمية عالية**، تتعرف بها على فريستها



افعى «مامبا» خضراء .. افعى الشجر



وتحدد نوعها ... يساعدها على ذلك لسانها المشقوق .. فهو – عند خروجه من الفم – يلتقط على طرفه ذرات دقيقة يحملها الى الفتحتين الموجدتين في الجزء الامامي من تجويف الفم والموصلتان الى اعصاب الشم .. وهما تعتبران جزءاً من منطقة الانف .. **وهي تستعمل لسانها كعضو للمس .. أما للتذوق .. فلا..**

ثالثاً : حاسة السمع

ليس لدى الافاعي أجهزة لاستقبال دبذبات الهواء، لا طبلة اذن ولا اذن خارجية .. ولذلك يميل البعض الى الاعتقاد بانها تعوزها حاسة السمع .. بيد أنها على اي حال، **تستطيع التقاط ذبذبات الهواء والاحساس بالموجات الصوتية** لا عن طريق السمع بل عن طريق احتكاكها بالارض.

حركة الافاعي

هذا .. ومن المعروف **ان الافاعي ليست لها اطراف** .. ولكن ذلك لا يقعدها عن الحركة والانتقال من مكان لآخر .. فهي تستطيع سبر اغوار الاراضي الناعمة والوعرة معاً، كما تستطيع السباحة وتسلق الاشجار.

والثعبان يتحرك بقذف جسمه الطويل في موجات افقية، يساعده على ذلك هيكله العظمي البالغ المرونة كما يسهل له الانثناء في جميع الاتجاهات بسهولة ويسر .. ومع كل انثناءة يدفع أمامه كل ما يواجهه من عقبات، ككومات العشب والأحجار الصغيرة وفروع الاشجار، الى الأمام. ومن المقاومة الناتجة عن احتكاك بهذه الاشياء وكذلك احتكاك جسمه بالارض خلال تموجاته الجسدية .. يستطيع الاندفاع بجسمه الى الامام .. على انه يمارس تحركاته هذه للسير كما يمارسها عند السباحة كذلك.

وثمة **طريقة أخرى** للسير هي طريقة **«يرقة الفراش»** او «الدود» وفيها يزحف الثعبان في خط مستقيم عن طريق دفع طرفي جسمه الى الامام .. وهو ما يتم بمساعدة عضلاته القوية.

بيد أننا لا نستطيع اغفال اثر الحراشف التي تغطي جسم

الثعبان في مساعدته على دفع جسمه الى الامام في طريقة السير «الدودية» هذه .. اذ هي تعتبر بمثابة نقطة ارتكاز تنطلق منها الحركة. كما انها تساعده على تسلق الاشجار وغيرها.

اما **الطريقة الثالثة للحركة** فهي السير بطريقة «**النخع**» وذلك بان يدفع طرفه الامامي الى الامام في حين ينطلق بطرفه الخلفي اتجاه الخلف .. وبذلك يندفع جسمه الى الامام.

على ان الاصناف الصحراوية مثل الافاعي الافريقية ذات الأجراس أو أفاعي «**الصوندر**» الامريكية تتحرك بطريقة الاندفاع الجانبي وذلك بان تمر الافعى بسهولة ويسر فوق أرض رملية مسطحة في اتجاه جانبي ومع تحركها يحتك جسمها بالارض من عدة اماكن في وقت واحد وكل جزء من جسمها يتخذ شكل حرف (s) .. وهكذا تنتقل حركة الجسم من كل انثناءة على هيئة حرف (s) هذه الى غيرها .. اذ يتخذ الجسم كله شكل عدة حروف (s).

اما سرعة تحرك الافاعي فليس من السهولة تحديدها. بيد **ان اكثرها سرعة لا يتجاوز ثلاثة او اربعة اميال في الساعة الواحدة**، وهي سرعة لا تستطيع الافعى مداومة التحرك بها لعدة ساعات متصلة.

الافعى والفريسة

تلجأ الافاعي لعدة طرق لاقتناص فريستها:

** أبسط تلك الطرق هي **اقتناص الفريسة بالأنياب ثم ابتلاعها فوراً** .. وهي الطريقة المناسبة لاقتناص الحشرات ويرقاتها والديدان والقواقع والاسماك وثعابين الاسماك والضفادع، واحياناً يلجأ الثعبان الى **كبس فريسته** الى الارض حتى تنتهي مقاومتها.

** كما تلجأ بعض الأصناف الى امساك الفريسة

من نوع «غيرتر» ذات ثلاثة خطوط صفراء براقة



التلون حسب البيئة .. وسيلة اختفاء جيدة



وتقليص العضلات عليها حتى تختنق..

** ايضا يعقد **الثعبان** عدة لفات من جسمه حول فريسته ثم يبدأ في فركها داخل تلك اللفات .. وكلما تقلص جسم الفريسة نتيجة ضغط لفات جسم الثعبان، فان كمية الهواء الذي تتنفسه الفريسة تقل، ومن ثم يلحقها الموت دون ألم .. والجدير بالذكر ان هذه الطريقة لا تؤدي أبداً الى فرم عظام الفريسة او سحق جسمها.

** على ان اكثر طرق الاقتناص اثارة هي **القتل بالسم**، حيث يدخل السم الى جسم الفريسة عن طريق جرح تسببه اسنان الحية السامة أو أنيابها.

الافعى .. وحجم فريستها

من الصعوبة بمكان تحديد حجم جسم الافعى بالنسبة لحجم الفريسة التي تقتنصها **فهي تستطيع ابتلاع حيوانات يبلغ حجمها أضعاف حجم جسمها**..

سبب ذلك ان أنياب الثعبان مجوفة الى الوراء. فاذا امسك الفريسة بأنيابه لم تستطيع غير الاندفاع الى الامام في اتجاه مريء الثعبان .. يساعد على ذلك ان الفك السفلي ليس مرتبطاً

أفعى «غيرتر» المائية تلتهم سمكة



بجمجمة الثعبان. ومن ثم يمكن فتح الفم بسهولة بالغة وعلى اتساع كبير.

أيضاً يتميز الحلق بالمرونة البالغة .. كما انه يستطيع تحريك فكيه في الاتجاه الجانبي وبحرية تامة..

ومن ثم فان كل ما يفعله الثعبان هو أن يفتح فمه عند الفريسة وحسب .. عندئذ يتحور جانبي الفكين العلوي والسفلي، ثم يتحركان الى الأمام قليلاً، ثم ينقبضان مرة اخرى بسرعة .. اما الأسنان فينحصر دورها في القبض على الفريسة، وعندها يكون الحلق مستعداً لاستقبالها..

أما مشكلة **التنفس** اثناء مقاومة الفريسة عند الدخول الى الفم – وقبل ابتلاعها – فان الثعبان يعالجها بدخول الهواء من فجوة بين جزأي الفك السفلي اثناء انفتاحها لابتلاع الفريسة.

الثعبان والطعام

يستطيع الثعبان قضاء فترة لا بأس بها دون تناول جبة واحدة .. ذلك ان الطعام لا يحترق في جسمه بسرعة كبيرة نظراً لانه اقل نشاطاً من غيره من الثدييات الاخرى..

ولنفس السبب **يستطيع، كذلك، الاستغناء عن الماء لاطول مدة ممكنة**. اما إذا أراد الشرب فهو يغمس الجزء الاسفل من رأسه في الماء ثم يبدأ في امتصاصه عن طريق احداث تقلصات في الزور .. بطريقة قريبة الشبه جداً من شرب الحصان.

نمو الافاعي

تزداد الافاعي طولاً كلما امتد بها العمر. أما الصغار فيتضاعف طولها خلال السنة الاولى من عمرها، ثم ينخفض معدل النمو مع بلوغها سن البلوغ.

على أن معدل النمو يتأثر – الى حد كبير – بكمية الطعام التي تتناولها الافعى، ودرجة حرارة البيئة التي تحيا فيها، ولذلك يكون نمو الافاعي ضئيلاً خلال فترة بياتها الشتوي.

اما عمرها فمن الصعوبة بمكان تحديده بالضبط. بيد ان سجلات اقتناص الافاعي تورد اشارات لاعمار الافاعي تختلف حسب نوعها على النحو التالي:

* **أفاعي الاناكندة** (وهي افاعي ضخمة من فصيلة الاصلة تعيش في **جنوب امريكا**) ٢٨ سنة.
* **أفاعي الاصلة والافعى الاوروبية** الخبيثة كل منها تعيش ٢٢ سنة.
* **أفعى موكيش المائية**: ٢١ سنة.
* الكوبرا والافعى **ذات الاجراس**: ١٣ سنة.
* **الفيرتر** (أفعى امريكية سامة): ١١ سنة.

تغيير الجلد

كلما نمت الافعى غيرت جلدها .. أو «**خلعته**» والذي يحدث ان الثعبان يزحف خارجاً من الجلد، الذي ينسلخ عنه، مخلفاً اياه من ورائه وقبل ان يغير الثعبان جلده بعشرة ايام تتخذ عيناه شكلاً ضبابياً، ويتحول لون جسمه الى اللون الداكن. ثم يعود للعينين صفاؤها مرة اخرى. عندئذ يبدأ تحرر الجسم من جلده مبتدئاً بمنطقة الشفتين .. ثم يحك الثعبان رأسه في الأحجار المجاورة له أو في غيرها من الأجسام الخشنة كجذع شجرة أو ما شابهه مما يساعده على سحب الجلد الى ما خلف الرأس .. ومع استمرار التقلصات العضلية والمزيد من فرك الجسم بالاشياء الخشنة المحيطة به، يتمكن الثعبان من تحرير باقي جسمه من الجلد.

بعد عملية المعاناة المرهقة هذه، والتي يعاني الثعبان خلالها عملية التغير من القديم الى الجديد .. يظهر الجسم في ألوان براقة لامعة.

أما الجلد المخلوع فيظل ملقياً على الأرض، يعرض كل صغيرة وكبيرة من جسم الثعبان بما في ذلك الحراشف التي تغطي اعلى العينين .. ومن هذه العلامات الدقيقة، يمكن التعرف على نوع الافعى صاحبة الجلد، وفصيلتها التي تنتمي اليها.

درجة الحرارة

تستطيع الافعى، بعكس الطيور او غيرها من الثدييات حفظ درجة حرارة جسمها عند معدل ثابت. كما ان درجة حرارتها لا تتجاوز درجة واحدة ارتفاعاً أو انخفاضاً عن معدلها الطبيعي مهما اختلفت حرارة الجو.

رغم ذلك لا تستطيع الافعى الحياة مدة طويلة وهي معرضة لاشعة شمس **الصيف** بشكل مباشر ولا عندما تقل درجة الحرارة الى حد التجمد **شتاءً**. اما في المناطق المعتدلة فهي تتحاشى البرد القارس بالدخول في البيات الشتوي.

البيات الشتوي

في أوائل **فصل الخريف**، تبحث الافاعي عن مكان تختفي فيه مؤثرة عدم التعرض للاجواء المتجمدة في الشتاء.

وقد يكون ذلك المكان جحراً على جانب احد الجبال. أو تحت كومة من الصخور أو شجيرة، أو في قاعدة مفرغة لاحدى الاشجار.

وقد تجتمع عدة انواع من الأفاعي في مكان واحد لقضاء **بياتها الشتوي**، كالحال عند اجتماع: الافعى النحاسية الرأس، وذات الاجراس، وأفعى بيلوت السوداء.

وعندما يحل **فصل الربيع** بجوه الدافئ تبدأ الافاعي في الخروج من مقامها الشتوي لكنها لا تتجاوزه – اول الامر – الى أماكن نائية .. ولعل ذريعتها في ذلك هو حساسيتها المفرطة بالاحتمالات الجوية. ذلك ان بعض ليالي الربيع الاولى تكون قارسة البرد احياناً فاذا وصل الامر الى هذا الحد تكون الفرصة أمامها سانحة للمبادرة بالعودة الى مخبئها قبل ان يهلكها البرد والصقيع.

فاذا اطمأنت الافاعي الى انحسار موجات البرد القارس،



أفعى سوداء من أفاعي الأشجار



التنافس على الاناث

قلنا ان الافاعي تبدأ موسم تزاوجها وتوالدها مع أول أنماط سلوكها لدى خروجها من البيات الشتوي.

كذلك أوردنا أنها – في بياتها – تكون متجمعة باعداد كبيرة في مكان واحد .. رغم ذلك .. ومع بداية موسم التزاوج. فان الظاهرة التي تستحق الوقوف عندها وتأملها **ان الافعوان (ذكر الافعى) لا يحاول – بطبيعة اصيلة لديه – اغتصاب انثى افعوان غيره.**

تلك قاعدة سلوكية تكاد تكون مستقرة لدى جميع أنواع الافاعي في كافة بقاع الارض .. لا يشذ عنها أفاعي منطقة معينة **غير افاعي اوروبا.**

فقد يتعارك ذكران من الافاعي الأوروبية على انثى واحدة – عندئذ يواجه الذكران بعضهما، وقد نصب كل منهما الجز الامامي من جسمه، مع رأسه، ثم يندفعان بشدة في اتجاه إحدهما الآخر .. فيصطدمان .. ولدى كل منهما الامل في طرح خصمه أرضاً. وقد يحدث خلال هذا التعارك ان يثني احد الخصمين جسم الآخر ويتمكن من فركه في الارض عدة مرات .. الا ان الشئ الذي يستحيل حدوثه هو أن يعض أحدهما الآخر .. وكأنها احكام رياضية لا تبيح لاحد المتنافسين أن يسبب للآخر اية أضرار جسدية .. بامكانهما ان يتصارعا من أجل الفوز بالأنثى .. لكن ليس من حق أي منهما أن يعض الآخر أو يسبب له أي أذى.

في نهاية العراك يخضع احد الخصمين ويسارع بترك الساحة لخصمه الذي يشيعه عن قرب.



خرجت من جحورها تدب في الارض وتسعى .. لكنها لا تمعن في الابتعاد قبل ان تطمئن الى وجود الاناث لاتمام عملية التزاوج.

عند هذا الحد يصعب التمييز بين كل من الذكر والانثى من مظهرها الخارجي .. بيد أن **الاناث تتميز عن الذكور، عموماً، بالطول والامتلاء .. اما الذكور، فيميزها عن الاناث طول ذيولها وامتلاء قاعدتها.**

المداعبة

تصدر عن الانثى – اثناء سعيها – رائحة معينة، يكتشفها الذكر بحاسة الشم لديه فيبادر الى اقتفاء اثرها .. بيد ان نمط المداعبة يختلف من صنف لآخر.

فهذا «**ثعبان الماء**» مثلاً يدعك ظهر انثاه .. وكذلك يفعل ثعبان «**الفيبرتر**» .. اما «**الثعبان السوطي**» فيطارد انثاه – التي تمعن في التدلل – فتقفز فوق الصخور وفي مياه المستنقعات والى أغصان الاشجار .. والثعبان من خلفها لا يمل ولا يكل فاذا ادركها تعانق الاثنان بلف جسميهما معاً .. ثم يرفع كليهما الجزء الامامي من جسمه مقتربا برأسه من رأس خليله .. بشرط عدم تماس أسفل الرأسين .. وبذا يصبح شكلهما معاً كالقيثارة .. ويظلان على هذا الوضع يتحركان ويرقصان مدة تزيد على الساعة ثم تتم عملية التزاوج.

التكاثر .. والتوالد

من الحقائق التي يجب الاعتراف بها – ان سلوك المداعبة عند الافاعي، وكذلك مراحل التكاثر والتوالد .. لم تحظ بنصيب وافر من الدراسة .. **والافاعي تتكاثر وتتوالد بطريقتين**

* ان تضع **بيضها** وبعد فترة حضانة غير محددة بدقة يفقس البيض.

* أو أن **تلد** صغارها مباشرة دون مرور بمرحلة البيض.

على ان الفترة التي يستغرقها نمو الاجنة في بيض الافاعي تتأثر بدرجة حرارة الجو فاذا اخذنا احدى الافاعي الاوروبية واسكناها بالاطراف الشمالية من اوروبا فان موسم التوالد عندها قد يستمر حوالي عامين، وقد تنخفض هذه الفترة الى عام واحد لو أقامت نفس الافعى بالمناطق الجنوبية من القارة.

وقد تقوم بعض الاصناف باختراق الحيوانات المنوية في

اما الاصناف التي تلد الصغار دون بيض، **فتخرج الصغار من أجسام الامهات ملفوفة في كيس رقيق**، وتحتفظ بهذا الكيس، أما عند خروجها منه فيكون لديها القدرة على الاعتماد على نفسها وتدبير شئون حياتها .. أما الأم – فلا تبدي أية رعاية كانت لهذه الصغار.

وتضع الافاعي بيضها اثناء فصل الصيف حيث يكون الجو الحار الرطب مناسباً لذلك وهي تختار للبيض أماكن معينة مثل اكوام السباخ او النباتات المتعفنة او ثقوب بكتل الاشجار.

أجسامها حتى تحتاج اليها في تخصيب البيض.

على ان معظم الافاعي يهجرن بيضهن بمجرد وضعه. اما اناث «الاصلة» فيتكورن حول بيضهن لحضانته .. عندئذ ترتفع درجة حرارة جسم الانثى .. اثناء فترة الحضانة – الى عدة درجات عنها في الاوقات العادية.

التوالد

لونه أبيض او خفيف الصفرة .. أما القشرة فتتكون من عدة طبقات من أنسجة تشبه الخيوط .. وفي أواخر فصل الصيف يحل موعد فقس البيض .. حيث يشق الثعبان الصغير طريقه الى خارج البيضة بواسطة سنة بيضية (مثل الاسنان اللبنية عند اطفال البشر) في مقدمة فكه العلوي.

اما عدد الصغار الناتجة فيختلف باختلاف الانواع:

* افاعي «دي كاي» تضع **١٤ صغيراً**.

* الافاعي ذات الخطوط الحمراء، يبلغ عدد صغارهن **سبعا**.

* الافاعي الدودية تضع بين **بيضتين** الى **خمس**.

* يتراوح عدد بيض الافعى المطوقة بين **بيضة واحدة**



وحيدة القرن .. من الافاعي السامة



من نوع «ليوبارد»

وسبع بيضات.

* افعى «غيرتر» تلد في كل مرة **ثمانية وسبعين صغيراً**.

* **وستة وسبعون وليداً** تضعها الافعى المائية.

مواجهة الاخطار

كما قلنا .. ان الافعى لا تميل بطبعها الى مناصبة غيرها من المخلوقات - خصوصاً الانسان - العداء فهي - باستثناء ما تقتنصه من حشرات أو حيوانات من أجل الغذاء - لا تبدأ بمهاجمة غيرها الا اذا أحست بالخطر أو واجهته بالفعل. اما الاستثناء الصارخ من هذه القاعدة فهي «**افاعي الكوبرا**» هنا يختلف نمط السلوك الدفاعي لكل افعى باختلاف النوع الذي تنتمي اليه.

* **الافاعي السوداء الوديعة** لا تلجأ الى الهجوم الا نادراً .. ولا يكدر صفوها الا اذا أزعجها متطفل، خصوصاً في موسم التزاوج.

* بعض أنواع الافاعي تبادر بافراز رائحة كريهة تصدرها من الخلايا الشرجية عند قاعدة الذيل فهي تفرز هذه الرائحة الكريهة ثم تنشرها بالمنطقة المحيطة بها كوسيلة لتنغير خصمها من مهاجمتها وتلك وسيلة **أفاعي الانهار وأفاعي غيرتر**.

* **افعى قوس قزح وافعى الوحل**: تقذف بالحراشف المدببة الاطراف في نهاية الذيل باتجاه خصمها.

* بعض الاصناف تجعل جسمها مسطحا وتفتح فمها على اتساعه ثم تصدر حفيفاً مرعباً وتضرب الارض بذيلها عدة مرات تهديدا.

* **أفاعي الأشجار** تفتح فمها وتهز رأسها من جانب لآخر.

بيد ان الكثير من أنواع الافاعي لا يلجأ - غالباً - الى العض .. وحتى اذا لجأت لذلك فان الجرح الناتج لا يعتبر ضاراً للانسان ما لم يتلوث بالعدوى أو بالسم .. اذا كانت الحية سامة.

انواع الافاعي

يبلغ عدد انواع الافاعي حوالي **ثلاثة الآف نوع موزعة على ثماني عشرة عائلة** .. وبعض هذه العائلات يضم عدداً محدوداً من الانواع في حين يصل عدد الانواع في عائلات اخرى، الى المئات.

ويقدر عدد الافاعي المزودة بغدد سامة باقل من ثلث الانواع وحتى في هذه الحدود فان عدد انواع الافاعي الخطرة على الانسان يعتبر ضئيلاً.

أولاً : الافاعي غير السامة

الافعى العمياء

من الافاعي الحفارة الصغيرة المنتشرة بالمناطق الاستوائية .. وهي تشبه الديدان لها رأس صغير وذيل قصير ممتلئ على فكها العلوي اسنان صغيرة جدا .. أما عيناها، فصغيرتان وتكادا

تختفيان تحت الحراشف، وحراشف جسمها ناعمة ولامعة.

ويعتبر هذا النوع من الافاعي هو الوحيد الذي يوجد على كثير من الجزر المهجورة وهي تميل للحياة تحت سطح الارض وأحياناً تغزو أوكار النمل الابيض وتتغذى عليه .. أما بيضها فهي تضعه في جحور تحت الأرض.

وهناك نوع آخر من الافاعي العمياء لكن يميزها عن النوع السابق أن لها اسناناً بالفك السفلي، وتعيش معظم انواعها **بجنوب غربي الولايات المتحدة** كذلك فهي تعيش تحت الارض في المناطق شبه القاحلة وأحياناً يفاجأ بها العمال عند حفر أساس المنازل أو مد خطوط الانابيب وهي تقضي النهار في جحورها تحت الارض، ولا تغادرها الا مع هبوط الظلام.

وهي غير ضارة بالمرة، ولا تلجأ الى العض أبداً، حتى ولو أمسكت .. وبعض انواعها يعيش بالمناطق الاستوائية في كل من **امريكا وافريقيا وآسيا**.

الاصلة

تعتبر من أشهر أنواع الافاعي، **وهي مخلوقات رشيقة وجميلة**، وتتباين في الحجم .. فمنها الاصناف الضخمة جداً، ومنها الصغيرة التي لا يتجاوز طولها القدمين. وهي تفضل العيش بالمناطق الزراعية، وقليل منها يسكن فوق الارض أو تحتها.

والاصلة من الافاعي النادرة التي لها رئتان. أما أسنانها فضخمة ومقوسة وتنتشر على الفكين.

وهي من الأفاعي القوية العضلات وتقتل فريستها من الطيور أو الثدييات بالالتفاف حولها والضغط عليها حتى تختنق .. وهي تلد صغارها فلا تبيض.

اما انواعها الضخمة فتوجد في **امريكا الجنوبية**، حيث يصل طولها الى حوالي ٢٥ قدماً وهي تتغذى على **الكائنات المائية والخنازير الامريكية الصغيرة والقوارض الكبيرة** مثل الاغوطي (وهو نوع من الفئران الامريكية في حجم الارنب) واهم انواع الاصلة هي:

١ - الاصلة الامريكية

من سكان الاشجار .. **يصل طولها الى ١٢ قدماً** .. وتعيش **بامريكا الجنوبية**، كما يسكن اقرباؤها **اميريكا الوسطى ومدغشقر**.

٢ - اصلة امريكا الاستوائية

ضخمة الرأس، واضحة العينين، طويلة الرقبة والذيل .. اذا ازعجت فهي تلجأ الى العض بشدة وشراسة .. وهي تعيش **بالمناطق الاستوائية الامريكية وفي مدغشقر** كما توجد انواع منها في **كوبا وباهاما**.

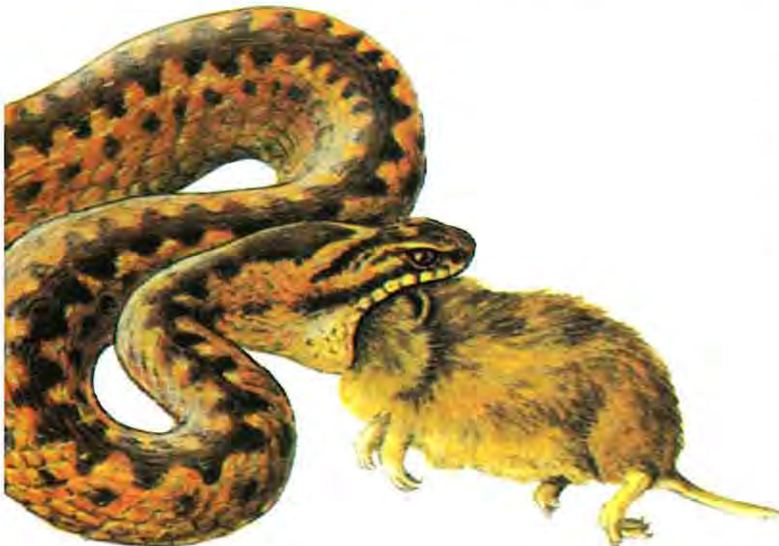
٣ - اصلة الرمال

توجد في شمال افريقيا وجنوب شرق اوروبا وجنوب غرب آسيا.

٤ - اصلة كاليفورنيا

اذا ازعجت تتكور حول نفسها في عدة دوائر، فتصبح كالكرة .. على ان هناك نوعاً آخر من عائلة الاصلة، يتميز عن غيره من افراد العائلة بوجود عظمة زائدة في الجمجمة فوق العين كما يضم أطول افراد الافاعي على الاطلاق .. وهو يوجد في **بورما والهند الصينية وشبه جزيرة الملايو**. ويبلغ **طولها حوالي ٣٣ قدماً** الا ان اقاربها المقيمين في **الهند وافريقيا** يبلغ **طولها ٢٥-٢٠ قدماً** بالترتيب اما الفرع **الاسترالي** فيصل طوله الى **ثمانية اقدام** كما ان هناك عائلة قصيرة الافراد منها تعيش في **افريقيا** ويصل طولها الى خمسة أقدام.

ومن صفاتها أنها تتكور حول نفسها عند إحساسها بالخطر، كما أن معظم افرادها يفضلون التجول ليلاً. وهي تجيد تسلق الاشجار، كما تتواجد في الاماكن القريبة من الماء واناثها تبيض.



اما **الافراد الضخمة الحجم منها فبوسعها ابتلاع ماعز أو ظبي صغير.**

الافاعي الجبلية

تسكن **امريكا الجنوبية وشرقي الانديز**. وهي مجموعة من الافاعي الارضية غير الضارة وتتميز بجسمها الاسطواني **وطولها الذي لا يتجاوز الياردة الواحدة**. وهناك افراد منها يسكنون **جنوب الهند وسيلان** .. وهي افاعي صغيرة سمينة الجسم .. صغيرة العينين - ذات حراشف ناعمة ولامعة .. ومن أنواعها أفاعي الوحل الارضية التي تسكن **جنوب شرقي آسيا**.

افاعي الانهار

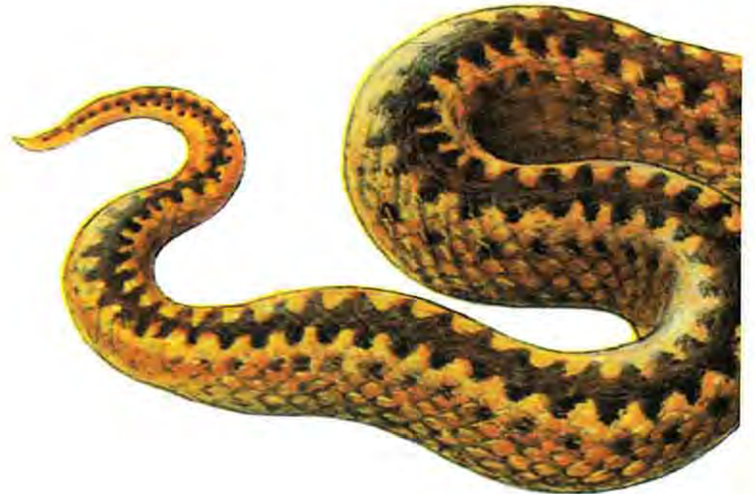
توجد بمناطق الانهار لكنها تسبح في مياة البحار كذلك. وهي سبّاحة ممتازة وتتغذى على الاسماك .. وفي **امريكا الوسطى** نوع واحد منها، أما الانواع الأخرى فتعيش في **جنوب شرقي آسيا**.

الافاعي آكلة البيض

وتعتمد في غذائها، اساساً، على **البيض**. ورغم انها لا تتغذى على غيره فان اتساع قطر حلقها يبلغ عدة اضعاف قطر جسمها.

وبعد ان تبتلع البيضة، تتقلص عضلات الحلق، فتنكسر البيضة .. عندئذ تبتلع محتوياتها وتطرد القشرة خارج فمها.

وهي من **الافاعي الافريقية** وتستمتع باكل البيض في مواسم تزاوج الطيور، اما في بقية الاوقات فهي تعيش على ما تختزنه في أجسامها من دهون.



ثانياً : الافاعي السامة

تحقن ضحاياها بالسم الناتج **من الغدد السامة الموجودة في انسجة الرأس أسفل مؤخرة العينين**. وأحياناً توجد خلايا السم في مؤخرة الفم وأحياناً في مقدمته.

وقد يكون تأثير السم الناتج من هذه الغدد هو تدمير **كريات الدم الحمراء** وتحطيم **الاوعية الدموية** مما ينتج عنه **النزيف** .. او يؤثر على **الجهاز العصبي** خصوصاً المراكز التي تتحكم في التنفس ودقات القلب.

ويؤدي سم الافاعي ذات الغدد الخلفية الى تحطيم كريات الدم. اما الافاعي الجبلية والبحرية والكوبرا فيؤثر سمها على **الاعصاب**. في حين يؤثر سم الافعى المجلجلة في **الدم والاعصاب معاً**.

على ان هذه الافاعي التي توجد غددها السامة في مؤخرة الفك العلوي ليس من السهولة اجبارها على استعمال السم .. ومن ثم لا تشكل خطورة على الانسان .. اذ ان اهتمامها يتعلق بالدرجة الاولى، بالضفادع والسحالي والطيور الصغيرة والجرذان .. وفي هذه الحالة تمسك بفريستها وتحتفظ بها في مؤخرة فمها حتى يعمل السم أثره فيها.

هذا وتشبه افراد هذه العائلة، الافاعي غير السامة في الكثير من انماط سلوكها .. **أما الاصناف الافريقية منها فتعتبر سامة جداً، ومنها الافعى الطائرة التي تعيش في جنوب شرقي آسيا**، أما أصنافها الموجودة بالمناطق الاستوائية الامريكية فتقتل فريستها باعتصارها حتى تختنق.

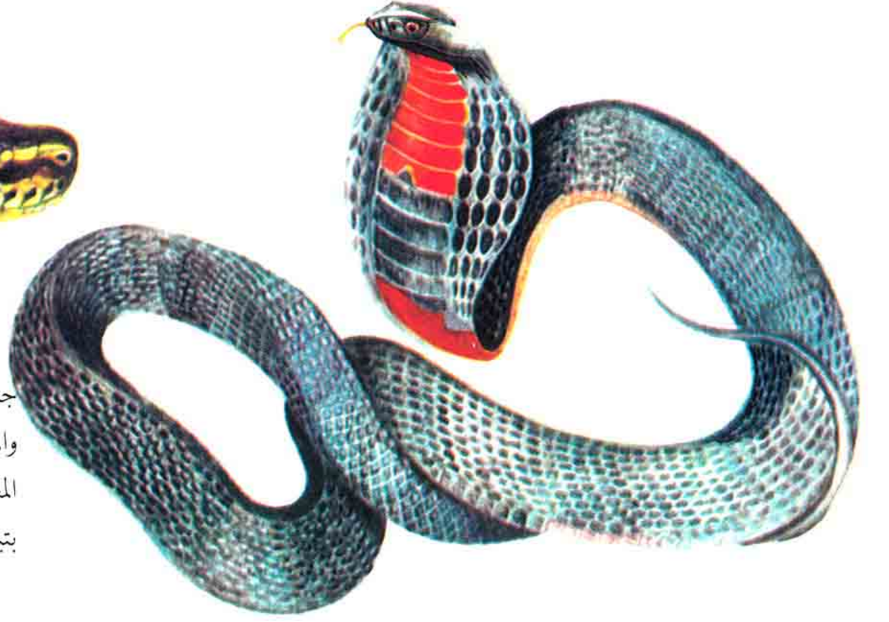
افاعي الغدد السامة الامامية

وهي سامة جداً، ومن اشهر انواعها الكوبرا واقربائها .. والغدد السامة فيها تتصل بأسنان مجوفة تلتقي اطرافها (في اسنان الفكين) كأنها اطراف انبوبة متصلة. ومن صفاتها ان الانياب الجديدة تحل دائماً محل الانياب القديمة ومن عاداتها انها تمسك

فريستها وتحقنها بالسم في الجرح الذي يسببه العض بينما تبدأ فوراً في التهامها.

وهي توجد في جنوب شرقي آسيا وتعتبر اخطر افاعي العالم .. ليس لانها سامة وحسب بل لضخامة جسمها (الذي يبلغ طوله ١٨ قدما) ووحشيتها المفرطة .. وهي تعتمد في غذائها – غالباً – على الافاعي.





واذا احست بالخطر فهي تنتصب بالثلث الامامي من جسمها ثم تفتح العروق الضخمة الموجودة اسفل الرقبة الى اعلى والى الخارج ثم ينتفخ الجلد الذي يغطيها فيصير على هيئة قلنسوة المعطف .. ومن ثم تصدر حفيفاً مرعباً .. وعلى حين غرة تقذف بتيارين من السم تصوبهما تجاه عيني الخصم.

على ان قدرتها على بصق السم ترجع الى تركيب أنيابها الذي يساعدها على ارسال السم خارج الفم الى الامام مباشرة.

ومن الاصناف التي تبصق السم: الكوبرا الافريقية والكوبرا ذات الرقبة السوداء. اما الكوبرا المائية الافريقية فهي قوية البنية وتتغذى على السمك.

وأصنافها التي تسكن جنوب شرقي آسيا ليست عدوانية ولا تلجأ الى العض ابداً ما لم تهاجم او يحاول احد الامساك بها .. وهي صغيرة الرأس ذات حراشف لامعة وناعمة وبها خط يمتد من الرأس الى الذيل وهي تتجول ليلاً، وتتغذى على الضفادع والثدييات الصغيرة والثعابين الاخرى.

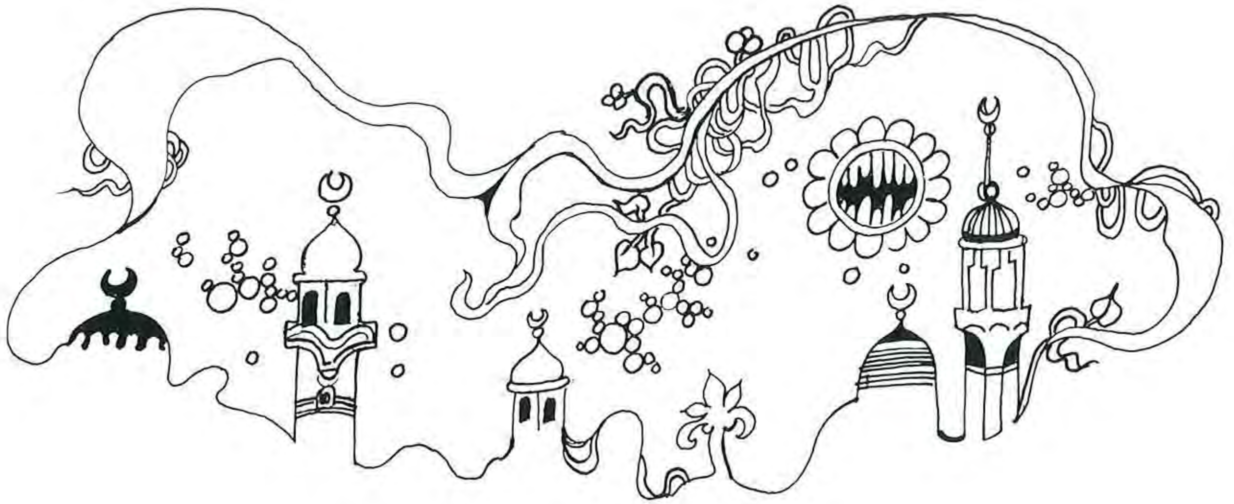
اما اناثها، فيتراوح عدد البيض الذي تضعه بين **٢١–٤٠ بيضة** في عش تصنعه من أوراق الشجر التي تجمعها في كومة تضع البيض عليها. ثم تظل على حراسة بيضها فترة من الزمن.

وتعتبر **الكوبرا الهندية** من سكان الادغال والحقول المفتوحة وتتغذى على القوارض والضفادع والطيور والافاعي.

وبعد

فاننا لا نملك غير الاعتراف بان الافاعي تعتبر من اكثر افراد الزواحف رشاقة واثارة .. اذ أن الانواع غير الضارة منها، تستحق منا كل رعاية ووقاية .. نظراً للاعداد الهائلة من الفئران والجرذان والارانب وغيرها من الآفات الزراعية، التي تتغذى عليها .. اما الاصناف السامة فبالامكان تجنبها.





صباح المجد

شعر: مصطفى عبد الرحمن

صباح من النور والفرحة بأفق الجزيرة يا مجد لاحْ
دنا بالرياض الى مكة وطوف فوق الربى والبطاحْ
فيا مجد مرحى بهذا الصباحْ
أيا مجد مرحى بهذا الصباحْ

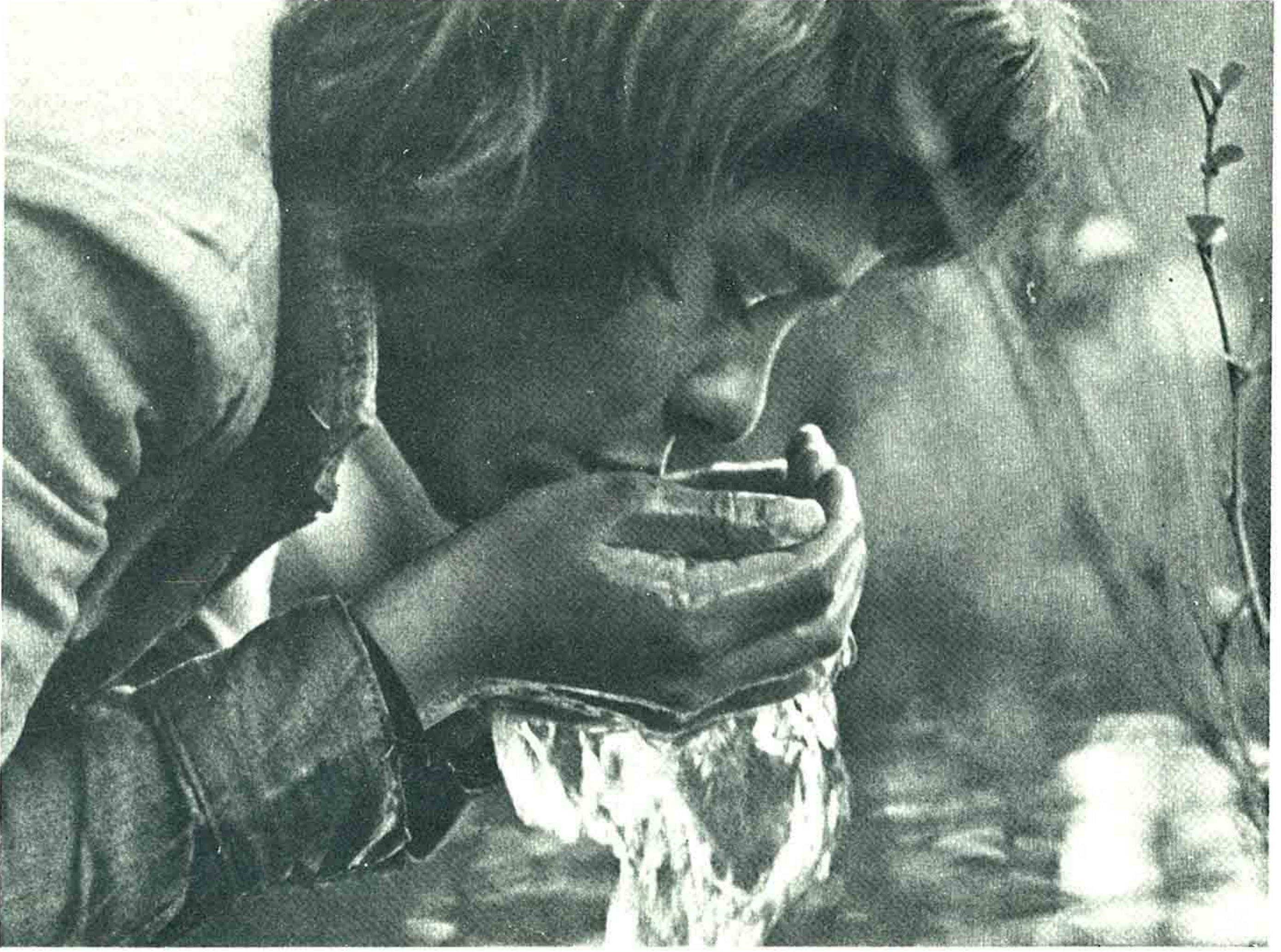
* * *

أَهَلَّ على قبلة المسلمين نديَّ الجبين بهيَّ الرواءْ
يفيض ندى وسنى للعيونِ ويفتح للسعدِ باب الرجاءْ
دعانا اليه نشق الطريقَ طريق الكفاحِ ، طريق الاملْ
نصون الصديقَ ونحمي الشقيقَ ونصنع أمجادَنا بالعملْ

* * *

خطانا خطى «خالد» للأَمام نصون العهودَ ونرعى الذممْ
وبالدينِ دين الهدى والسلامِ نخوض الحياةَ لأعلى القممْ
فيا أُمة باركتها السماء خطاها الطوال لمجدِ العربْ
تنال بعزمتها ما تشاءُ وتصنعُ امجادَها للغلبْ
صباحٌ من النورِ والفرحةِ بأفق الجزيرة يا مجد لاحْ
دنا بالرياضِ الى مكة وطوف فوق الربى والبطاحْ
فيا مجد مرحى بهذا الصباحْ
أيا مجد مرحى بهذا الصباحْ





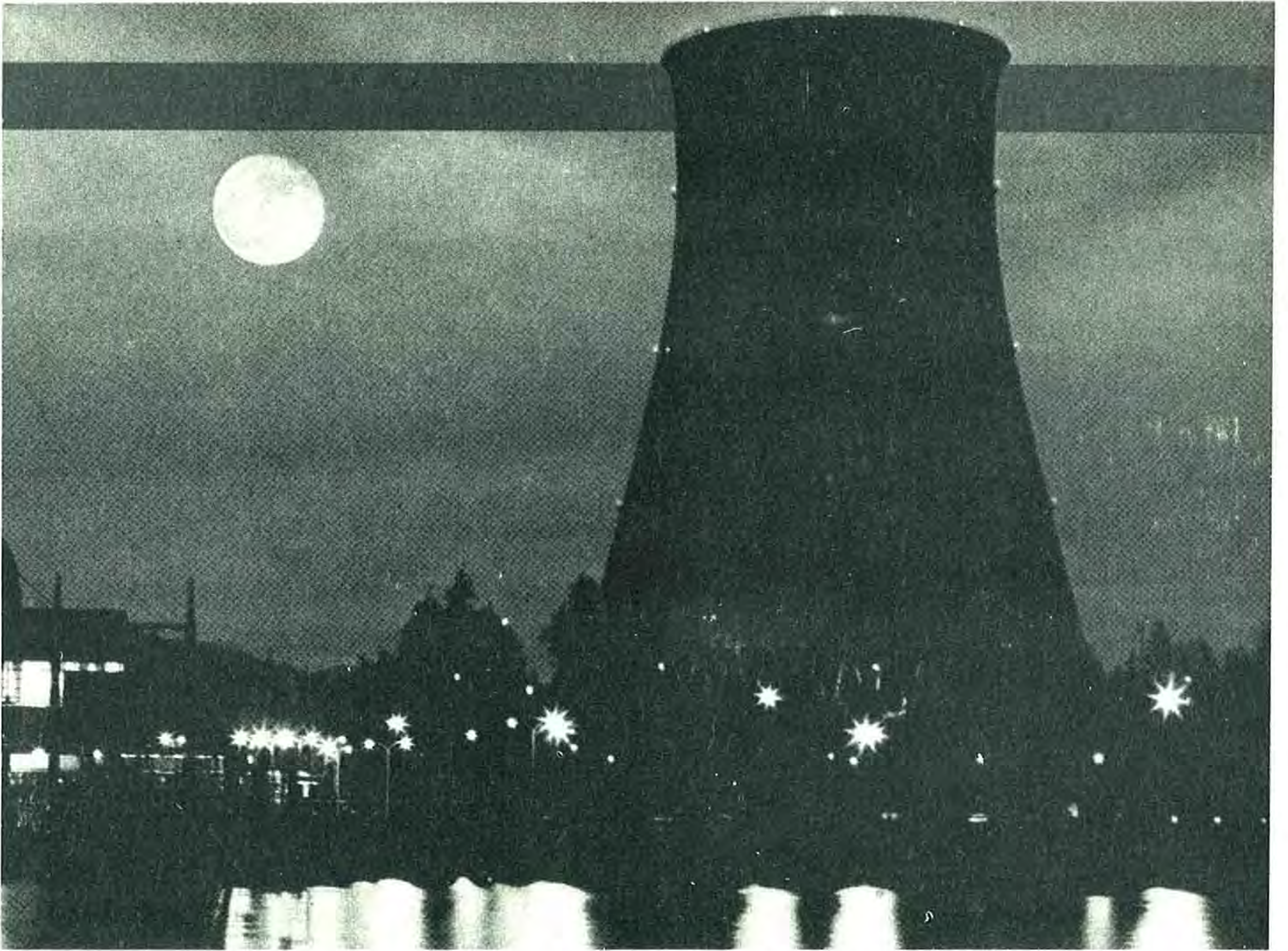
جرعة من الماء العذب .. هل سيأتي يوم تصبح فيه مطلباً عسيراً؟

الانسان والكون

هل نستطيع البقاء على الأرض ؟

لا شك ان مجيء الانسان على الارض كان نقطة تحول في تاريخ هذا الكوكب الفريد الذي اختصه الله بنصيب وافر من الحياة، والماء الذي جعل منه كل شيء حي، ولو كانت بقية الكائنات الارضية التي سكنته مئات الملايين من السنين تستطيع ان تصف ما حدث، وما تحملته هي من طغيان هذا الساكن الجديد مما اصبح يهدد كل انواع الحياة الوحشية بالانقراض، لو كانت تستطيع ذلك لوصفتنا بصفات كثيرة لن يرضى اغلبنا عنها.

ولم يعد الامر يقتصر على الحيوانات .. بل ان مصادر الحياة الارضية من شيئين آخرين لم تعد تحتمل الاسراف .. هذان الشيئان هما: «**الماء**» و«**الطاقة**». وقد يتساءل البعض: ما الذي سيحدث للماء او للطاقة ؟ (الماء على الاقل لا يمكن ان ينفذ



اضخم مفاعل ذري .. هل هو دليل على قوة الانسان .. أم علامة على انتهاء موارد الأرض؟

بقلم : محمد الحديدي

لان ما نستهلكه منه يظل موجودا. فالذي نشربه ما يلبث ان يخرج من اجسامنا ثانية ويظل موجودا على الارض، والذي يتبخر يعود فيتكثف. والواقع ان الماء لا يمكن ان ينعدم الا اذا حللناه **كهربائيا** الى عنصريه **الاكسجين والايدروجين**. وهذا لا يحدث الا بقدر ضئيل يعاد له ما يستجد من الماء نتيجة لحرق الوقود الذي يحتوى على الايدروجين وهو تفاعل ينتج عنه ماء جديد..الخ. ليست هذه هي المسألة. فكمية الماء الموجودة على الارض يمكننا ان نقول انها لا تغني ولا تتجدد ولكن الحقيقة هي ان وجود الشئ لا يعني وجوده في حوزتنا او في متناول ايدينا.

وقد بدأت الضجة تتصاعد بسبب خطورة مشكلة الطاقة. في امريكا. التي كان شعبها يغبط نفسه بثراء عظيم في البترول والفحم والمساقط المائية وكل مصادر الحصول على الطاقة **اعلن الرئيس الامريكي «كارتر» ان مصادر البترول والغاز الطبيعي والتي تمد امريكا بثلاثة ارباع ما تستهلكه من الوقود سوف تنضب حوالي سنة ٢٠٠٠ اذا استمر الاستهلاك على ما هو عليه، هذا فضلا عن ان يتزايد.** والامريكيون دأبوا على قيادة سيارات كبيرة، وعلى غير ذلك من انواع البذخ التي تعتمد اعتمادا اساسيا على توفر الطاقة.

ما هي الطاقة

العالم الفيزيائي» كما يسميه الفلاسفة، أو «عالم المادة» كما يسميه بقية الناس، ومنهم العلماء، يتكون من ثلاثة أشياء: المادة والمكان والزمن. ولا يمكنك أبداً أن تعثر في هذا الكون العظيم على شئ الا ويتكون من توليفة من هذه العناصر الثلاثة. فأجسامنا من الناحية الفيزيائية البحتة تتكون من **مادة**. ولكل منا «**كتلة**» هي كمية المادة التي يحتويها جسمه، وهي غير «**الوزن**». فالوزن هو مقدار جذب الأرض لجسم الانسان مطروحاً منه قوة الطرد المركزية الناتجة عن دوران الأرض. **والذين هبطوا على سطح القمر وجدوا أوزانهم أخف كثيراً مما كانت على الأرض** برغم ان أجسامهم هي .. هي.

وذلك لأن قوة الجذب وقوة الطرد المركزية الناتجة عن دوران القمر حول نفسه. هذه القوة – وهي الوزن – تختلف عما كانت عليه على الأرض. أما الكتلة، وهي كمية المادة في جسم رجل الفضاء أو المركبة فتبقى كما هي. ويرمز لها بالحرف «**ك**» وتقاس بالجرام أو الطن ... الخ. بخلاف الوزن فهو يقاس بوزن الجرام أو وزن الطن ويختلف ليس فقط من كوكب لآخر بل من مكان لآخر على سطح الأرض. وان كان اختلافاً بسيطاً في هذه الحالة.

وأما الفضاء فاذا صح أنه ثلاثي الأبعاد كما يخيل لنا، فهو يتكون من «**المسافة**» في الطول. ومن **مربع** المسافة في المساحات **ومكعبها** في الحجوم ويرمز للطول بالحرف «**ل**». **وأما الزمن فقد حارت فيه الفلاسفة**. وقال **أبو العلاء المعري** في محاولة لتعريفه «وقد حددته حداً ما أجدره أن أكون قد سبقت اليه. ولكنني لم أسمع به. وهو أن اصغر جزء منه يشتمل على جميع الكائنات. وهو في ذلك عكس المكان. فان اصغر جزء منه لا يشتمل على شيْ أبداً هذا التعبير «**أصغر جزء**» هو ما يسميه الرياضيون الآن «**متناهي الصغر**» وهو ما لم يستطع أن يتصوره الفيلسوف والرياضي الألماني الكبير. «**لايبنتز**» بعد ذلك بسبعة قرون!!

حار الفلاسفة في طبيعة الزمن وما زالوا حائرين ولكن الفيزيائيين يجدونه أمراً في غاية البساطة. واذا نحينا **النسبية** جانباً واتخذنا موقفاً عملياً بحتاً. فاننا نرمز للزمن بالرمز «**م**» وهكذا تصبح **أبعاد الكون ك. ل. م** يعني **الكتلة والطول والزمن** وكل شيْ في عالم الفيزياء – يعني علوم المادة والهندسة يمكن أن نرمز له بهذه الرموز وأن نقيسه بهذه الأبعاد مهما كانت طبيعته والطاقة – اذا حللناها رياضياً – ليست سوى حاصل ضرب الكتلة في مربع المسافة مقسوماً على مربع الزمن أي:

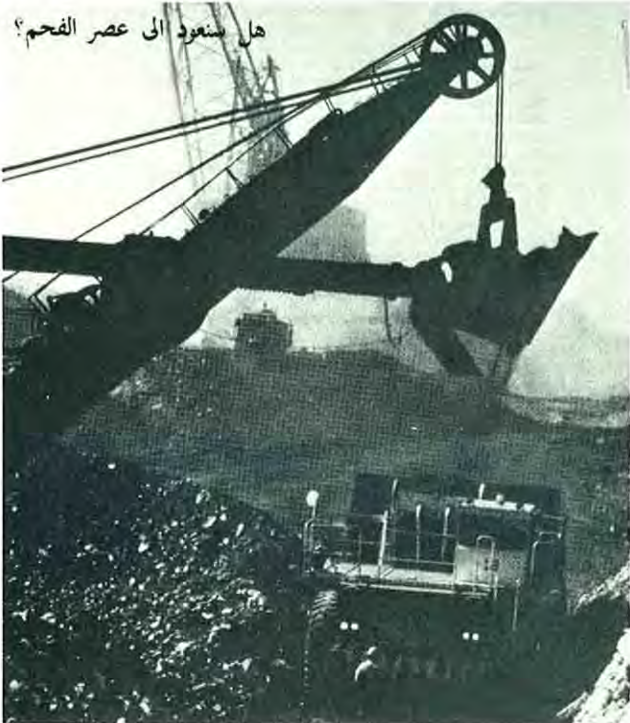
$$\frac{\text{ك ل}^2}{\text{م}^2}$$

وتقاس بوحدات الكتلة مضروبة في مربع وحدات قياس المسافة مقسومة على مربع وحدات الزمن فهي مثلاً جرام سم^2/ثانية^2

هذا من الناحية الرياضية. وسوا كانت حرارة أو ضوءاً أو صوتاً أو حركة أوكهرباء أو مغناطيسية أو جاذبية أو طاقة كيمائية كامنة فهذه هي أبعادها. وان كانت وحدات القياس تتخذ عند المهندسين أسماء أخرى اكثر شيوعاً. فهي ما تزال قابلة لأن ترتد الى هذه الأبعاد الأولية.

وكل صور الطاقة قابلة لأن تتحول من واحدة لأخرى. فاذا كان لديك كهرباء فانك تستطيع أن تحولها الى **حرارة** باستعمال **المكواة الكهربائية** مثلاً. والى **حركة باستعمال المحرك الكهربائي** كما هو في الترام أو الثلاجة. أو الى **صوت** كما هو في **الراديو**. أو **ضوء** كما هو في **المصابيح والتليفزيون**. ويمكن للطاقة الكهربائية ان تتحول الى طاقة كيمائية وبالعكس كما يحدث في حالة شحن البطاريات وتفريغها. كما ان طاقة الجاذبية يمكن أن تتحول الى طاقة كهربائية كما هو في توليد الكهرباء من مساقط المياه. فالماء ينحدر الى التوربينات فيديرها وهي بدورها تدير المولدات التي تحول الحركة الى كهرباء والعكس يحدث عندما تدار المضخات بالكهرباء فتدفع المياه الى الكباسات العالية التي تمد المنازل بالمياه وهكذا.

من هذا المثال الأخير نستطيع أن نرى كيف تؤثر مشكلة المياه في الطاقة وكيف تتأثر مشكلة الطاقة بنقص الماء. واذا مضى الحال على هذا المنوال فسوف تتحول الأرض الى مكان جاف قارس البرودة يموت فيه الناس من البرد والظمأ أو يمرضون لقلة الماء اللازم للنظافة. واذا كانت **التكنولوجيا** الحديثة تمكن الناس الآن من أن يعيشوا في منازل منعزلة تماماً عن الجو المحيط بها. فهي مكيفة في الحر مدفأة في البرد. واذا كانوا يطيرون في الفضاء ويمرقون على الطرقات الأرضية السريعة ويشترون حاجياتهم من حوانيت لها اجواؤها الخاصة .. فانه مما يؤلم حقاً أن تأتي سنة ٢٠٠٠ ليجدوا أن المعين قد نضب. ليس من الطاقة فقط. بل من الماء أيضاً. ومن المقدر أن سكان الأرض في نهاية هذا القرن سيكونون قد تزايدوا من أربعة آلاف مليون الى سبعة آلآف مليون.


هل سنعود الى عصر الفحم؟

مشكلة الماء

من المهم جداً أن ندرك هذه الحقيقة: ان الأشياء قد تتوفر ولكنها تظل خارج قدرة الانسان على الحصول عليها. **فالطاقة مثلاً لا تفنى ولكنها تتحول الى حرارة** يتلقفها الهواء ولا تصبح لدينا وسيلة لاستعادتها. **وكذلك الماء فهو لا يفنى** ولكنه قد يتلوث الى درجة يصبح معها مفقوداً بالنسبة لاحتمال استفادة الانسان منه. والأرض كوكب غني بالماء. وبينما نحن نقيس كميات الماء الذي نستهلكه في بيوتنا بالمتر المكعب. فان كمية الماء على كوكب الأرض أضخم بكثير من أن يكيلها العلماء بهذا الكيل الصغير. فهي تقاس بالكيلومتر المكعب. أي بحجم مكعب طول ضلعه كيلومتر. وهذا يبلغ الف مليون مرة قدر المتر المكعب. اذا تخيلنا هذا جيداً أمكننا أن نتصور ضخامة كمية الماء المتاحة لانسان الأرض. فهي تبلغ ألفاً واربعمائة مليون كيلومتر مكعب. ولكن هذا لا يدعو لكل هذا التفاؤل. **فان ٩٧،٣٪ من هذه الكمية مياه مالحة لا يمكننا أن نستخدمها في الزرع أو الشرب.** ولا يقتصر الأمر على ذلك **فان ثلاثة أرباع الماء العذب. وهو ٢،٧٪ من ماء الأرض. محتبس على هيئة ثلوج قطبية أو ماء متجمد.** ومن النزر المتبقي يوجد قدر كبير في باطن الأرض أغلبه في أعماق بعيدة. تصل الى عدة كيلومترات في باطن الأرض. **كل هذا لا يترك لنا سوى مقدار ٠،٣٦٪ من ماء الأرض قابلاً للاستعمال.**

صحيح ان الماء لا يذهب الى الفضاء أو الى كوكب آخر ولكن الاستحمام وغسل الملابس والسيارات ونزح الفضلات ... الخ. كل هذا يأخذ فيضاً هائلاً من الماء العذب ويلقى به في المحيطات والبحار أو الى أنهار ملوثة لم يعد هناك أمل في تطهير مياهها وجعلها صالحة للاستعمال ثانية بتكلفة مقبولة. وأحياناً يتطلب هذا استهلاك كميات غير متيسرة من هذه البضاعة النادرة الاخرى: **الطاقة.**

وليست المسألة مجرد الماء المطلوب للاستعمال اليومي. **فان ٨٠٪ من الماء الذي يستخدمه بنو الانسان يستخدم في الري.** من اجل الزراعة. وبتزايد البشر تتزايد كميات الماء المطلوب للزراعة اذ ان ٣٠-٤٠٪ من الغذاء يتوقف على ذلك. وهكذا فان تزايد السكان يزيد بدوره من حدة مشكلة الماء.

اما **الصناعة** فانها الى جانب ما تتطلبه من الماء. لتوليد الكهرباء وتبريد المفاعلات الذرية والصناعات الكيمائية ... الخ. **فان النواتج الجانبية للصناعات قد أدت الى تلوث الكثير من البحيرات والانهار** الى درجة اصبح يتعذر معها استمداد الماء منها دون تكلفة لا تبرر ذلك. هذا **فضلاً عن الامراض التي تنتشر نتيجة لاستعمال المياه من هذه المصادر.** وفي تقدير **منظمة الصحة العالمية** فان ٨٠٪ من الامراض يمكن ارجاعها الى تلوث مصادر المياه.

وقد بدأت بعض الدول العربية تفكر في استحداث الوسائل لاطفاء **ظمأ الصحاري العربية** الواسعة **فالمملكة العربية السعودية** تفكر في مشروع لجر **جبل هائل من الثلج من المنطقة المتجمدة الجنوبية.** كما تعد ايضاً لتنفيذ **مشروع لتحلية مياه البحر** يتكلف (١٢) ألف مليون من الدولارات ويدر الفين وثلاثمائة مليون لتر من الماء كل يوم. يقدر له ان يتم سنة ١٩٨٠. وفي **مصر** يعمد رجال **تعمير الصحارى** على ضخ الماء من اعماق تصل الى ما يزيد على كيلومتر تحت سطح الرمال الحارقة. ولو ان **الجيولوجيين** يقولون ان هذه الآبار العميقة لا تعود الى الامتلاء بالسرعة التي تستنزف بها. ولكنها مع ذلك يمكن ان تدر ماء لعدة قرون قبل ان تنضب تماماً. وفي خارج العالم العربي: يلجأ **اليابانيون** الى استعادة مياه المجاري وتنظيفها جزئياً لتستخدم في الصناعة. وفي **استراليا والاتحاد السوفيتي** يعمل المهندسون على تحويل مياه الانهار لمنعها من الضياع في المحيطات والبحار.

مشكلة الطاقة

لكي ندرك طبيعة هذه المشكلة لابد ان نعود الى بعض الحقائق الأولية:

** **أول هذه الحقائق هي أن للطاقة مصادر محددة.** أول هذه المصادر هي «**الانسان**» نفسه. فالانسان بدأ يستخدم اعضاءه في الجذب والدفع والجر ورفع المياه ... الخ. وهذه الطاقة مستمدة من غذائه ويلي ذلك **الحيوان.** وما زال الزراع في جميع بلاد العالم يستخدمون أذرعهم ويستخدمون الدواب في استمداد الطاقة. بعد ذلك تأتي «**الرياح**». والرياح يمكنها ان تدفع السفن وان تدير الطواحين والمضخات ومولدات الكهرباء. وهي تستخدم في كل مكان ايضاً ولكن لهذه المصادر عيوباً تجعلها لا تصلح للاعتماد عليها في الحياة الحديثة. فكمياتها صغيرة. وهي لا تصلح للحركة السريعة. وفوق كل شيء فهي لا توجد عندما نريدها. فالسيارات الحديثة التي تدور

بالوقود تدور عندما يريد صاحبها ذلك وتسير بالسرعة التي يحددها لها. اما الرياح فهي تهب حسبما تتفق الظروف والمواعيد في كل مكان من الارض، حتى مواسمها ليست مضمونة الدقة.

ومساقط المياه هي نفس الشيء وان كانت كميات الطاقة التي يمكن ان تستمد منها اكثر ضخامة كما انها تستمر طيلة الوقت وان لم يكن بنفس القدر في بعض الأحوال. **فسد اسوان القديم في مصر** – قبل بناء السد العالي – كان يعطي اقصى طاقة من الكهرباء في **موسم الفيضان** اما بقية السنة فهو ينتج قدراً ضئيلاً من الطاقة وكان على الصناعات التي تستمد منه الطاقة ان تتمشى معه في خطة انتاجها اما الآن فان محطة التوليد هذه ومحطة توليد السد العالي ذاتها – تستمر طيلة العام نظراً لتوفر المياه في بحيرة السد الجديد بمنسوب ثابت – أو سيكون ثابتاً عندما تمتلئ البحيرة.

ولكن هذا النوع من الطاقة يصلح لكل ما يعمل بالكهرباء الشبكية فقط، فهو يصلح لامداد المصانع والمنازل وتسيير القطارات والترام، ولا يصلح لتسيير العربات مثلاً، فالسيارة تمضي مستقلة واذا أردنا ان نستخدم هذه الطاقة في دفعها فان الوسيلة الوحيدة هي تخزين الطاقة في بطاريات الشحن واستخدام هذه البطاريات في دفع السيارات وهي وسيلة باهظة وتكاليف صناعة البطاريات اكبر من ان تمكن من الاعتماد عليها، هذا فضلاً عن ان تسيير العربات بالبطاريات يضع حدوداً لحجمها وسرعتها وحتى الآن لم يتمكن المهندسون من زيادة السرعة عن ثمانين كيلومتراً في الساعة ولمسافة محدودة والذي يرى هذه الانواع من السيارات سيظنها لعب اطفال كبيرة نوعاً، هذا اذا افترضنا ان مساقط المياه ستعطي ما يكفي من الطاقة وهذا غير صحيح.

والفحم ليس أفضل كثيراً (وتلحق به اعواد الحطب بالطبع) وقد بطل استخدامه في دفع **قطارات السكة الحديد** لأنه يتطلب مساحة كبيرة لتخزين ولوضع غلايات البخار التي تعمل به، ولأن قاطرات السكك الحديدية التي تعمل بالبخار قد بطلت هي ايضاً لبطء سرعتها. ولكن الفحم ما زال يستخدم في توليد الكهرباء في المحطات باستخدام **التوربينات البخارية** وهي عجلات تدور بالبخار المضغوط.

وقد بدأت **الدول الصناعية** تعود الى استخدام الفحم، بعد ان تفاقمت **مشكلة البترول** وبدأت التقديرات تشير الى احتمال نفاذه. وهذا يقودنا الى هذا المصدر الرائع من مصادر الطاقة والذي كان من نعم الله على عباده في منطقتنا العربية ان اختصها بقدر عظيم منه.

يتكون **البترول** بصفة اساسية من عنصري **الكربون والايدروجين**. فاذا اتيح له ان يحترق اي يتحد مع الاكسجين المستمد من الهواء فانه ينتج عنه غاز ثاني اكسيد الكربون، وبخار الماء (ولكن كمية الماء الناتجة عن هذا التفاعل لا شأن لها بالقياس الى مشكلة الماء وضخامة ارقامها) هذا التفاعل يصحبه تصاعد حرارة تؤدي الى تزايد الضغط من جانب نواتج هذا الاحتراق. هذا الضغط هو الذي يمكن من تحويل الطاقة الحرارية الى طاقة حركية. ومن ناحية اخرى في محطات توليد الكهرباء يمكننا حرق البترول لتبخير الماء وادارة التوربينات بالضغط البخاري.

هذا النوع من الوقود – بخلاف الفحم والحطب. خفيف الوزن سهل الحمل لا يتطلب مساحة كبيرة وبدونه – فيما هو متاح لعلمنا حتى الآن – لا يمكننا تسيير العربات الصغيرة



الثلوج على قمم الجبال

بالحرية التي نمارسها الآن ولكي نتصور مدى تزايد الاستهلاك يمكننا ان نأخذ الولايات المتحدة الامريكية كمثال، ففيما بين سنتي ١٩٧٢، ١٩٧٦ تزايد استيراد البترول من ٤,٢ مليون برميل يومياً الى ٧,٢ مليون برميل يومياً، اي ما يقرب من الضعف، وحوالي ربع الطاقة المستهلكة هناك تأتي من بترول الشرق الاوسط **وهو ما لمسنا آثاره في الموقف البطولي للمملكة العربية السعودية في حرب اكتوبر ثم في اجتماع الأوبك الاخير والخاص باسعار البترول.**

نفس الشيء في كل الدول الصناعية الكبرى. **فالبترول والغاز الطبيعي يمثلان ثلاثة أرباع مصادر الطاقة**. ومن المحقق –

طبقاً لما هو منظور حتى الآن – ان هذه المصادر ستقارب النفاذ في اوائل القرن التالي. وان محاولة تصور العالم الحديث، والذي سيكون قد ازداد حداثة اذ ذاك – بدون بترول يبدو الآن نوعاً من أنواع قصص العلم. تماماً كمحاولة تصور تجميد الاجسام للسفر الى الكواكب البعيدة أو فناء الجنس البشري في حرب ذرية.

الطاقة النووية

ويذكرنا هذا **بالطاقة الذرية أو النووية** كما يسمونها. ماذا بشأنها. الطاقة الذرية طاقة عظمى لا أحد ينكر ذلك. ومما يحمد للجنس البشري. وهو قليل – انه برغم ان اول تطبيق للطاقة النووية كان دماراً وهلاكاً وبشاعة. فانه منذ هذا الحين والذرة تأتي بالاعاجيب في العلاج الطبي وغيره من وجوه الخير والمنفعة. **ولكن هل تصلح كمصدر للطاقة؟**

من أين تأتي الطاقة أولاً؟ انها ليست عملية تفاعل كيماوي كما هو الحال في حرق انواع الوقود المختلفة أو «توحيدها مع الاكسجين». فالتفاعل الكيمائي ينطوي على الاتحاد أو الانفصال بين ذرات المادة وبعضها البعض. مع بقاء كل ذرة متماسكة بنواتها وكهاربها. اما **الانشطار الذري** فهو «فك» عناصر الذرة وتحويل المادة الى طاقة في حدود «**الابعاد**» التي سبقت الاشارة اليها.

ولا يؤدي هنا الى «فناء» المادة. لا يبدو ان شيئاً يفنى في هذا الكون بمعنى العدم التام. فالمادة تبقى في صور اخرى. وانشطار الذرة ليس الا انفصال مكوناتها من نواة وكهارب ومن هنا جاءت تسمية الطاقة النووية. «**والحرب النووية**».

ولكن **استخدام الطاقة النووية على نطاق واسع امر تحيط به صعوبات بالغة وأخطار عظيمة** هذا فضلاً عن ندرة الوقود الذري كما يسمى وهو مادة **البلوتونيوم**. فبالاضافة الى ذلك تخشى الحكومات من سيطرة العناصر الاجرامية. وانواع الشواذ من بني البشر على وسائل عظيمة الفتك واذا كانت عصابات المجرمين تستخدم المدي والبنادق في الاعتداء **فما الذي يكون عليه حال البشرية عندما يصبح في مكنة كل مجرم أو مجنون ان يصنع قنبلة يمكنها تدمير مدينة بأسرها؟**

هذا بالاضافة الى الاخطار الناجمة عن **الاشعاع الذري** أو عن انفجار أو اي حادث آخر في مفاعل ذري وهي مسألة تصبح بالطبع أكثر احتمالاً عندما تنتشر هذه المفاعلات بقدر انتشار محطات كبرى لتوليد الكهرباء بالبخار. ويمكننا أن نتصور مدى خطورة الاشعاع الذي ينجم عن استبدالها بالمفاعلات الذرية التي تعمل ليل نهار في منطقة يسكن بها كل هؤلاء البشر.

ما العمل؟ هناك **الطاقة الشمسية**. ولكن الحصول عليها ليس سهلاً. فهو يتطلب مساحات كبيرة من **المرايا العاكسة**، كما ان الشمس لا تشرق دائماً. وان كانت تشرق ايضاً، ويقتضي الأمر. «**تخزين**» الطاقة الحرارية ايضاً. وهذا عمل يتكلف كثيراً اذا تم عن طريق استخدام البطاريات أو يتطلب تجهيزات ضخمة الحجم اذا أردنا استخدام وسائل أقل تكلفة كمستودعات الماء مثلاً.

لا يبدو حتى الآن ان هناك ما يمكن عمله بشأن هاتين المشكلتين: الماء والطاقة. اللهم الا الاقتصاد في استهلاكهما، وعلى انسان القرن الواحد والعشرين ان يعمل من اجل الرفاهية والسلام والقصد في استهلاك النعم التي اسبغها الله عليه. وفي البلاد ذات الاجواء الباردة بدأ المعماريون يفكرون في وسائل احكام العزل الحراري للمنازل لكي لا تتسرب الحرارة من النوافذ ويزيد استهلاك الوقود. وفي استحداث الوسائل لامتصاص اشعة الشمس وجلب المزيد من الدفء، اما رجال الصناعة فقد وضح لهم ان عصر السيارة الكبيرة قد انتهى، **وان على مخططي صناعة وسائل النقل ان يأخذوا في اعتبارهم ان عصر النعيم يوشك ان ينقضي**.

في عالمنا نحن

نحن العرب ما زلنا ننعم بقدر كبير من الماء والوقود، بعضنا يقل نصيبه من احدهما ويزيد عن الآخر ولكنك **لا تكاد تجد دولة عربية الا وقد خصها الله بقدر عظيم من الماء أو من النفط**.

ونحن مقبلون على **عصر التكنولوجيا**، جئنا متأخرين، هذا صحيح، ولكننا نستطيع ان نسرع، وربما نسبق، وقد بدأت اهميتنا تصبح اكثر وضوحاً للقوى العالمية، **ولدينا قوة بشرية عظمى، وبما لدينا من المال والبترول والبشر، ومن المعرفة ما يمكننا من ان نتحول في عشر سنوات باذنه تعالى الى قوة صناعية واجتماعية لا يقل وزنها وزن غرب أوروبا مجتمعاً**.

عنصر البشر، هو الفيصل .. ولكن لهذا الموضوع حديث آخر.

مناقشات وتعليقات

افتراء وأخطاء

بقلم:

وهيب دياب

رحم الله جاره الزمخشري الذي قال «وعافى الله رجلا لم يتطلع في فيك أي لم يتعقب كلامك» وانا والله لست من المتعثرين الذين يتتبعون غلاط الناس. وما كنت لأكتب في مثل هذا الموضوع لولا مخافة كتم العلم.

افتراء

بين يدي الان كتاب اقلب صفحاته، اسمه «**فرائد اللغة**»، الجزء الأول في الفروق تأليف **هنريكوس لامنس**. الذي يكتب اسمه احيانا هنري. وقد وجدت في الصفحة ٣٨٨ منه (ويدل عليه قول القرآن: لم يكن امهالكم عجزا ولا انتظاركم مدارة). وهذا الكلام ليس من القرآن الكريم. ثم رجعت القهقرى فلقيت في الصفحة ٢٩٢ منه (ولا يدخلون الجنة حتى يدخل الجمل في سم الخياط). والصواب (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط). ثم فتشت في الصفحة ٢٨٠ منه فوجدت (وفي سورة الاعراض: ان رحمة الله قريب من المحبين) وهذا تحريف متعمد. والصواب (وفي سورة الاعراف: ان رحمة الله قريب من المحسنين). ورأيت في الصفحة ٦٦ منه: (فرأيتم ما تحرثون وانتم تزرعون أم نحن الزارعون) والصواب: (أفرأيتم ما تحرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون). وكان اغرب ما رأيت في كتاب هذا المفتري الكذاب. ما جاء في الصفحة ٦٨ (جاء في القرآن: على الله ارزاق العباد كما زعم) وحين ننظر الى مادة «زعم» في معجم لسان العرب نجد:

قال عمرو بن شأس

وعاذلة تخشى الردى ان يصيبني
تروح وتغدو بالملامة والقسم
تقول: هلكنا. ان هلكت وانما
على الله ارزاق العباد كما زعم

* * *

القدح .. والآنية

والان جاءت نوبة **المقري الفيومي** صاحب (**المصباح المنير**) فقد قال في مادة (انى) الطبعة الثانية بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق، تصحيح العلامة الشيخ **حمزة فتح الله** (والاناء والآنية الوعاء والاوعية وزناً ومعنى) ولكنه سها رحمه الله فقال في مادة قدح (القدح آنية معروفة) وقال في مادّة قدر (والقدر آنية يطنخ فيها) فسبحان من لا يغفل عن شيء فآنية وآونة جمعان غروران.

البشام .. والشبام

وذكرني العلامة الشيخ حمزة فتح الله كتابه المسمى (**المواهب**

الفتحية) فقد ورد في الصفحة ١١٣ من الجزء الثاني منه (وخيط البرقع الذي يشد به يقال له **البشام** كذا قيل ولم اقف عليه بهذا المعنى.) اقول: الصواب هو **الشبام** والشبامان خيطان في البرقع وبهما تشد المرأة البرقع الى قفاها، ومثلها الثبات وهو ما يثبت به البرقع.

كفر سوسة .. وكفر سوسية

ورأيت في الاعلام للمرحوم **خير الدين الزركلي** «ج٢ ص٢٤٤ طبعة٢» في اثناء الكلام على الشاعر المكزون — حسن بن يوسف: (ومات في قرية سوسة بقرب دمشق). والصواب كفر سوسية وقال ياقوت في معجم البلدان: **كفر سوسية** بالضم وتكرير السين المهملة. **موضع جاء في كلام الجاحظ بالشام. وهي من قرى دمشق.**

مؤلف أساس البلاغة

ورأيت في الصفحة ٣٠٤ (العدد الرابع — المجلد الرابع) في مجلة (المورد) البغدادية في أثناء الكلام على مخطوطات الأستاذ **محرم جلبي المرعشي.** بقلم الأستاذ **طه محسن**: (أساس البلاغة. المؤلف اختيار بن غياث الدين الحسيني) وهذا غلط فادح. فمؤلف أساس البلاغة **جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. وأما اختيار الدين بن السيد غياث الدين الحسيني** فهو مؤلف كتاب **أساس الاقتباس.** وشتان ما هما. وقد كتبه سنة ٨٩٧ هـ وطبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر سنة ١٣٢٣ هـ.

* * *

الرياس .. والروباس

وقرأت في الصفحة ١٤٤ من الجزء الثاني من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة **للتنوخي.** تحقيق الأستاذ **عبود الشالجي** — طبعة ١٩٧١ — (والصوم ريباس البدن (٤). وفي الحاشية (٤) في الأصل روباس. والصحيح ما أثبتناه. والريباس بقلة.. عن مفردات الأدوية لابن البيطار). اقول: ان المحقق الأستاذ الشالجي تبع رأي المرحوم **احمد تيمور** فأخطأ الصواب. ففي عام **١٩٢٣** نشر تيمور باشا تفسيرا للالفاظ **الفارسية** في نشوار المحاضرة. (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. جزء ٦ مجلد **٣** صفحة ١٧١) ومما قاله (**وأما الروباس فلم أقف عليه بالواو. والمذكور في كتب الطب والمفردات الريباس بالياء وهو نبات**).

أقول: الصواب روباس. ففي الصفحة **١٢٥** من قاموس العوام لحليم دموس (روباص: تنقية، تنظيف، تصفية، تكرير، تمحيص. روبص الفضة: نقى. نظف، كرر. محص. صفى). وفي معجم عطية في العامي والدخيل (**روباص هو عند العامة بمعنى الفضة الخالصة**.. على ان اللفظة وردت بالسين المهملة في ارجوزة **التلعفري** يصف جونة الطعام.

كـأنـه في العين والقيـاس
سبائك جاءت من الروباس

يرادفها التجيبة والصليجة أي الفضة الخالصة).

أقول: وكذلك أخطأ الصواب رشيد عطية. فالروباس التصفية، ولا أدري من أية لغة والارجوزة ليست للتلعفري بل **لكشاجم. في يتيمة الدهر للثعالبي ٢٨٨/١** تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد نجد ارجوزة مزدوجة لكشاجم ومنها:

ثم اتى بنـاطـف هيّـاج
يحر طبـع البـارد المـزاج
كـأنـه في العين والقيـاس
سبائك جلمت من الروباس

أجود من .. الأجود من

ومررت في كتاب الأفعال (ج١ ص٣٥١) للمعافري السرقسطي، مررت بهفوة لا شك في انها من غلط الناسخ ولكنني لا ادري كيف تخفى على المحقق **الدكتور حسين محمد محمد شرف** المدرس بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وعلى المراجع **الدكتور محمد مهدي علام** عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة. فقد ورد في مادة. حرف (..... والاجود من هذا القول) والصواب وأجود من هذا القول. لأن (أل) التعريف و (من) لا يجتمعان.

أسماء أعضاء الانسان

حين قرأت كتيب (مقالة في أسماء أعضاء الانسان لابن فارس) طبعة دمشق سنة **١٩٦٧** وتحقيق **الدكتور فيصل دبدوب.** استعجبت لقول المحقق في المقدمة (استخرجت هذه الرسالة من طواميرها ونفضت عنها الغبار. غبار الاهمال وغبار

افتراء وأخطاء

الزمان) وهكذا أوهم الدكتور المرحوم **صلاح الدين الكواكبي** وجعله يظن ان هذه الرسالة تنشر أول مرة فكتب **الكواكبي**: نظرة عيان وتبيان في مقالة أسماء اعضاء الانسان (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. المجلد ٤٢ ص٥٣٧) واثنى رحمه الله على الدكتور دبدوب.

أقول: سبق ان نشر هذه الرسالة خال الدكتور دبدوب وهو **الدكتور داود الجلبي** وكان ذلك في عام ١٩٣١ في مجلد السنة التاسعة من مجلة **لغة العرب** التي كانت تصدر في بغداد واول المقالة في الصفحة ١١٠.

فعل المطاوعة

وأبصرت في الحاشية ٣ للصفحة رقم ٣٨١ من الجزء الثاني من ديوان الأدب **للفارابي. تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر** أستاذ فقه اللغة المساعد **بجامعة الكويت.** ومراجعة **الدكتور ابراهيم انيس** عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ابصرت ما يلي (٣ يعني بالمجاوز المطاوع) وهذا خطأ وصوابه: يعني بالمجاوز المتعدي أي الواقع. فالمؤلف يقول في الصفحة ٣٣٧ (منه ان يكون افعل مجاوز فعل. اذا كان لازما. مثل قولك: اقعده فقعد. واجلسه فجلس) ويقول في الصفحة ٤٢٠ (ومنه ما يكون مطاوعا لفعل كقولك: حبسته فاحتبس. ومنعته فامتنع) ويقول في الصفحة ٤٢٧ (دفنه فاندفن. وهذا الباب بناؤه ان يكون مطاوع فعل. ثم يتفرع منه فروع) ويقول في الصفحة ٤٢٨ (وربما جاء مطاوعا لافعل وذلك كقولك: احجره فانحجر وازعجه فانزعج.. وربما جاء وليس له فعل مجاوز وهو كقولك: انحجز الرجل: اذا اتى الحجاز وانسرب الثعلب في جحره وانكرس في الشيء اذا دخل).

ان كتب القواعد العربية تقول: ان الفعل المتعدي يسمى الفعل الواقع والفعل المجاوز لمجاوزته الفاعل الى المفعول به. ثم ان **المبرد** يقول في كتابه المسمى **المقتضب** (١٠٤/١) (وافعال المطاوعة افعال لا تتعدى الى مفعول لانها اخبار عما تريده من فاعلها).

أسن .. وسرب

ورأيت في الصفحة ١٣٠ من فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي (الطبعة الثانية للبابي الحلبي. تحقيق **مصطفى السقا** وكيل كلية الاداب بجامعة القاهرة **وابراهيم الابياري** مدير ادارة احياء التراث القديم بوزارة المعارف. **وعبد الحفيظ شلبي** مدير ادارة المكتبات الفرعية بدار الكتب) رأيت ما يلي في فصل ضروب الغشي: (اذا دخل دخان الفضة في خياشيم الانسان وفمه فغشي عليه قيل: أسن يأسن) والصواب: اذا دخل دخان الفضة في خياشيم الانسان وفمه فغشي عليه قيل: **سرب فهو مسروب** فاذا تأذى برائحة البئر فغشي عليه قيل: **أسن يأسن**.

ما هكذا يكون الاقتباس

وكنت مرة اتصفح كتاب (**الفيصل في الوان الجموع**) الذي ألفه الأستاذ **عباس ابو السعود** المفتش العام بوزارة التربية والتعليم بمصر. والكتاب من اصدار دار المعارف سنة ١٩٧١ فوجدت في الصفحة ٢٨١ منه:

قال الفرزدق:

اذا العصب امسى في السماء كأنه
سدا ارجوان واستقلت عبورها

جعل السحاب الأحمر هو العصب بعينه. ايغالا في الاستعارة حتى شبهه بسدا الارجوان. غير فارق بين ان يقول: كأن السحاب الأحمر سدا ارجوان. وبين ما قاله. وهذا باب من علم البيان حسن بليغ.

وفكرت مليا فتذكرت ورجعت الى مادة (عصب) في أساس البلاغة للزمخشري المتوفي سنة ١١٤٤ م فوجدت النص المذكور اعلاه قد نقل بحذافيره من كتاب أساس البلاغة الى كتاب الفيصل في ألوان الجموع ومن دون عزو. كأنما ثمانية القرون التي بين المؤلفين تنسي القائل الحقيقي لتلك الكلمات. ما هكذا يكون الاقتباس يا أخا العرب.



دعوة إلى حب الشمس

بقلم : د. محمد نبهان سويلم

ربما يرتبط هذا المقال بالموضوع الذي نشرته مجلة «الفيصل» في عددها الاول عن الكنوز الهائلة في البتروكيماويات. وان كان يتناول مسألة تتعلق بالطاقة من وجهة نظر اخرى تدعو بشدة الدول العربية .. حكومات ومراكز علمية وصناعية الى مزيد من الحب نحو الكوكب الوضاء.

وحتى لا يأخذنا العنوان بعيدا عما نهدف اليه من ايصال ما نبغي الى القارئ فانني اقوله باختصار شديد، لماذا نترك هذا الكم الهائل من الطاقة يهبط على اراضينا من السماء ولا نلقي اليه بالا، وكل الذي يعنينا منه أن الجو صار حارا بل شديد الحرارة، والعرق غير محتمل واجهزة التبريد تعمل بلا توقف كي تبدد هذا الجو الخانق ومع ذلك تفشل في اراحة النفس المنهكة من عناء الحر، ولا مهرب سوى جولات الصيف على الشواطئ ؟

أليس هذا امراً غريباً ان نستهلك من الطاقة الكهربية حتى نبدد فيضا آخر من الطاقة يأتينا من حيث لا نحتسب، ولا يكلف عناء البحث والحفر والتنقيب ولا نشارك بالأموال الطائلة في استرجاء الأرض أن تبوح بأسرارها.

طاقة هائلة تندفع منذ بزوغ الشمس الى غروبها لم تتوقف يوما ولم تخلف موعدا، ولا تخابثت في لقاء ولا تأخرت عن لقيا، محبوب يبدأ لقاءه بلون الذهب وينهي جلسته بلون الخجل الاحمر في كبد السماء .. اسفا على فراق وحسرة على ما فقد من طاقة .. اهدرت وأثارت برغم اهدارها في النفوس الملل بينما تثير في نفوس آخرين عبر **البحر الأبيض والمحيط الأطلسي** كل الرجاء .. وكل الأمل.

دراسات .. ومؤتمرات

على الجانب الآخر من البحر والمحيط، تجري **الدراسات** على قدم وساق وتعقد **المؤتمرات** وتنفض وتعود لتلتقي مرة أخرى كل يعرض ما استطاع الوصول اليه من نتائج وما حقق من نجاحات وما واجه من مشاكل واستجد من امور.

ولم تقف الدول والحكومات على المستوى الرسمي مكتوفة الأيدي ولا نفضت يدها من الأمر على حد الزعم بأن الأمر لا

زال في دور التجارب وتحت مشارح العلم بل رصدت الأموال الطائلة وسهلت للدارسين كل السبل ومهدت أمامهم ما شق من طرق بغية أن يضعوا الشمس في جيوبهم .. أموال طائلة .. تنفق فيما أسموه **تسخير الشمس** رغم الأيام القلائل التي تبزغ على أراضيهم وبرغم السحب الكثيفة والضباب الذي لا ينقطع بينما في المنطقة العربية يبلغ عدد الأيام التي نلتقي فيها بالضوء والضياء أكثر من ٣٣٥ يوماً في السنة .. صفاء ما بعده صفاء .. ويوم تكفهر السماء وتحجب عنا الأشعة الذهبية فما هي الا سويعات قليلة وتنحسر الغيوم ويصفو الجو مرة أخرى.

بديل جديد للطاقة

ان الوصول الى حتمية اللجوء الى الشمس كبديل عن البترول والفحم لم يكن أمرا هينا حاولوا مع الذرة يسلطون عليها بعضا من اجسامها ويطلقون من عقال نوى الذرات كماً رهيباً من الطاقة .. صلح في الدمار بالدرجة الأولى ولم يصلح حتى الآن بدرجة مقبولة على مستوى رجل الشارع والمواطن العادي. ولا زالت اشعاعات الذرة الخطرة تهدد صحة الناس ورفاهيتهم فاحالوا أمر الذرة الى **المشروعات الكبرى مثل تحلية ماء البحر وتوليد الطاقة الكهربائية عبر محطات نووية تكلف بلايين الجنيهات** ولا يقدر على انشائها سوى عظمات الدول وعمالقة العلم والا يبقى سر الأمر في ايديهم يتحكمون في وقوده ويضربون به متى شاؤا.

والأمر الثاني هي عودة الى **الفحم** فبعد أن أزاحه **البترول** من الطريق منذ ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن عادوا اليه مرة أخرى لعل فيه طريق الرشاد والهداية **بعد ان قاد «الفيصل» العظيم معركة البترول في اكتوبر ١٩٧٣** وقلبوا في الدفاتر فاذا **بالألمان** هم أول من أسالوا الفحم وحولوه الى نفط منذ عام ١٩١٨ ووضعت المخططات الكبيرة وتعاقدت الحكومات على انشاء سلسلة من معامل اسالة الفحم لكن التكاليف الباهظة حدت بالمفكر العلمي أن يتأنى في الأمر.

ودرسوا الرياح وطاقة المد والجزر في البحار ولكن لا بديل .. عن الشمس مصدر الحياة والطاقة لكل نبت وكل حي .. وان نسينا بأنها الأصل .. فهي أم البترول والفحم .. فكلاهما وليدها الشرعي الذي حملته النباتات واشجار الغابات التاريخية والحيوانات الضخمة التي جاست عبر الأرض منذ بلايين السنين.

وتعالت الصيحات وترددت في جنبات معاهد بحوث الطاقة عبر العالم المتقدم كله صديقه وعدوه الى الشمس ايها السادة ولا مفر فالشمس يشع كل سنتيمتر مربع واحد (أي نصف عقلة



اصبع اليد) ما يستطيع ان يحرك موتور قدره ٩ حصان وحتى نقرب الأمر نقول مثلاً عن السيارة الصغيرة والتي تقطع الطرقات محملة بأربعة افراد وتجري بسرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة يتطلب لتحريكها موتور في حدود ٣٠ حصاناً ميكانيكياً.

قوة الطاقة الشمسية

حقيقة لا يصل كل هذا القدر من الطاقة الى سطح االأرض فعبر المسافات الشاسعة بين الكوكب الوضاء المشتعل في كبد السماء وبين الأرض تتشتت الطاقة الى أن تصل للأرض كمية طيبة قدرها خالق ورب الكون بقدرته فان زادت عن الحد المقرر لما احتملها معشر الانسان يكون فيها هلاك كل كائن حي وان قلت عن المفروض تجمدت اوصال الحياة وران على الأرض صمت القبور وبرودة ما بعدها برودة.

ان الحساب العلمي وجد انه لو فرشت ارض أي بلد عربي متوسط المساحة بالوسائل المناسبة لاكتساب هذه الطاقة لكان لهذه الطاقة شأن عظيم بل تعادل الطاقة اللازمة للعالم اجمع من كل سبل الطاقة الحفرية ٣٠٫٠٠٠ مرة.

والوسائل المقترحة لسخرة الشمس ومعاذ الله أن نقول سخرة بل نقول اكتساب فضل تخلص من اتجاهين اساسيين:

الاتجاه الأول تركيز الطاقة الحرارية المنبعثة **بالمرايا العاكسة المحدبة** في مركز تجمع الأشعة **وقد نجحت بعض البحوث العربية في صناعة بعض مواقد الشمس لطهي الطعام وتسخين الماء وفي اعمال التدفئة المحدودة للمنازل.**

وعلى المستوى العالمي نجحت تجارب نصف صناعية وأخرى صناعية في تحلية ماء البحر باستخدام احواض متسعة مغطاة بسقف مائل الجانبين من نوع خاص من الزجاج او البلاستيك الشفاف حيث يسمح بمرور أكبر قدر من أشعة الشمس، وتلتقي الأشعة بالماء المالح فيتبخر الماء ويتكثف على السطح الزجاجي ويتساقط في قطرات على الجوانب ويسحب من الأحواض في أنابيب خاصة الى الخزانات.

البدايات الاولى للاستغلال

ان قصة حرق «**ارشميدس**» اسطول الأعداء عندما سلط الأشعة المتجمعة من مجموعات المرايا منذ **٢٠٠** سنة قبل الميلاد – لا زالت **اولى القصص عن استغلال طاقة الشمس باسلوب علمي منظم**. وفي سنة ١٧٤٧م انشأ الفرنسي «**جوفن**» مسطحا عاكسا من المرايا أحرق باشعتّها كومة من الخشب على بعد **٢٠٠** قدم.

وفي الهند كما في فرنسا وامريكا بنيت أفران شمسية للأغراض العلمية تصل درجة حرارتها الى **٣٥٠٠** درجة مئوية أي تقارب درجة تحويل قطع الحديد الى بخار مثل بخار الماء كما تمكن الفرنسيون في عام ١٨٧٠ من صناعة جرد لعمل «**الآيس كريم**» **وفي القاهرة منذ خمس وخمسين سنة وعلى مقربة من نيل المعادي انشئت أول محطة مضخات في العالم تسحب الماء من النهر وتكتسب طاقتها من بخار اعدته الشمس.**

الشمس .. وتحلية المياه المالحة

ومع قصص استخدام الشمس تبقى عدة امور لا نغفلها ولا نقلل من أثرها فقد وقفت حائلا كبيرا دون تطبيق هذا الأسلوب في اعمال اقتصادية مؤثرة فعلى الرغم من نجاح «**شيلي**» في تحلية ماء البحر بالطاقة الشمسية بقدرة **٥٠٠٠** جالون في اليوم يبقى أن تكاليف الانشاءات الباهظة وعدم قدرة أمثال هذه المحطات على تلبية كل المتطلبات للماء العذب وان استطاعت الامداد بقدر كاف لاغراض الشرب والاستخدام اليومي فانها تعجز عن الامداد بالماء اللازم **للري والزراعة** علاوة على كونها محطات تعمل بالنهار وتخمد بالليل عندما تختفي من السماء أشعة الشمس وتهبط ستائر الليل ولا مفر من ذلك.

ثم حدث تطور هائل مع بداية ١٨٨٢م وعادة يبدأ اكتشاف ظاهرة علمية جديدة تستثمر في خدمة رفاهية الانسانية ففي عام ١٩٧٧ عرفت **ظاهرة التأثير الكهروحراري** وحتى لا يبدو الأمر شاقا على القارئ نقول اذا ربطنا طرفي سلكين احدهما من النحاس والآخر من الحديد مع بعضهما البعض ووضعت احدى الأطراف في كوب به ماء مثلج والطرف الآخر في كوب به ماء يغلي فقد اكتشف بالوسائل العلمية مرور تيار كهربي خافت عبر الأسلاك وهي الفكرة المطبقة في تشغيل المذياع باستخدام لمبات الكيروسين في الريف واطراف الحضر.

وبتعمق اكثر وجد أن كفاءة تحويل الطاقة الحرارية الى طاقة كهربية لا يتعدى ١٪ وبرغم هذا ظلت بارقة الأمل في الاذهان لا تخبو جذوتها حتى هل عام **١٩٤٥** فاذا بشركة «**بل**» للهاتفات تقدم «**خلية السيليكون**» أحد العناصر الشائعة الانتشار في القشرة الأرضية على هيئة الرمال والمعروف علميا باسم **ثاني اكسيد السيليكون** .. والخلية الجديدة تستطيع تحويل ١٦٪ من الطاقة الشمسية الى جهد كهربي.

عهد جديد للطاقة الشمسية

ودارت عجلة البحوث مرة أخرى بسرعة قصوى وكان ابلغ دليل على بدء عهد جديد مع طاقة الشمس يوم انطلق القمر الامريكي «**فانجارد الأول**» في ١٧ مارس **١٩٥٨** محملا بما يربو على **١٢٠** خلية امدته بالطاقة الكهربية اللازمة ومنذ هذا التاريخ ودول العالم قاطبة تحاول بكل ما أوتيت من علم ومعرفة ومال تحسين كفاءة امتصاص الشمس وخزنها في بطاريات لوقت المغيب وساعات الليل .. بل يفكرون اليوم في **اقمار مدارية** تتبع خطوات الشمس في كبد السماء وتحول الطاقة الى كهرباء وتعاود ارسالها الى محطات استقبال ارضية يجري اليوم دراستها وتصميمها بكل همة ونشاط.

* * *

وقد يقول قائل ما للعلم يلهث خلف الشمس ؟ ان اهدار هذه الأموال أمر غريب في عصر الاقتصاد ونرد السؤال بالقول ولم لا نستأنس بهذه الطاقة حتى ننير مدننا على الحدود اذا شق ربطها مع شبكات الكهرباء ونبث الاذاعات المسموعة والمرئية وتدور المصانع ويعم الضياء البلاد من أقصاها الى أقصاها دون جهد او مشاكل تلوث من عمليات الاحتراق .. والأهم من ذلك متابعة علمية جادة وواعية لكل ما فكر فيه العالم ونحن وثرواتنا الطبيعية ضمن خطة هذا الفكر بل العالم العربي بالقطع هو بنده الأول ومحاولة اهدار قيمة بترولية ضمن ما يدرسون .. ومع هذا يبقى البترول خامة صنعة توزن **بالذهب والبلاتين** كما رأينا في المقالة بالعدد الأول (المنشورة بهذه المجلة).

دعوة الى حب الشمس

ايها **الأخوة فللنظر للشمس بالحب .. الشمس باعثة الحياة والدفء حب لا يبكي على محبوبه.**

حب يدفع العقل للفكر وينفق المال في مزيد من الوعي والمعرفة والحذر حتى لا يفوتنا عصر مثل التي خلت من قبل كعصر البخار والكهرباء والذرة.

امرؤ القيس بن عابس

من شعرائنا المغمورين:

ما تزال كلمة أبي عمرو بن العلاء تطن في أذني وتعتصر فؤادي كلما حاولت أن أبحث في المصادر العربية عن شاعر مغمور أو مجهول. لقد أفادنا أبو عمرو بأنه لم يصلنا من شعر العرب الا القليل ولو وصلنا كله لكان كالسيل. وهذا صحيح. فمن خلال مطالعة كتب التراث نجد أسماء كثيرة لا تحصى تقول الشعر. ولكننا قلما نجد المعلومات الكافية عن هذه الأسماء وقلما نستطيع الوصول الى جمع أشعارهم. فلقد اهتم رواة الشعر بالاحاطة بأشعار الفحول الذين نالوا حظاً وافراً من الشهرة وسلطت عليهم الانوار والوهاجة الكشافة. وأهملوا من لم تواتهم الظروف في الوصول الى منطقة الضوء.

هذا سبب. وسبب اخر ظهور **النحل في الشعر**. فلقد ظهر أشخاص عابثون **كخلف الأحمر وحماد الراوية**.. وكانوا من حفظة أشعار العرب. ولأن عبثهم قد دفعهم الى النحل شك جامعو الشعر بمحفوظاتهم كلها مالم تؤيدها رواية من راو ثقة.

وسبب آخر هو تطبيق المقاييس التي اتبعت في تخريج **الاحاديث النبوية** على الشعر بصرامتها ودقتها.

والغزو الاستعماري الشرس الذي تعرض له العالم العربي الاسلامي من **غزو التتار** الى **الغزو الغربي** وما سببه من تدمير وحرق وتمزيق للكتب. والجهل الذي خيم على ربوع هذه الأرض فجعل من يرث مكتبة اوكتباً من الجهلة يتلفها أو يبيعها بثمن بخس فتتسرب الى المكتبات الأجنبية أو تضيع.

كل هذه الأسباب ساهمت في افقادنا كثيراً من أشعار الجاهليين والاسلاميين ومن تلاهم.

أما ما تسرب الى المكتبات الأجنبية فقد بدأنا نستعيد صورته ولو أن الأصل ما يزال عندهم. لكن ما ضاع وما اتلف لا يمكن استعادته..

ولعله من الواجب أن نبذل شيئاً من الجهد للكشف عن الشعراء المجهولين وتحقيق أشعارهم في محاولة للاستفادة من التراث واحيائه ولاعطائهم شيئاً من حقهم المغموط. وللتصدي أمام محاولات تزوير تاريخنا. والتاريخ ما يزال في حاجة لاعادة كتابته.

وسوف اتحدث في هذا المقال عن شاعر لا يعرفه أحد فيما أرجح من أجيالنا المعاصرة وهو (**امرؤ القيس بن عابس**) الشاعر الفارس المسلم.

اسمه ونسبه

هناك اختلاف في اسم أبيه. فقد ورد في (**الاعلام**) لخير الدين الزركلي: امرؤ القيس ابن عابس. وهو يستقي هذه التسمية من (**تاريخ الشعراء الحضرميين**) و (**ضوء المشكاة**) و (**شرح شواهد**

بقلم: محمد فهمي الحمدان

التلخيص المسمى **معاهد التنصيص**) ولعله تصحيف اذ أن أكثر المصادر الموثوقة تفيد بأن اسم أبيه (عابس) مثل: (**الاشتقاق**) لابن دريد و (**أسد الغابة**) لابن الاثير و (**تاريخ الطبري**) و (**لسان الميزان**) لابن حجر العسقلاني و (**الشعر والشعراء**) لابن قتيبة و (**لسان العرب**) و (**الاغاني**) و (**معجم البلدان**) و (**الاصابة في تمييز الصحابة**) و (**معجم ما استعجم**) و (**شرح شواهد الالفية**) للعيني.

ولكن المصادر كلها لا تختلف في نسبه فهو امرؤ القيس بن المنذر بن امرئ القيس بن السمط بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة الكندي ..

فهو اذن من قبيلة تمتاز بالشرف والسيادة. وهي من عرب اليمن.

ولادته ووفاته

يقول الأب **لويس شيخو** في كتابه: (**شعراء النصرانية بعد الاسلام**) و (لم يذكر أحد سنة وفاة امرئ القيس بن عابس) وهذا صحيح اذ أن حياته يلفها شيء من الغموض. فلقد اغفل المؤرخون والكتاب تاريخ ولادته وتاريخ وفاته وربما كان ذلك لأنه شاعر مقل لم تستفض شهرته ولم يسم الى مرتبة الفحول. ولكن صاحب (الاعلام) رحمه الله يجتهد في استنباط تاريخ وفاته فيجعله في نحو ٢٥ هجرية و٦٤٥ ميلادية.

اخباره

يقول عنه صاحب (الاعلام): (**شاعر مخضرم من أهل حضرموت. ولد بها في مدينة تريم وأسلم عند ظهور الاسلام ووصول الدعوة الى بلاده. ووفد الى النبي ﷺ. ثم لما ارتدت حضرموت ثبت على اسلامه. وشهد فتح حصن النجير وخباية — في شرقي تريم — وانتقل في أواخر عمره الى الكوفة فتوفي بها**).

وورد في (الاشتقاق) **لابن دريد**: (ومنهم: امرؤ القيس بن عابس بن المنذر الشاعر ادرك الاسلام، ولم يرتد).

وقال عنه الطبري انه حضر فتح اليمن مع ابن زيادة (وخرج شرحبيل بن السمط وابنه السمط حتى أتيا زياد بن لبيد فانضما اليه وخرج ابن صالح وامرؤ القيس بن عابس. حتى أتيا زياداً فقالا له: بيّت القوم. فان اقواماً من **السّكاسك** قد انضموا اليهم. وقد تسرّع اليهم قوم من السكون وشذاذ من حضرموت لعلنا نوقع بهم وقعة تورث بيننا عداوة وتفرق بيننا. وان أبيت خشينا ان يرفض الناس عنا اليهم. والقوم غارون لمكان من اتاهم. راجون لمن بقي. فقال: شأنكم. فجمعوا جمعهم فطرقوهم في محاجرهم. فوجدوهم حول نيرانهم جلوساً. فعرفوا من يريدون فاكبوا على بني **عمرو بن معاوية** وهم عدد القوم وشوكتهم. من خمسة اوجه في خمس فرق. فأصابوا مشرحاً ومخوصاً وجمداً وابضعة واختهم **العمرّدة**. ادركتهم اللعنة. وقتلوا فاكثروا. وهرب من اطاق الهرب. ووهنت بنو عمرو بن معاوية فلم يأتوا بخير بعدها. وانكفأ زياد بالسبي والأموال. واخذوا طريقاً يفضي بهم الى عسكر **الاشعث وبني الحارث بن معاوية**.

وقال ابن الاثير في (أسد الغابة): (**وفد الى النبي فاسلم وثبت على اسلامه. ولم يكن فيمن ارتد من كندة. وكان شاعراً نزل الكوفة**).

وجاء أيضا في (أسد الغابة) وفي (الاصابة في تمييز الصحابة) الحادثة التالية عنه كان بين امرئ القيس ورجل من حضرموت

الشاعر الفارس

اسمه **ربيعة بن عيدان** خصومة فارتفعا الى **النبي ﷺ**، وقال للحضرمي: بينتك والا فيمينه قال: يا رسول الله ان حلف ذهب بارضي. فقال من حلف على يمين كاذبة يقتلع بها حق اخيه لقي الله وهو عليه غضبان.

فقال امرؤ القيس: يا رسول الله فما لمن تركها وهو يعلم انه محق. فقال: الجنة قال: فاني اشهدك اني قد تركتها له).

وجاء في (شرح شواهد التلخيص المسمى معاهد التنصيص): (وشهد فتح النجير باليمن وهو حصن قرب حضرموت، ثم حضر **الكنديين** حين ارتدوا. فثبت على اسلامه ولما خرجوا ليقتتلوا وثب على عمه فقال له: **ويحك يا امرأ القيس. أتقتل عمك؟ فقال انت عمي والله عز وجل ربي فقتله**).

وجاء في (لسان الميزان) بانه **حضر فتوح الشام. وكان يوم البرموك على كردوس.**

أشعاره وتحقيقها

لم نتمكن من العثور الا على هذه القصائد والمقطعات:

– ١ –

تطـــاول ليلك بــــالاثمد
ونـــام الخلي ولم ترقـــد
وبـات وبـاتت له ليلة
كليلة ذي العائد الارمد
وذلك من نبـأ جاءني
وخبرته عن أبي الأسود
ولو عن نثا غيره جاءني
وجرح اللسان كجرح اليد
لقلت من القول مالا يزال
يؤثر عني يـد المسنــد
بــــاى علاقتنـــــا ترغبون
اعن دم عمرو على مرثد
فان تدفنوا الداء لا نخفه
وان تبعثوا الحرب لا نقعد
فـــــان تقتلونـــــا نقتلكم
وان تقصدوا لدمٍ نقصد
متى عهدنا بطعان الكماة
وبي القباب وملء الجفان
والنــــار والحطب المفـــأد
واعــددت للحرب وثـــابـةً
جواد المحثـــــــةِ والمرودِ
سموحــا جموحــا واحضارهــا
كمعمعـــة السعف الموقـــد
ومشدودة السك موضونـــة
تضاءل في الطي كـالمبرد
تفيض على المرء اردانها
كفيض الاتي على الجد جد
ومطرداً كرشاء الجرور
من خلب النخلة الاجرد
وذا شطب غامضاً كلمه
اذا أصاب بالعظم لم ينأد

وهذه القصيدة تنسب الى **امرئ القيس بن حجر**. ولكنها لم ترد في رواية **الاصمعي** وقد ورد في كتاب (اللآلي) **لأبي عبيد البكري**: (اختلف في هذا الشعر. فرواه الطوسي لامرئ القيس. وقال حبيب: قال ابن الكلبي هو لعمرو بن معد يكرب. قاله في قتلة بني مازن باخيه عبد الله واخراجهم عن بلادهم. ثم رجعوا بعد ذلك وندم عمرو على قتالهم).

ونقل العيني في (شرح شواهد الالفية) **عن ابن دريد**: (ان الابيات لامرئ القيس بن عابس بن المنذر بن..... كندة الكندي).

ويميل خير الدين الزركلي الى تأييد العيني حيث يقول عن القصيدة: (وفي الرواة من ينسبها الى امرئ القيس بن حجر. والصحيح انها لابن عابس كما حققه العيني)

ومن المرجح ان تكون هذه القصيدة لشاعرنا ابن عابس. ونسبت خطأ لابن حجر لتشابه الاسمين واستعاضة شهرة الثاني عدا ان الاصمعي لا يمنح شعرأمرئ القيس بن حجر ثقته فهو عن حماد الراوية الا نتفا سمعناها من الاعراب وابي عمرو بن العلاء) ولم ترد هذه القصيدة في روايته للديوان.

ويؤكد نسبتها الى ابن عابس ما عرفناه من سيرة هذا الشاعر الفارس الذي خاض حروباً عديدة في سبيل الدعوة الاسلامية. ويلفحنا في هذه القصيدة شواظ الغضب وليس فيها شئ من اللهو والعبث – كما انها تختلف عن شعر أمرئ القيس في بني أسد.

حيَّ الحمولَ بجانب العَزلِ
اذ لا يلائم[١] شكلها شكلي
ماذا يشق عليك من ظعن
الا صباكَ وقلة العقل
منّيتنا بغدٍ وبعد غدٍ
حتى بخلت كأسواء البخلِ
يا رب غانيةٍ لهوت بها
ومشيت متئذا على رسلي
لا استفيد لمن دعا لصباً
قسرا ولا أصطاد بالختل
وتَنوفةٍ حرداءَ مهلكةٍ
جاورتُها بنجائبٍ فتل
فيبتن ينهسنَ الجبوب بها
وابيت مرتفعاً رحلي
متوسدا عضبا مضاربه
في متنه كمدبّةِ النمل
يدعي صقيلا وهو ليس له
عهد بتمويه ولا صقل
عفت الديار فما بها اهلي
ولوت شموس بشاشة البذل
نظرت اليكَ بعين جازئةٍ
حوراءَ حانيةٍ على طفل
فلها مقلدها ومقلتها
ولها عليه سراوة الفضل
اقبلت مقتصدا وراجعني
حلمي وسدّدَ للتقي فعلي
والله[٢] انجح ما طلبت به
والبر خير حقيبةِ الرَحل
ومن الطريقة جائر وهدى
قصد السبيل ومنه ذو دخل
اني لاصرم من يصارمني...
وأجد وصلَ من ابتغى وصيلي
واخي اخاءٍ ذي محافظةٍ
سهلَ الخليقة ماجدَ الأصل

(١) في الاغاني: اذ لا يوافق

(٢) في الاغاني: الله

حلوٍ اذا ما جئت قال ألا
في الرحبِ انتَ ومنزل السهل
نازعته كأس الصبوحِ ولم
أجهل محدة عذره الرجل
اني بحبلك واصل حبلي
وبريش نبلك رائس نبلي
ما لم أجدك على هدى اثرٍ
يقرو مقصك قائف قبلي
وشمائلي ما قد علمت وما
نبحت كلابك طارقا مثلي

ولقد ذكر صاحب (الاغاني) اربعة ابيات من هذه القصيدة وهي الابيات ١ – ٢ – ٢٠ – ٢٢. وقال بعدها (الشعر لامرئ القيس بن عابس الكندي هكذا روى ابو عمرو الشيباني وقال ان من يرويه لامرئ القيس بن حجر يغلط).

واذا عدنا الى القصيدة نعثر على هذه الالفاظ (التقى – الله – البر – هدى) ولا ريب ان هذه الالفاظ اسلامية صرفة.. ولا يمكن لامرئ القيس بن حجر ان يقولها.. غير انه يشكل امامنا التناقض في السلوك الاخلاقي بين:

يا رب غانية لهوت بها
ومشيت متئدا على رسلي
لا استقيد لمن دعا لصبا
قسرا ولا اصطياد بالختل

والبيتين التاليين:

اقبلت مقتصدا وراجعني
حلمي وسدد للتقى فعلي
والله انجح ما طلبت به
والبر خير حقيبة الرحل

فهي تعبر عن موقفين متناقضين لا يمكن ان يجتمعا في قصيدة واحدة، فهو في الموقف الأول ما جن لا يشق له غبار في غيه ولهوه، وفي الموقف الثاني يذهله جمال الحبيبة ويهم بها، ولكنه يعود فيصحو، ويرجع عما أوشك ان يتخبط فيه من الغي الى السداد فتقاه وحلمه يمنعانه من اقتراف المعاصي.

ولذا فانني اظن ان ابياتا لامرئ القيس بن حجر قد اختلطت

بأبيات لابن عابس أو ان القصيدة في الأصل قصيدتان، ولكن الرواة دمجوهما لأنهما في وزن واحد وروي واحد ولربما كانت القصيدة الماجنة قد نظمت قبل اسلامه، والثانية بعد انضوائه تحت لواء الاسلام لانه بعد أن اعتنق الاسلام حسن اسلامه كما رأينا في اخباره.

– ٣ –

قف بالديار وقوف حابس
وتأن أنك غير آنس[٣]
لعبت بهن الغاديات
الدائمات الى الروامس[٤]
ماذا عليك من الوقوف
بها مدى الطللين دارس[٥]
يا رب باكية علي
ومنشد لي في المجالس
أو قائل يا فارسا
ماذا رزئت من الفوارس
لا تعجبوا ان تسمعوا
هلك امرؤ القيس بن عابس[٦]

ذكر الابيات الثلاثة الاوليات ابن قتيبة في (الشعر والشعراء) وقال بعدها: أخذه الكميت كله غير القافية فقال:

قف بالديار وقوف زائر
وتأي انك غير صاغر
ماذا عليك من الوقوف
بها مد الطللين داثر
درجت عليه الغاديات
الرائحات من الاعاصر

ولا ريب ان هذه الابيات من أوثق شعره لأن ابن قتيبة قد رواها له ولأن الشاعر يذكر فيها اسمه الصريح.

– ٤ –

ايا تملك يا تملي
ذريني وذوي عذلي
ذريني وسلاحي ثم
شدي الكف بالغزل
ونبلي وفقاها
كعراقيب قطا طحل
ومني نظرة بعدي
ومني نظرة قبلي
فاما مت يا تملي
فموتي حرة مثلي

نسبت هذه الأبيات الى شاعرنا امرئ القيس بن عابس في (لسان العرب) لابن منظور وفي (الشعر والشعراء) لابن قتيبة.

وقال ابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان): (وهذا الشعر مما اختاره الاصمعي لخفة رويه)

– ٥ –

الا ليت شعري هل ارى الوردَ مرة
يطالب سَرباً موكلا بغرار
امام رعيل او بروضة منصحٍ
ابادر انعاماً واجل صوار
وهل اشربن كأسا بلذة شارب
مشعشعةً او من صريح عقار
اذا ما جرت في العظم خلت دبيبها
دبيب صغار النمل وهي سوار

لقد روى هذه الابيات ياقوت الحموي في (معجم البلدان) ونسبها لامرئ القيس بن عابس وقال انها في وصف روضة منصح وهي روضة لبني وكيعة بن كندة.

– ٦ –

الا بلغ ابا بكر رسولا
وبلغها جميع المسلمينا
فليس مجاورا بيتي بيوتا
بما قال النبي مكذبينا

---

(٣) ويروى: وقوف عابس.. وتان انه غير آنس. ويروى: وتأني

(٤) ويروى: العاصفات الرائحات من الروامس.

(٥) ويروى: بهاتك الطللين.. وبهامد الطللين.

(٦) ويروى: عانس. وهذا تصحيف كما بينا

أما هذان البيتان فقد ذكرهما (ابن حجر) ايضا وقال: (ان ابن عابس كتب الى ابي بكر في الردة) وقد مر بنا في عدد من المصادر ان شاعرنا لم يرتد عن دينه لما ارتد قومه.

— ٧ —

وقـــد اختلس الضربـــةَ
لا يـــدمى لها نصلي

أما هذا البيت فقد جاء في (الكامل) **للمبرد** وقد يكون هذا البيت من القصيدة الرابعة مما يدفعني الى الظن بان هذا الشاعر قد ضاع شعره لأنه لم يكن من الفحول أو اختلط شعره بشعر امرئ القيس.

— ٨ —

رب خرق مثل الهلال وبيضاء
لعوب بالجزع من عمواس

وهذا البيت ذكره البكري في (معجم ما استعجم) حول مادة (**عمواس**) من قرى **الشام بين الرملة وبيت المقدس**.

— ٩ —

فيا هند لا تنكحي بوهةً
عليـــه عقيقتـــه أحسبـــا

هذا البيت ذكره ياقوت في (معجم البلدان).

ديانته

فلا حاجة للحديث عن ديانة ابن عابس بعد كل ما سقناه من المصادر ولكن ماذا نقول للاب (لويس شيخو) الذي امسك به ونصره زيفا وبهتانا؟

فلا بد والحال كهذا من الوقوف قليلا امام الحجج التي ادلى بها في هذا الصدد!!

فلويس شيخو يريد ان يستنتج شيئاً من لا شيئ فيأخذ قصة شاعرنا مع الحضرمي ربيعة بن عيدان التي وردت في (الاصابة في تمييز الصحابة) وفي (اسد الغابة) ليقول بعدها (وهذا نعم الدليل على استقامة الكندي ونفوره من الحلف كما اعتاده النصارى وتعلموه من انجيلهم). ثم يأخذ حادثة قتله لعمه في سبيل دينه ليقول (هذا ما تعلمه من دينه الجديد) وهل النصرانية ديانة جديدة في ذلك الوقت؟

وهذه الحادثة وقعت اثناء اشتراكه في حروب الردة ضد قومه. ولولا هذا لما كان هناك مبرر للرجل ليقتل عمه، **فأين دليل شيخو على نصرانية شاعرنا؟**

ولن اعود الى ذكر المصادر فقد أوردت اسماءها في اخباره، وهي **كلها تجمع على انه اسلم عند ظهور الاسلام. ووفد على النبي ﷺ، ولم يرتد حينما ارتد قومه وبعث يخبر ابا بكر بثباته وارتداد قومه واشترك في محاربتهم وقتل عمه واشترك في فتح حصن النجير وخباية وحضر فتح اليمن وفتوح الشام، وكان يوم اليرموك على كردوس.**

فهو مسلم بحق، آمن بالاسلام ايمانا عميقا راسخا مستنيرا وتشربت نفسه تعاليمه ومضى يطبق ما تمليه عليه تلك التعاليم وتطهرت نفسه من ادران المادة الطاغية واستطاعت هذه الديانة ان تلجم شهواته وتكبح سلطان غرائزه:

اقبلت مقتصدا وراجعني
حلمي وسدد للتقى فعلي

ووصل الى ادراك الحقيقة الازلية التي لا يدركها الا الراسخون في الايمان:

والله انجح ما طلبت به
والبر خير حقيبـــة الرحـــل

فمن أين لشيخو ان ينصره بعد هذا؟

لكن القارئ اذا اطلع على كتابي شيخو (**شعراء النصرانية في الجاهلية**) و (**شعراء النصرانية بعد الاسلام**) فسيجد العجب. **فقد نصر الاب لويس كل شعراء العرب تقريبا من وثنيين واحناف ومسلمين دون دليل ثابت او حجة راسخة**. فقد نصر على سبيل المثال امرأ القيس بن حجر الكندي لانه تورط وذكر منارة الراهب في معلقته:

تضيئ الظلام بالعشي كأنها
منارة ممسى راهب متبتل

هذا مثال سقته ليتوضح للقارئ حقيقة المنهج الهزيل المعوج الزائف الذي اتبعه الأب لويس شيخو في تنصير الشعراء الوثنيين والمسلمين على السواء.

القيادة العلمية للجيوش العربية

بقلم اللواء :
محمد جمال الدين محفوظ

ان أخطر ما تتعرض له الأمم هو الغفلة عن الخطر المحدق بها من أعدائها.. والأمة العربية والاسلامية في أشد الحاجة الى اليقظة والحذر. وهي في صراعها لتحقيق نهضتها الحضارية الشاملة في أشد الحاجة الى القوة التي تتكافأ مع قدرتها ومكانتها. والتي تحمي كيانها وتصون وجودها. **وترهب اعداءها وتمنعهم من التفكير في العدوان**.. ولا مراء في أن لدى العرب والمسلمين القدرة على قيادة النهضة الحضارية الشاملة وعلى «بناء القوة» التي تحميها وتدفع عنها العدوان ما استمسكوا بدينهم. وأقاموا وحدتهم. وساروا على هدي دينهم في البحث والتطوير. وعملوا لمستقبلهم بالايمان والعلم. والصبر والمصابرة.

ويصف «**روم لاندو**» قدرة العرب على قيادة تلك النهضة الحضارية فيقول: «**لا يوجد سبب على الاطلاق يبرر الزعم أن العربي فقد الصفات التي مكنت اجداده من أن يقيموا حضارتهم العظيمة. فهو لا يزال يملك تلك الرجولة والمروءة وذلك الاستطلاع العقلي الحاد. وذلك الخيال المبدع**».

والمدرسة الاسلامية تقرر خير المناهج على الاطلاق «لبناء القوة التي تجعل الجيش العربي جيشاً لا يقهر. **فلقد سبقت حكمة الله جل شأنه أن تكون الأمة الاسلامية أمة مجاهدة عزيزة الجانب**. ولم يرد لها أن تخضع ولا أن ترضى بالذلة ولا تستكين الى هوان.. فاوجب عليها «**الجهاد**» في سبيله وجعله الوظيفة الشريفة التي اختارها لأدائها كما يفهم من قوله تعالى: «**وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم**» (الحج ٧٨) (اجتباكم يعني اختاركم) فالاختيار هنا تكريم وتشريف لهذه الأمة التي جعلها الله في خير منزلة بين الأمم في قوله تعالى: «**كنتم خير أمة اخرجت للناس. تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**» (آل عمران ١١) وفي قوله سبحانه: «**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً**

لتكونوا شهداء على الناس. ويكون الرسول عليكم شهيدا»[1] (البقرة ١٤٣). كما اوجب الله تعالى على الأمة اعداد القوة التي ترهب اعداء الله واعداءها كما يفهم من قوله سبحانه: «**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**» (الانفال ٦٠).

والتكليف القرآني باعداد «القوة» تكليف قائم وباق حتى تقوم الساعة. ومقتضى ذلك الا تفتر عزائم الأمة عن اعداد القوة بعناصرها المتعددة العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها. ثم ان ورود لفظ القوة مطلقاً دون تقييده بشكل معين، يقضي منطقياً أن تتطور القوة في شكلها ونوعها وتركيبها وأسلوب استخدامها لتناسب روح العصر الذي يحتويها.

والأمة الاسلامية ان لم تفعل ذلك. ولم تأخذ بأسباب التطور العلمي والتكنولوجي وتخلف عن مقتضيات عصرها. فان قوتها التي أمرها ربها باعدادها. تفقد قيمتها وفاعليتها وتعجز عن ارهاب الاعداء. وتتعرض للخطر والهلاك.

العلم والقيادة العلمية

ويجمع القادة العسكريون ورجال الاستراتيجية العسكرية على انه لا يمكن حل مشكلة واحدة من مشاكل البناء العسكري بدون السيطرة على الطرق العلمية للعمل في الجيوش وقياداتها.. **وان جوهر القيادة العلمية للجيوش في هذا العصر – بكل خصائصه المعروفة يحتم على القيادات العسكرية أن تكون على مستوى عال من المعرفة. ليس في المجال العسكري الخالص فحسب. بل في مجالات كثيرة للعلوم الطبيعية مثل الرياضيات والاحصاء والفيزياء وللعلوم الاجتماعية أو الانسانية مثل علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وغيرها.**

ولقد اهتم الاسلام بالعلم اهتماماً بالغاً. فحث عليه ووجه اليه. وجعله من أسس الدين نفسه. ولا أدل على ذلك من أن أول آية نزلت من القرآن الكريم على المصطفى ﷺ تتضمن (القراءة) التي هي مفتاح العلم. «والقلم» الذي هو آلة العلم والمعرفة والتاريخ والحضارة وان الله علم الانسان مالم يعلم: «**اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم. الذي علم بالقلم. علم الانسان مالم يعلم**» (العلق).

والآيات والاحاديث التي وجهت الأمة الاسلامية الى العلم كثيرة ومستفيضة واذا كان العلماء يشهدون التوحيد فان منزلتهم بالمكان السامي ودرجاتهم في الرفعة والسمو: «**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات**». (المجادلة ١١) ولهذه الجوانب من فضل العلم والعلماء أمر الله سبحانه وتعالى رسوله – وهو قدوة المسلمين وأسوتهم – أن يقول «**رب زدني علما**».

ويقول الرسول ﷺ: «**ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع**».. ويقول أيضا: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة**».

وقد اهتمت الجيوش وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى بتنمية التفكير العلمي المنظم في عقول رجالها. فقد انقضى العهد الذي كانت فيه الشجاعة والقوة البدنية تشكلان المقومات الأساسية للنجاح في المعركة. وأصبح التفكير العلمي المنظم هو المطلب الحيوي الأول للنجاح في القيادة وفي القتال معاً.

من أجل ذلك أنشأت كل الجيوش معاهد عسكرية خاصة[2] لتدريب ضباطها وقادتها على فن التفكير واصدار القرارات على اسس علمية. **ويروى ان القائد العام في احدى الدول العظمى توجه لافتتاح كلية الاركان عند انشائها لأول مرة عقب الحرب الأولى. فلم يزد في خطابه الذي وجهه الى المجموعة الأولى من الضباط الدارسين على قول كلمتين هما «تعلموا التفكير»**.

ويقول «**الفيلد مارشال مونتجمري**» (لقد اقتنعت بانه لا يمكن لاي قائد في القرن العشرين ان يصبح قائدا عظيماً وممارساً ممتازاً لفن الحرب. اذا لم يقم كل شيء بالدراسة والتفكير العلمي للحرب. وينبغي أن يكون القائد مفكراً صافي الذهن تماماً. وقادراً على استخلاص وفرز العناصر الجوهرية من وسط اكداس من العوامل والظواهر الاقل اهمية والتي تتصل بكل مشكلة. وهذه

(١) «أمة وسطا» يعني خيارا معتدلين (خير الأمور الوسط) و «شهداء على الناس» أي في مقام عال فان الشهيد – لغويا – هو الذي ينظر من عل.

(٢) تسمى بكليات «الأركان» أو «أركان الحرب» أو «القادة الأركان».

القدرة على استئناف العناصر الجوهرية يجب الا يصاحبها فقدان الرؤية وسوف يفشل القائد - في الأغلب - اذا لم يكن ذهنه في صفاء الثلج واذا لم يكن تفكيره منظماً).

المنهج العلمي وبحوث العمليات

وجملة القول أن «**القدرة على اتخاذ قرار سليم**» تعد من أول ما تتطلبه الحرب الحديثة في الرجل العسكري قائداً كان أو جندياً.. والمدخل الصحيح الى القرار السليم هو التفكير العلمي المنظم. أي أن عملية التفكير لاتخاذ القرار أو لحل أية مشكلة يجب أن تسير على المنهج العلمي الذي يقوم على العناصر التالية:

* تحديد المشكلة تحديداً صحيحاً.

* دراسة المعطيات وتحليلها أو وضع الفروض عن العوامل المحددة للمشكلة واختيار كل فرض منها.

* استعراض البدائل التي تسهم في حل المشكلة على ضوء المعطيات أو الفروض الصحيحة.

* اختيار البديل الأمثل.

هذا المنهج العلمي هو أحد الأسس الرئيسية التي قامت عليها احدث النظريات العلمية التي تستهدف حل المشكلات وتسمى بحوث العمليات OPERATIONS RESEARCH وهي مجموعة من الأساليب الرياضية المستخدمة في تحليل المشكلات والبحث عن الحلول المثلى لها ويعرفها علماء الادارة بانها «**استخدام الطريقة العلمية في تحليل المشكلات الادارية**».

وقد أصبحت لبحوث العمليات ادارات وأجهزة متخصصة في كل الجيوش الحديثة بل وفي كل تنظيم مدني حديث.

والواقع أن المنهج العلمي منهج اسلامي سبق به الاسلام منذ أربعة عشر قرناً فالقرآن الكريم يأمر باتباع المنهج العلمي في مناحي الحياة. ويأمر باستخدام الحواس استخداماً أساسه المشاهدة فالعين يجب أن ترى والاذن يجب أن تسمع والعقل يجب أن ينظر ويفكر. وهذا هو **منهج الاستقراء** القائم على المشاهدة والبرهان الحسي والتفكير المنظم المبني على الواقع.

يقول الله تعالى:

* «قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق» (العنكبوت ٣٠).

* «قل انظروا ماذا في السموات والارض» (يونس ١٠١).

* «افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها» (الحج ٤٦).

هذا المنهج العلمي الاسلامي هو الذي قامت عليه الحضارة الحديثة كما يشهد بذلك التاريخ والمنصفون من علماء الغرب مثل **جوستاف لوبون** الذي قال: «قام منهاج العرب على التجربة والترصد، وسارت أوروبا في القرون الوسطى على درس الكتب والاقتصار على تكرار رأي المعلم. ونشأ عن منهاج العرب التجريبي وصولهم الى اكتشاف مهمة». ومثل الأستاذ **بريفولت** الذي قال: «**ان الاوروبيين درسوا عن العرب طرق البحث العلمي التجريبي وانه لم يسبقهم اليها باحث أو مفكر**».

ولو قيض الله سبحانه للحضارة الاسلامية أن تسير في طريقها دون عوائق لكان العرب والمسلمون هم الذين غزوا الفضاء وكانوا هم الذين وصلوا الى القمر والى غيره مما سخره الله للانسان من كواكب.

احراز النصر بأقل الخسائر

والعلم العسكري يقرر أن الهدف الاسمى للقيادة العسكرية هو «**الحصول على النصر في الحرب بدون أو بأقل خسائر ممكنة في الأرواح والمعدات وفي أقل وقت**».

من ذلك يتضح أن القيادة العسكرية تسعى بكل مالديها من

القيـــادة العلميـــة للجيـــوش العربيـــة

فكر ووسائل الى تحقيق النصر بلا خسائر على الاطلاق، تلك اعلى مرتبة من مراتب تحقيق الأهداف. فإذا لم يتيسر لها ذلك، فليكن النصر بأقل قدر ممكن من التكاليف أو الخسائر في الارواح والمعدات وفي أقل وقت.

وعلى هذا الاساس لا يعد نصراً حقيقياً بالمقياس العلمي ذلك النوع من النصر الذي يدفع فيه الجيش ثمناً أكبر من اللازم من الارواح أو المعدات أو يستنفذ فيه وقتاً أطول من اللازم.

فهل اقتناء الجيوش لأقوى الأسلحة وأحدثها وانصاف رجالها بالكفاءة والشجاعة يكفل تحقيق ذلك النوع من النصر؟

الواقع أن العلم العسكري يقرر أن كل ذلك لا يكفي لكي تحقق الجيوش هدف النصر بالمقياس العلمي مالم تتوفر لها «**القيادة العلمية**».

والقيادة العلمية تقوم على أقصى درجات التنظيم وأقصى درجات الكفاءة في ادارة دفة الحرب.

الكفاءة في الادارة

والحق أن الكفاءة في الادارة، عنصر حيوي بالغ الأهمية عظيم الأثر.. فالجيش بتكوينه من قوة بشرية وأسلحة ومعدات قتال يعتبر كأنه آلة لا تعمل وحدها بل تحتاج الى من يديرها..، فاذا لم تتوفر الكفاءة فيمن يقوم بعملية الادارة فان الآلة سوف لا تؤدي مهمتها بالدرجة المرجوة.

لذلك فان «**الادارة السليمة**» عنصر حيوي لحسن الاداء، وللوصول الى النتائج المرجوة بنجاح وكفاية.

فلو تقابل جيشان في موقعة حربية، وكان هناك تعادل وتوازن بينهما من حيث قوة الرجال والسلاح مادياً ومعنوياً. فان العامل الذي سوف يحسم الموقف ويرجح كفة احدهما على الاخر هو «الادارة السليمة».

وهذا هو ما عبر عنه روبرت مكنمارا وزير الحربية الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية حين قال في دراسة له عن الصراع بين القوتين العظيمتين «ان الولايات المتحدة تمتلك تكنولوجيا عالية جدا. وكذلك الاتحاد السوفيتي ولكن الذي سوف يحسم المعركة هو الادارة السليمة.

ولا يقف اثر الادارة السليمة عند حد حسم المعركة بين قوتين متكافئتين بل انها قد تحقق النصر لقوة صغيرة على قوة متفوقة عليها في القوة ولكنها تفتقر الى الادارة السليمة والقيادة العلمية.

أركان القيادة العلمية .. والعنصر الانساني

والقيادة العلمية من وجهة نظر علم الادارة هي عملية خلاقة تتطلب فيمن يتولاها من الرجال العسكريين قدرات ومهارات قيادية يستطيعون بها توجيه ما تحت قيادتهم من طاقات بشرية ومادية نحو تحقيق الأهداف (كالنصر في الحرب) باعلى قدر من الكفاية وبأقل قدر من الخسائر أو التكاليف.

وبهذا المفهوم فالقيادة العلمية لا تنحصر في الاطار العسكري المحدود وانما هي الى جانب ذلك عملي اجتماعية وانسانية واقتصادية وسياسية.

وبتكامل هذه الأركان تصبح القيادة عملةي رشيدة وحاذقة تملك القدرة على أن تستخرج أقصى ما في القوة البشرية. وأقصى ما في المعدات من طاقات وقدرات. وان تستغلها أفضل استغلال. فتحقق بذلك اعظم النتائج ويتأكد لنا هذا المعنى لو تأملنا تعريف «**الادارة**» الذي وضعه علماؤها:

«**الادارة هي النشاط الذي يخطط وينظم ويراقب العمليات التي يؤديها الأفراد والمواد والآلات ورأس المال. وهي توفر التوجيه والتنسيق والاشراف للعمل الانساني لمساعدته على تحقيق الأهداف العامة**».

وفي تعريف آخر فان الادارة هي «**الاستخدام العلمي للقوة البشرية والمال والآلات والمواد والوسائل لتحقيق الأهداف المقررة**».

ولعل أهم ما يستبين من هذا الغرض لتعاريف الادارة هو أن أهمية العنصر البشري هو المحور الذي تدور عليه عملية الادارة من أولها الى آخرها.

فالانسان هو الذي يفكر ويخطط.. وهو الذي يقود ويوجه ويدير دفة العمل.. ويدير المعركة.. وهو الذي يعمل وينفذ ويحرك الآلة والسلاح.. ويقاتل.. وهو الذي يراقب التنفيذ ويقوم بتقييم العمل.. وهو الذي يبحث ويطور.

من أجل ذلك كانت الادارة أو القيادة العلمية عملية انسانية واجتماعية بالدرجة الاولى بالإضافة الى كونها عملية اقتصادية وسياسية كما قدمنا.

وهكذا تكون القيادة العلمية للقوات المسلحة عملية انسانية واجتماعية بالدرجة الأولى ولعل هذا هو السر في القول المشهور الذي يعرفه العسكريون جميعاً:

«**العبرة ليست بالمدفع. وانما بالرجال الذين وراء ذلك المدفع**».

وبهذا المفهوم تستطيع القيادة العلمية للجيوش أن تحقق النصر في الحرب بدون أو بأقل من الخسائر في الأرواح والمعدات وفي أقل وقت.



نشأة الكتابة وتطورها

تناول كثير من العرب والمستشرقين بالبحث والاستقصاء موضوع نشأة الكتابة وتطورها من قديم الزمان. الا أن هؤلاء وهؤلاء لم يصلوا الى الحقيقة المؤكدة التي تطمئن اليها النفس، ويرتاح اليها العقل تمام الارتياح. ذلك أن تاريخ الكتابة قديم موغل في القدم وكان من العسير على هؤلاء الباحثين أن يحددوا الزمن التاريخي الذي حاول فيه الانسان الكتابة. لذلك كانت آراؤهم حيال هذا الموضوع فيها كثير من التضارب، وفيها أيضا كثير من الحدس والتخمين.

بقلم : حسين عويس مطر

نشأة الكتابة

وسأحاول في هذه العجالة أن أعرض بعض هذه الآراء ليستبين الطريق ولنعرف – إن لم يكن على وجه التحديد فليكن على وجه التقريب – **نشأة الكتابة وتطورها**.

أما الباحثون العرب ففريق منهم يقول بأن **الكتابة توقيفية**. أي أن الانسان ليس له فضل فيها، ولم يحاول تعلمها. وانما علمها الله **آدم عليه السلام**. يقول هؤلاء: ان الله علم آدم الكتابة بجميع اللغات، فكتب كتابا في **ألواح من طين**، وطمر هذه الالواح قبل موته بثلثمائة عام، وبعد **الطوفان** أصاب كل قوم كتابا، وأصاب **اسماعيل** كتاب اللغة العربية، ومن ثم تعلم العرب الكتابة.

وقال آخرون: ممن يقولون بأن الكتابة توقيفية – **ان آدم كان يرسم بالبنان**، وتعلم أبناؤه ذلك الى أن جاء **ادريس** فكتب بالقلم.

هذه آراء قوم لم يجشموا أنفسهم عناء البحث والاستقصاء، وانما بنوا هذه الآراء على الحدس والتخمين فجاءت آراؤهم ضعيفة لا تستند الى دليل معقول، أو منطق سليم. وقد عزز هؤلاء آراءهم بأحاديث موضوعة، **واسرائيليات كاذبة**.

وفريق آخر من الباحثين العرب ومنهم ابن خلدون يسفهون هذه الآراء وينفي أن الكتابة توقيفية فيقول في مقدمته (فصل في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية) «**ان الكتابة تعلمها الانسان بفكره واجتهاده، دعت اليها حاجته الماسة الى تدوين أفكاره حيث نمت مداركه، واتسعت دائرة معارفه**». ويقول «تكون جودة الخط في المدينة اذ هو من جملة الصنائع. ولهذا نجد كثيرا من البدو أميين لا يكتبون ولا يقرأون.

يرى هذا الفريق أن الكتابة نشأت في **اليمن**، تعلمها **الحميريون**، ثم نقلها عنهم **المناذرة**، وهؤلاء بدورهم علموا **قريشا**. قيل لنفر من قريش: من علمكم الكتابة؟ قالوا **حرب بن أمية**، قيل فمن علمه؟ قالوا: **عبد الله بن جدعان**. قيل فمن علمه؟ قالوا: طارئ عليهم من أهل اليمن.

أما المستشرقون فيقولون بأن الكتابة نشأت في **مصر**، ثم انتقلت الى **فينيقيا** عن طريق التجارة بين المصريين والفينيقيين. ومن فينيقيا تعلم العرب الكتابة وطوروها الى الكتابة العربية. ومن فينيقيا أيضا تعلم **اليونانيون** الكتابة وطوروها الى الكتابة **اللاتينية**. ويفهم من هذا أن الكتابة المصرية القديمة أصل الكتابة في العالم



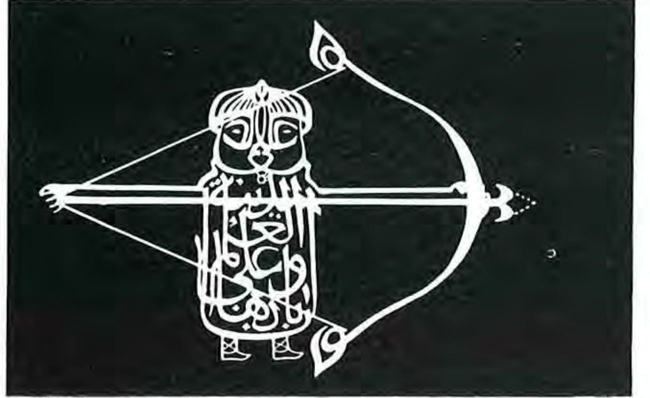
كله.

واستعان الباحثون في تاريخ الكتابة بالآثار والنقوش وأوراق البردى والمصاحف والمخطوطات. بدأ الانسان في الازمان الغابرة يعبر عن الافكار التي تجيش بخاطره بطرق مختلفة. بدأ يتفاهم مع بني جنسه **بالايماء والاشارة**، ثم أخذ في **محاكاة الاصوات**، ثم استحدث لغة تناسب تطوره. ولما اتسعت مداركه بحث عن أداة ينقل بها أفكاره الى غيره ممن نأت بهم الديار. وكانت هذه الادارة **رسوما** تعبر عن هذه الأفكار، **فكانوا يعبرون عن الليل برسم نجم معلق، وعن القوة برسم رجل متين البناء. وعن الضعف برسم طائر ضعيف، وغير هذا**. ويتضح هذا واضحا في **الكتابة الهيروغليفية في حجر رشيد**. ثم تطورت الكتابة في مصر الى حروف لها **دلالات صوتية**. ونقل الفينيقيون عن المصريين خمسة عشر حرفا مع تعديل يسير فيها، وأضافوا اليها حروفا أخرى. ثم انتقلت الحروف من فينيقيا الى **الانباط** فطوروها الى **الخط النبطي وهو أصل الكتابة العربية. وتولد من الخط النبطي الحيري والأنباري. ثم تولد منهما الخط الحجازي الذي آل الى النسخ فيما بعد**.

المسلمون .. والكتابة

بيد أن **العرب** بعد أن عرفوا الكتابة لم يقبلوا عليها كثيرا.. ولم تنتشر بينهم انتشارا واسعا. فالذين كانوا يكتبون من العرب قلة





قليلة. كانوا أميين. **قال تعالى: «هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم»** وبعث النبي ﷺ **فحث على تعلم القراءة والكتابة. فاثر انتصار المسلمين في غزوة بدر** طلب النبي ﷺ ممن يجيد الكتابة من الاسرى ان يفتدي نفسه بتعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة. ومما يدل على شرف الكتابة **قوله تعالى: «اقرأ وربك الاكرم. الذي علم بالقلم» وقوله تعالى في وصف الملائكة: «كراما كاتبين» وقال** ﷺ: **«قيدوا العلم بالكتابة». وقال: «حسن الخط يزيد الحق وضوحا».**

وأقبل المسلمون على تعلم الكتابة اقبالا شديدا، وتباروا في تجويد الخط. وكان — كتاب **الوحي** وقد بلغوا ثلاثة وأربعين كاتبا يسجلون **القرآن الكريم** بخط **النسخ** محاولين الاجادة ما استطاعوا. ولا يفوتنا هنا ان نذكر ان النبي ﷺ كان يوصيهم بحسن الخط. وكان يرشدهم — وهو النبي الأمي — الى تجويد بعض الحروف.

ثم اقبل المسلمون على نسخ المصحف اقبالا شديدا، واستلزم ذلك أن يتعلموا الكتابة وأن يجيدوا الخط. وازداد اقبال المسلمين على نسخ المصحف في عهد **عثمان** وفي عهد **علي**. ويكفي ان نعرف أن خمسمائة مصحف — كما روى بعض المؤرخين — رفعت على أسنة الرماح في **موقعة صفين** من اصحاب **معاوية** وحدهم مع انه لم يمض على كتابة المصحف في عهد عثمان غير سبع سنوات.

وكان لنساخ كل قطر وبلد طريقة خاصة في الكتابة تتميز عن سواها. **فصار الخط أنواعا منه المكي والمدني والبصري والكوفي والأصفهاني وغير ذلك.**

وكان المسلمون **يكتبون المصاحف بخط النسخ كتابة غير منقوطة.** أي ان الحروف لم تكن عليها تلك النقط المعروفة لنا الآن، **كما انها لم تكن مشكولة،** والتبس على الناس بعض الحروف فخلطوا بينها خاصة بعد انتشار الاسلام واختلاط المسلمين بالأعاجم، فداخل الكلام كثير من اللحن، وسمع **الصحابة** كثيرا من الناس يقرأون القرآن قراءة فيها كثير من التحريف والتصحيف بسبب التباس الحروف عليهم وخافوا أن يشيع التجويف والتصحيف في القرآن. روى بعض المؤرخين أن عليا كرم الله وجهه طلب الى **ابي الاسود الدؤلي،** وكان مقيما بالبصرة ومن علمائها الأعلام — طلب اليه أن يضع نظاما لضبط أواخر الكلمات، فاستجاب الى ذلك.

وروى آخرون أن **زيادا ابن ابيه** وكان عاملا على **البصرة** من قبل معاوية لما رأى اللحن قد استفحل أمره، وفشى بين الناس رغم وضع قواعد النحو، استدعى أبا الاسود وقال له: يأبا الاسود ان هذه الحمراء (يقصد الاعاجم) قد كثرت وافسدت من ألسن العرب ما أفسدت، فلو وضعت لنا شيئا يصلح الناس به كلامهم، ويعرفون به تلاوة الله تعالى؟. فتقاعس أبو الاسود لانه كان من أشياع علي ويحقد على بني أمية. فعمد زياد الى الحيلة واستدعى رجلاً وقال له: اقعد في طريق أبي الأسود فاذا مرّ بك فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمّد اللحن فيه، ففعل الرجل. ولما

الحميريون

*** هم أهل «حمير» وهي قبيلة يمنية معروفة كان لها نفوذ كبير في أواخر أيام دولة سبأ.**

*** تكونت لها دولة في وسط اليمن .. عاصمتها «ظفار» قبل ظهور المسيحية، وظلت هذه الدولة حتى ظهور الاسلام.**

*** يطلق الاسم عادة على قدماء اليمنيين ويسمون جميع الآثار القديمة «الحميرية» بالرغم من أن كثيراً منها كان قائماً قبل ظهورها بقرون كثيرة.**

*** توجد في اليمن الآن قبيلة مشهورة بهذا الاسم.**

الأنباط

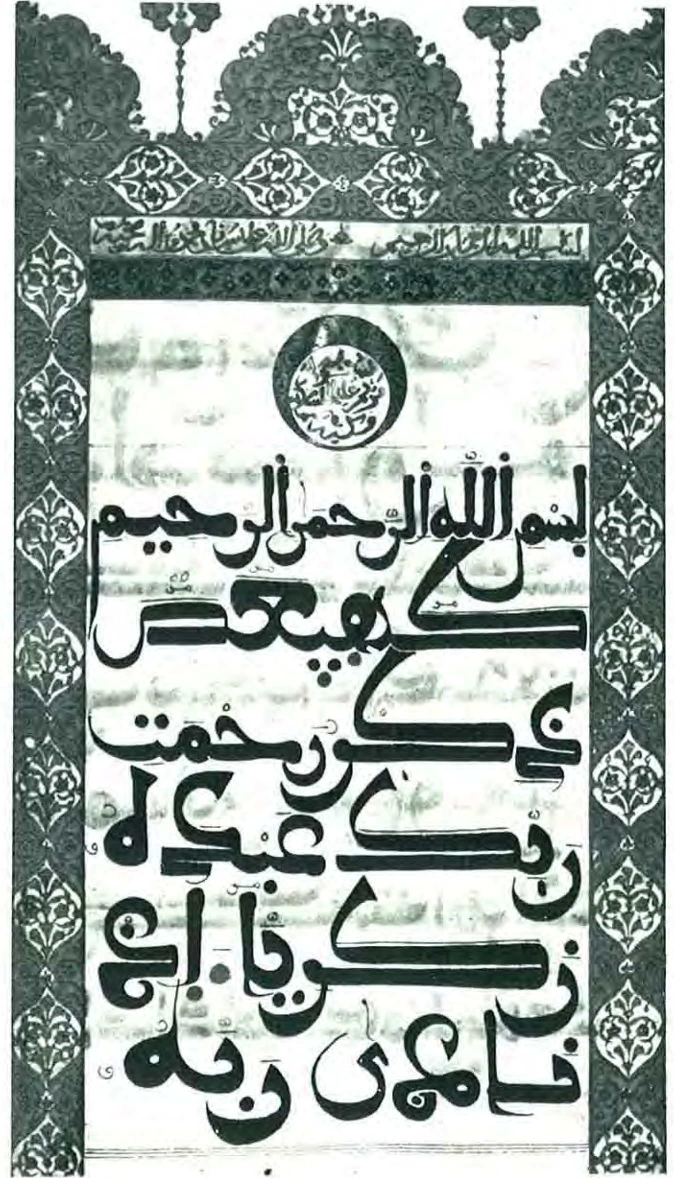
* ظهر الانباط لأول مرة في القرن السادس قبل الميلاد كقبائل بدوية في الصحراء الواقعة في شرقي الاردن وكانوا حتى القرن الرابع ق.م قوماً رحلاً يعيشون في الخيام ويتكلمون العربية.

* أول تاريخ ثابت للانباط يرجع الى ٣١٢ ق.م حين نجحوا في صد هجمات حملتين على سوريا بقيادة «انتيفوس» احد خلفاء الاسكندر.

* كانت «البتراء» عاصمة الانباط بعد أن استقروا وكانت تقع على طريق القوافل التي تربط بين جنوب الجزيرة العربية الذي ينتج التوابل وبين مراكز الاستهلاك والبيع في الشمال.

* بدأ عهد ملوك الانباط منذ ١٦٩ ق.م وقد بلغت مملكة الانباط ذروتها في عهد الحارث الرابع (٩ ق.م – ٤١م) الذي تابع سياسة اسلافه في نشر الحضارة الرومانية وكانت تضم في اقصى اتساع لها جنوب فلسطين وشرقي الاردن وسوريا الجنوبية الشرقية وشمال الجزيرة العربية.

* كانت حضارة الانباط عربية في لغتها آرامية في كتابتها وسامية في ديانتها ويونانية رومانية في فنها وهندستها المعمارية.



مرّ أبو الأسود طرق سمعه صوت الرجل يقرأ قول الله تعالى: «إن الله بريئ من المشركين ورسوله» بكسر اللام. فاستعظم أبو الأسود ذلك وقال: عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله. وثارت حميته. وذهب الى زياد وقال له: يا هذا قد أجبتك الى ما سألتنيه ورأيت أن أبدأ باعراب القرآن فابغني كاتباً وابعث اليّ ثلاثين رجلاً كي أختار منهم، فأرسلهم اليه، فجعل يختبرهم حتى وقع خياره على رجل من بني **عبد القيس** فقال له: خذ المصحف وصنفاً يخالف لون المداد الذي كتب به المصحف واستمع اليّ. فإن وجدتني أفتح شفتيّ عند النطق بحرف فاجعل نقطة فوقه. وإذا أضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف. فإذا كان تنويناً فاجعل النقطة نقطتين. ثم بدأ أبو الأسود – يقرأ والكاتب يسجل. **وكان المداد الذي سجل به المصحف أسود اللون والمداد الذي استعمل في الشكل أحمر اللون.** وظلت هذه الطريقة مستعملة حتى جاء **الخليل بن أحمد** فيسر للناس الكتابة ووضع للشكل رموزاً أوضح. فرسم **الضمة** واواً صغيرة فوق الحرف. **والكسرة** ياء صغيرة تحت الحرف. **والفتحة** ألفاً مسطوحة فوق الحرف. ووضع **لهمزة القطع** رأس عين. وجعل **لألف الوصل** رأس صادٍ. وشاعت طريقة الخليل وانتشرت.

النقاط فوق الحروف

أما النقط فوق الحروف فقد قام بوضعها **نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر** تلميذا أبي الاسود واستجابة للحجاج بن يوسف الذي أفزعه كثرة التصحيف والتحريف وخاصة في القرآن الكريم، فقد قرأ بعضهم: «عذا بي أصيب به من أساء» بدلا من أشاء. وقرأ آخر: «انما المشركون نحس» بدلا من نجس. وقرأ بعضهم: «ومن الشجر ومما يغرسون» بدلا من يعرشون.

وضع عاصم وزميله يحيى نقطا تميز الحروف المتشابهة، ووضعوها باللون الاسود حتى تكون مخالفة للون الشكل الاعرابي. وبذا استقامت ألسنة الناس وقرأوا الكتابة العربية في سهولة ويسر. وفي الواقع أن نقط الحروف من الامور الهامة التي ادخلت على الكتابة العربية.

ولما رست قواعد الاسلام وامتدت الفتوحات شرقا وغربا، وسيرت الجيوش، وانشئت الدواوين، أصبحت الحاجة ماسة الى وجود عنصر جديد يساير هذا التطور السريع المطرد. أصبحت الدولة في حاجة الى فئة من الكتاب المجيدين للكتابة. يدونون الرسائل، وينسخون الكتب. فاتجهت عناية الخلفاء الى تجويد الخط، ونشأت بذلك نهضة خطية عظيمة حيث أقبل العامة والخاصة على تعلم الخط، كما اشتهر بعض الخلفاء العباسيين بالخط فقال شاعر يمدحه:

يخطط مولانا خطوط بن مقلة
فينظمها نظم اللآلئ في السلك
فهذا عليه بهجة الخط وحده
وهذا عليه بهجة الخط والملك

وقامت **الكوفة** بتجويد الصورة المربعة وأبدعت فيها حتى عرفت بها، كما ساهمت في تجويد **الخط الدائري** الذي استعمل في التدوين العادي. وكان **للبصرة** خطها اللين ونافست فيه الكوفة. وانتقلت العناية بالخط الى **دمشق** في عهد الامويين. ونال الخط نصيبا من التجويد في شمال **الشام** وعرف به الخط النسخ في صورته المعروفة لنا الآن.

واطرد تجويد الخط. ويبدو لي أن انصراف المسلمين عن الرسم والتصوير لقرب تحررهم من عبادة الأصنام جعلهم يصرفون طاقاتهم الفنية في الخط فصار فنا من الفنون الجميلة التي أبدع العرب فيها وأجادوا. وكان الخط يرفع من شأن صاحبه حتى يصل به أحيانا الى مرتبة الوزارة. قال عبد الحميد الكاتب: «أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم». وأنشد بعضهم:

ورب مقال صيغ من معدن النهى
فضاع لسقم الخط ما ضاء وابتسم

في العصر العباسي

وبلغ الخط العربي ذروة الجمال في **العصر العباسي**، فظهر فيه مختصون وعلى رأسهم **محمد بن علي بن الحسين بن مقلة** وكان وزيرا **للخليفة المقتدر بالله، ثم للقاهر بالله، ثم للراضي بالله**. وكان من رواد هذا الفن الجميل. وضع له أصوله ومقاييسه وأبعاده. وبلغ من الجمال خطه أن كتب كتاب **هدنة بين المسلمين وبين الروم** فوضعوه في **كنيسة القسطنطينية**. وكانوا يخرجونه لاعجابهم به في الأعياد ويجعلونه من ضمن زينتهم.

ولابن مقلة رسائل موفقة، وتصانيف جيدة في قواعد الخط ورسومه، وعنه انتشر هذا الفن البديع في الخافقين، وكتب المصحف مرتين، وعاش ردحا من الزمن في أمن وسلامة، ورغد من العيش حتى وشى به أحد حاسديه الى الخليفة الراضي فأمر بقطع يده اليمنى أي أنه قطع يدا كانت أداة من أدوات الفن والجمال في دولته، وهذا هو الحمق في أبشع صوره، والغباء في أجلى معانيه. وقال رحمه الله متحسرا: «يد خدمت بها الخلفاء، وكتبت بها القرآن مرتين، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وانا لله وانا اليه راجعون». ثم أنشد:

اذا ما مات بعضك فابك بعضا
فان البعض من بعض قريب

ومن قوله المؤثر في نكبته:

ما سئمت الحياة لكن توثقت
بأيمانهم فبانت يميني
بعت ديني لهم بدنياي حتى
حرموني دنياهم بعد ديني
ولقد حطمت ما استطعت بجدي
حفظ أرواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش
يا حياتي بانت يميني فبيني

ومن عجب أنه بعد قطع يده كان يشد القلم على ساعده ويكتب



به. ولكن الخليفة تمادى في تعذيبه فقطع لسانه وحبسه حتى مات في محبسه في سنة ٣٢٣ هـ.

واتسع الملك الاسلامي، وازدهرت الحضارة، فاتسع نطاق العلوم والفنون، ونسخت الكتب والمخطوطات، وتنافس أهل الأمصار في ذلك. **وبلغ من عناية الخلفاء بهذا الفن أنهم لم يقبلوا في الدواوين الا من يحيط باللغة والخط، بل ان كثيرا من وزراء الدول الاسلامية وامرائهم بل وخلفائهم كانوا خطاطين مهرة حذاقا**. حتى اذا انحل نظام الخلافة، ودرست معالم **بغداد بعد الغزو التتري** انتقل العلم والادب والكتابة والخط الى مصر، وظهرت فيها نهضة خطية. كما اشتهر فيها فنانون مجيدون صار الخط على أيديهم فنا من أبدع فنون الجمال.

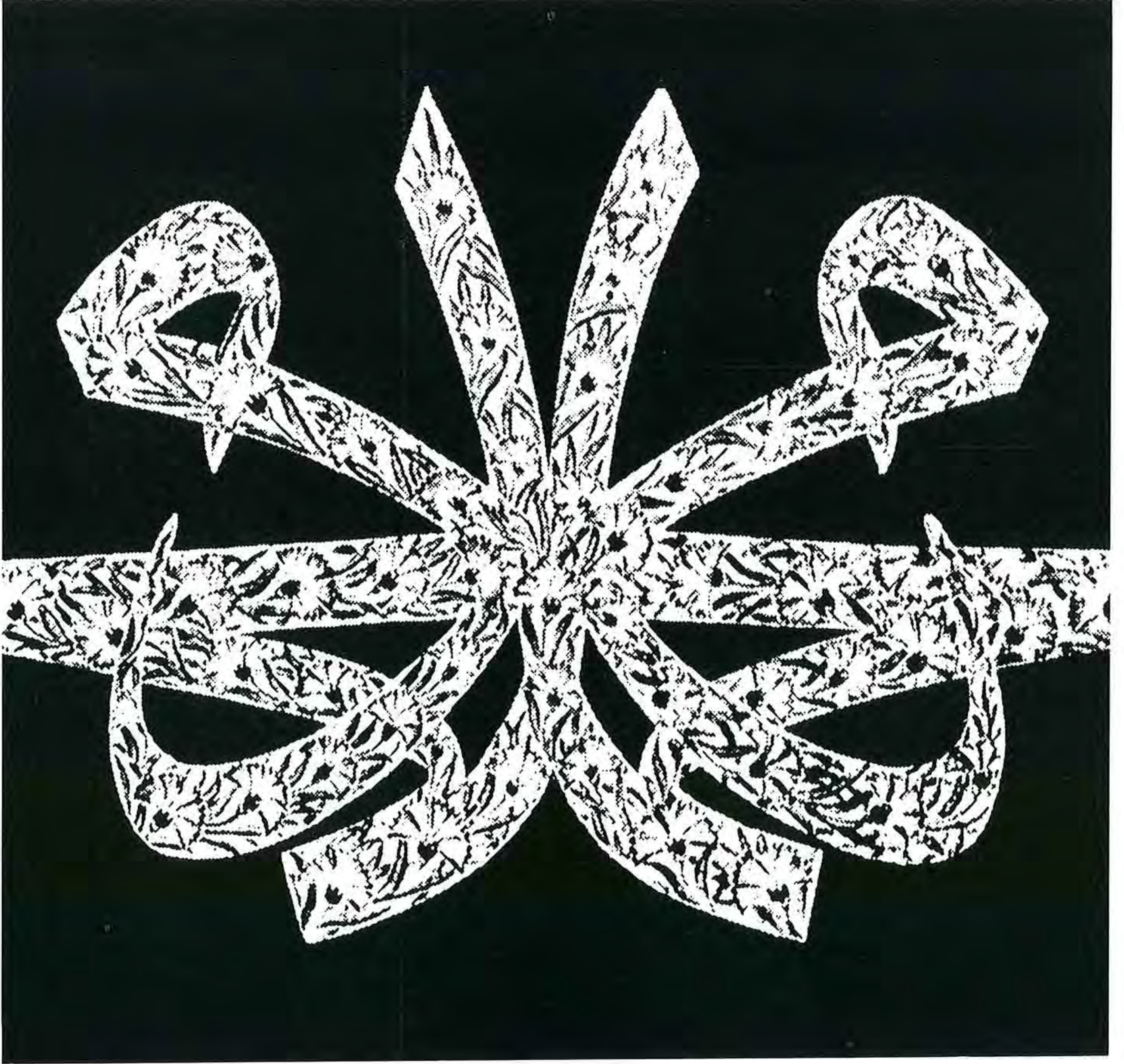
العهد الفاطمي

وفي **الدولة الفاطمية** تقدم الخط تقدما عظيما ونافست فيه الدولة العباسية: ذلك أن الفاطميين كانوا يميلون الى الترف والزينة والتجميل، فحلوا بالخط قصورهم ومساجدهم وعروشهم وتحفهم. وكان له في عهدهم مدارس ومدرسون. وبقيت تلك المدارس تؤدي رسالتها حتى **عصر المماليك**.

وأقبل المماليك على الخط يرعونه ويهتمون به حتى نبغ فيه كثيرون من بينهم بعض السلاطين.

في العهد العثماني

ثم جاء الاحتلال العثماني، وأصبحت مصر خاضعة للعثمانيين



فنقل السلطان مهرة الصناع والفنانين الى **تركيا** ومن بينهم مشاهير الخطاطين فأقفرت مصر من الخطاطين الممتازين وانتقل فن الخط الى تركيا حيث ازدهر ازدهارا عظيما. فأقبل عليه السلاطين والخاصة وأجادوه اجادة تامة. وزادوا عليه **«الديواني»** و **«الرقعة»** **وكان السلطان محمود الثاني** من أئمة الخطاطين ولا تزال آثاره الخطية في **دار الكتب المصرية** تشهد له بالسبق في هذا الفن الجميل.

وكان للخطاطين المجيدين مكانة مرموقة في الدولة، فمنحوا **الالقاب، وأعطوا الجوائز** القيمة. وبلغ بعضهم حد الاعجاز في اتقان الخط **كيساري افندي، ومصطفى راقم، والحافظ عثمان، وعبد الله زهدي** وغيرهم. وقد تركوا آثارا فنية تقف أمامها الآن مبهوتين لروعتها وجمال تنسيقها كتلك المصاحف المذهبة، والآيات القرآنية المنقوشة على بعض الجدران **كسبيل أم عباس بالقاهرة**.

وأنشئت أول مدرسة لتعليم الخط والنقش والتذهيب في استانبول عام ١٣٢٦ هـ. ولكن بعد زوال ملك آل عثمان وقيام الجمهورية التركية برئاسة **مصطفى كما أتاتورك**، اتجه الاتراك اتجاها غربيا خالصا، وفضوا عنهم ثياب العروبة، وباعدوا بينهم وبين كل ما هو عربي، فاصطنعوا في كتاباتهم **الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية**. فقضي على الخط ودالت دولته في



تركيا.

ومرة أخرى يعود الخط العربي الى مصر ويستقر فيها، ليعيش في كنفها آمنا مطمئنا يلقى الرعاية الكافية، والتقدير الحق لجماله وروعته.

دور الاستعمار

وقد عرف المستعمرون أنهم اذا قضوا على الخط العربي، كان ذلك قضاء على أكبر مقوم من مقومات عروبتنا فأوعزوا الى بعض أولي الأمر من عملائهم في مصر أن يستبدلوا بالحروف العربية الحروف اللاتينية. واستجاب لهم أولئك العملاء، فقاموا ينادون بفكرتهم الخبيثة زاعمين أن الحروف اللاتينية حروف عالمية. ولكن مقترحاتهم الشيطانية ضاعت كما تضيع صرخات الذئاب في الأرض الفلاة. وماتت الفكرة في مهدها. **ومضى الخط العربي في طريقه مزدهرا ينشر من حوله الجمال ويسجل آيات الله البينات في اطار من الجمال والروعة والبهاء.**

تعهدت مصر هذا الفن بالرعاية فأنشأت **مدرسة تحسين الخطوط العربية**. وصارت تلك المدرسة قبلة الراغبين في تعلم هذا الفن العربي الجميل من شتى البلاد العربية. وفد هؤلاء جميعا ليتعلموا الخط ثم لينشروه في بلادهم فنا عربيا خالصا.

هذا هو الخط، وهذه هي الكتابة العربية التي تمتاز على سائر الكتابات بالجمال. فحروفها قابلة للتشكيل والتحوير. فنكون منها زخارف جميلة رائعة، ونستطيع أن نكتب بها لوحات تأخذ أشكالا هندسية مختلفة تبهر العين بجمالها وروعتها. وهذا لا يتوفر في غير الحروف العربية.

هذه لمحة عابرة عن نشأة الكتابة، وكيف بدأت رسوما بسيطة بدائية ثم تطورت حتى صارت فنا جميلا يسجل الآراء والأفكار في صور جميلة أخاذة

فعلى معلمي العربية أن يتعهدوا هذا الفن الجميل، وأن يعلموه أبناءنا منذ صغرهم قائلين لهم: هذا فن آبائكم وأجدادكم، فاحرصوا عليه، وعضوا عليه بالنواجد.

الفينيقيون

* **قوم يتكلمون السامية احتلوا في فجر التاريخ (حوالي ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد) الشاطئ الشرقي من البحر الابيض المتوسط.**

* **يتشابهون لغة وثقافة مع الكنعانيين الذين كانوا يقطنون شمال فلسطين في نفس الحقبة التاريخية.**

* **اشتهروا بالتجارة والملاحة، واتبعوا نظام الدولة – المدينة وكانت اكبر مدنهم صور وصيدا، وسافروا الى افريقيا وربما وصلوا في أسفارهم الى الجزر البريطانية.**

* **من أشهر ما يمثل فن العمارة عندهم هيكل الملك سليمان.**

* **يرجع اليهم الفضل في اختراع حروف الكتابة التي اخذها عنهم الاغريق، وادخلوا عليها حروف الحركة القصيرة.**

تشاكا



قصيد درامي من عدة أصوات

تشاكا. أو **تشاكا الزولو**. بطل قومي من أبطال تاريخ جنوب افريقيا. ولقبه «**الزولو**» معناه أنه ينتمي لأقوى وأكبر قبيلة في جنوب القارة. هي قبيلة الزولو ذات التاريخ العريق واللغة المعروفة والتراث القومي والثقافي المشهود له.

ولد تشاكا في مستهل القرن الماضي طفلا غير شرعي لأحد شيوخ قبيلته الزولو. والأطفال غير الشرعيين في عرف المجتمعات الأفريقية منبوذون مكروهون. **وهنا يكمن سر طموحه وتعاسته في آن واحد**. فقد كان أخوه غير الشقيق يشتهي سفك دمه وهو بعد صبي صغير. رغبة في التخلص منه بالطبع. وكان أبوه يسيء معاملة أمه حتى طردها من قصره. وكان أخوته الآخرون لا يكفون عن محاولة التخلص منه بأي ثمن. **حتى نشأ تشاكا منبوذا مكروها**. ولكن طموحه قاده الى تربية نفسه بنفسه تربية عسكرية صارمة. فأجاد الكر والفر والطعن والرمي في سن مبكرة. ومع توالي محاولات التخلص منه استقرت في داخله رغبة انتقامية مدمرة. ساعده على سورها بنيانه المتين وعناده القاسي.

تأليف:

ليوبولد سنجور .. رئيس جمهورية السنغال

ترجمة وتقديم: **علي شلش**

في سن مبكرة قرر تشاكا أن يتصرف على هواه، كتعويض ذاتي عن النبذ والكره، وكان تصرفه كثيرا ما يتسم بالخطأ، ولكنه لم يكن يأبه لما يسمى: الصواب أو الخطأ. كان قد حدد هدفه: أن يعيش وأن يحقق ذاته بالطريقة التي تحلو له.

وهنا يتدخل العنصر الفاوستي اذا صح التعبير. اذ يلتقي تشاكا بعراف يجمع بين السحر والطب، يدعى **ايسانوزي**، الذي يبث فيه نزعات السيطرة والتملك، ويتفخ في طموحه. بل يغريه بمجد في انتظاره وعتيه يملك قبيلة الزولو ويتنبأ له بأنه سيكون ملكا عظيما على امبراطورية شاسعة، وأن ذلك سيكلفه الكثير من سفك الدماء واراقة الارواح. ويصغي تشاكا باحترام لتنبؤات ايسانوزي، ويرى في السعي اليها تحقيقا لذاته وطموحه، فيعمل من أجلها حتى يصل الى رياسة قبيلته الزولو، وعندئذ يقبل عليه ايسانوزي مرة أخرى فيتنبأ له بالقوة والفحولة بشرط ان يضحي بدم شخص عزيز عليه، حتى يستطيع ايسانوزي ان يستخدمه في تحضير الدواء الذي يحقق لتشاكا هذه القوة والفحولة. ولا يجد تشاكا – مثلما لا يجد ايسانوزي – اعز من **نوليوي** الفتاة التي احبها قلبه فيضحي بها ويقتلها بيديه غير عالم انها قد ولدت له طفلا!

وهكذا يتوسع تشاكا في تحقيق احلامه، فيجمع عددا من القبائل الصغيرة تحت لوائه، وتصبح هذه القبائل جزءا من شعب الزولو، ويصبح هو نفسه الرئيس العظيم المحمي جانبه، ويطبق صيته الآفاق، ويهدد السيطرة البيضاء في وطنه. **ولكنه يقع وهو في ذروة قوته ورجولته فريسة للاحلام المزعجة، فيترك بيته ويعيش وحيدا خارج المدينة، غير انه يستمر في نهمه للدماء، حتى يحس بدنو أجله ويعرف أن الموت قريب وأن لا مهرب منه. وتتكاثر في أحلامه ارواح قتلاه الذين لا حصر لهم، ويضيق اخوته الخناق عليه حتى يتمكنوا منه ويقتلوه ويلقوه للضباع، ولكن الضباع لا تمسه وتكتفي بالدوران حول جثته.**

هذه القصة التي جردناها من تفاصيلها وملامح البطولة فيها، تناولها عدد كبير من أدباء القارة جنوب الصحراء، سواء ممن يكتبون باللغات المحلية مثل **توماس موفولو** الذي استعان بها في تأليف روايته «تشاكا» بلغة **سوتو** وترجمت الى الانكليزية عام ١٩٣١، أو ممن يكتبون باللغات الأوربية مثل **ليوبولد سنجور** الذي استعان بها في تأليف هذا القصيد الدرامي باللغة الفرنسية.

والقصيد الدرامي الذي سنطالعه الآن جزء من ديوان «**حبشيات**» لشاعر السنغال ورئيس جمهوريتها **ليوبولد سنجور**، وقد صدر الديوان عام ١٩٥٧.

لقد قسم سنجور قصيده الى قسمين، كل قسم عبارة عن أغنية بطلها تشاكا، ويشاركه في الأغنية الأولى صوت أبيض يمثل السيطرة البيضاء، ويشاركه في الأغنية الثانية كورس يمثل شعبه وقومه. **وقد صور سنجور تشاكا كبطل قومي ومقاتل من اجل رفع الظلم والسيطرة عن كاهل شعبه، ولكنه لم يغفل وجهات النظر الاخرى، ولا سيما وجهة نظر البيض الذين اعتبروا تشاكا سفاحا مصاصا للدماء، ولم ينس سنجور ان يستعين بالعراف ايسانوزي الذي قاد تشاكا في رحلته مع المجد وانحداره الى الموت، كما لم ينس ان يستعين بنوليوي فصورها من زاويتين، زاوية تشاكا وزاوية قومه انفسهم. بل ان سنجور قد استعان بالأسطورة والتراث الشعبي في تتبع مراحل صعود تشاكا وسقوطه.**

الأغنية الأولى

(في الخلفية أصوات طبول جنائزية)

صوت أبيض: هاأنت، يا تشاكا، مثل النمر أو الضبع ذي



الفم المشئوم مسمر في الأرض بثلاثة رماح نحيلة. ينبح من أجلك الخلاء. ها هو ذا هواك. فعسى أن يكون نهر الدم الذي تسبح فيه كفارة لك.

تشاكا

(بهدوء) نعم، اني هاهنا بين شقيقين، بين خائنين، لصين، احمقين ... أواه! لست مثل الضبع ولكني مثل الليث الأثيوبي ذي الرأس المنتصب.

هاأنا ذا الى الأرض أعود. ما أبهاها مملكة الطفولة!
وهاهي ذي نهاية هواي.

الصوت الأبيض: تشاكا، انك ترتجف في أقصى الجنوب والشمس في سمتها تنفجر بالضحك.
أسود في رائعة النهار يا تشاكا، لا تسمع هديل الحمام.
لا شيء سوى النصل اللامع في صوتي وهو يخترق ويخترق قلوبك السبعة.

تشاكا: أيها الصوت، أيها الصوت الأبيض الآتي من وراء البحر، ان عيني الداخلية تضيء الليل الماسي.
لا حاجة لنهارك الزائف. فصدري هو الدرع التي يتحطم عليها برقك. ان ندى الصبح مستقر على أشجار التمر الهندي، وشمسي تطلع في أفق الزجاج. اني اسمع هديل نوليوي عند الظهيرة. فاتهلل حتى نخاع عظامي.

الصوت الأبيض: هاهاها يا تشاكا. احسنت لنفسك غاية الاحسان اذ تتحدث عن نوليوي، الفتاة الجميلة التي كنت ستتزوجها.
قلبها مثل الزبدة، عيناها بتلتا زنبقة الماء، كلماتها رائقة كماء نافورة. لقد قتلتها كيما تهرب من ضميرك.

تشاكا: أو تحدثني عن الضمير؟
نعم، قتلتها، وهي تروي حكايات الأراضي الزرق.
نعم، قتلتها! لم تهتز يدي.
ومضة من الصلب النقي ومضت في دغل ابطها العطر.

الصوت الأبيض: اذن فأنت تعترف بذلك يا تشاكا! هل أعترفت لملايين الناس الذين قتلتهم.
للفرق الكاملة من الحبالى والأطفال الرضع؟
أنت، ياعائل النسور والضباع الأول، يا شاعر وادي الموت.
لقد كنا نبحث عن محارب فما وجدنا سوى قصاب.
صارت الوهاد سيول دم. وراحت النافورة تطلق دماً.
هاهي الكلاب المتوحشة تجعل الموت يعوي في السهول التي يحوم فوقها صقر الموت.
ايه يا تشاكا الزولو، يا أسوأ من الطاعون من نار الغابة المتطايرة.

تشاكا: هذه قوقأة دجاج في حظيرة، أكلة دخن في قفص كظيم الصوت. نعم، مائة فرقة تضوي، ريشات من الحرير والمخمل، تلمع بالشحم مثل النحاس الأحمر.
لقد اعملت الفأس في الخشب الميت، وأوقدت النار في الغابة العقيم، مثل أي فلاح حريص. وحين هطلت الأمطار وحان أوان البذار كان الرماد جاهزاً.

الصوت الأبيض: ماذا؟ لا تفه بكلمة ندم...

تشاكا الشر يستحق الندم.

الصوت الأبيض: أشر شر هو أن تسرق حلاوة الأنفاس.

تشاكا: أشر شر هو ضعف الخوف.

الصوت الأبيض: ضعف القلب مغفور.

تشاكا: ضعف القلب مقدس....
أواه! انك تظن اني قط لم احبها.
فتاتي الزنجية التي تضوي بزيت النخيل، نحيلة كالريشة، فخذاها فخذا ثعلب ماء مخفل، صنعا من ثلوج كليمانجارو، نهداها حقلا أرز يانعان، تلان من أشجار السنط في الريح الشرقية. نوليوي بذراعيها الأفعوانيتين، وشفتيها شفتي الأفعى.
نوليوي، كانت عيناها كوكبتين من النجوم..
لا حاجة بها الى القمر أو الطبلة.
ولكنما صوتها رأسي ونبض الليل المحموم...
أواه! وتظن أني قط لم أحبها!
ولكنما هاتيك السنون الطويلة، هذا التوقف في عجلة السنين. هذا الغم الذي يخنق كل تصرف.
هذا الليل الطويل بلا نوم.. كنت على وجهي أهيم مثل فرس من نهر الزامبيزي، وأعدو واندفع نحو النجوم.
وقد اقض مضجعي عذاب لا اسم له، مثل عذاب الفهد في الفخ. ما كنت سأقتلها لو كنت أحبها أقل مما أحببتها.

كان عليّ أن أهرب من الشك.
من سموم لبن فمها، من طبلة ليل دمي النابضة.
من احشائي المملؤة بالحمم المتوهجة، من مناجم اليورانيوم في قلبي الكامنة في اعماق سوادي.
من حب نوليوي
من حب أهلي ذوي البشرة السوداء.

الصوت الأبيض: اسمع رأيي يا تشاكا، أنت شاعر ... أنت متحدث عذب الحديث، أنت سياسي.

تشاكا: لقد قال لي الحكماء:
«انهم يهبطون بالمساطر والمثلثات، بالبوصلات وآلات قياس الارتفاعات.
بشرة بيضاء وعيون صافية، شفاه نحيلة وكلام صريح
وعلى بواخرهم يكمن الرعد».
لقد صرت عاقلاً، صرت ذراعاً لا تهتز، ولم أك محارباً ولا قصاباً.
وكما قلت أنت، فأنا سياسي ... أما الشاعر فقتلته ... ولم يبق سوى رجل عمل.
رجل فحسب، مات قبل الآخرين، أولئك الذين ترثى لهم.
فمن ذا يفهم هواي ؟

الصوت الأبيض: يا لك من رجل ذكي، ذاكرته مصابة بفلتات غير عادية.
ولكن اصغ يا تشاكا وسوف تتذكر.

صوت العراف ايزانوسي (من بعيد)
أقدح زناد فكرك يا تشاكا. لست أفرض عليك شيئاً. ما أنا إلاّ عراف وصاحب صنعة.
ليس ثمة قوة تكتسب بغير تضحية. والقوة المطلقة تتطلب دم أعز الناس.

صوت: **(كأنه لتشاكا، من بعيد)**: ينبغي اذن أن تموت ... ليس ثمة طريقة أخرى. غداً يتلألأ دمها على عقاقيرك مثل اللبن حين يتلألأ على جفنات أكلة الكسكس.
أيها العراف، اغرب عن ناظري. فحتى المحكوم عليه يمنح بضع ساعات كيما ينسى.

تشاكا: **(مستيقظاً فجأة)**: كلا، كلا، أيها الصوت الأبيض. لقد عرفت كل شيء بما فيه الكفاية.

الصوت الأبيض: أعرف أن هدفك كان القوة.

تشاكا: كانت وسيلة...

الصوت الأبيض: كانت متعتك...

تشاكا: بل عذابي لنفسي.
لقد تراءى لي في حلم أن جميع الأراضي حتى أقصى ارجاء الأفق قد خضعت للمسطرة والمثلث والبوصلة.
وأن الغابات اجتثت والتلال سويت والوديان والأنهار غلت.
رأيت الأراضي حتى أرجاء الأفق الأربعة تحت شبكة أعمدة الكهرباء وقد خططتها الطرق الحديدية الثنائية.
رأيت شعب الجنوب وهو يعمل مثل تل من النمل صامت
والعمل مقدس، ولكنه لم يعد لفتة وايماءة. ولم تعد الطبلة والصوت يصنعان النغم للفتات الفصول
ان شعوب الجنوب تعمل في الترسانات والموانئ والمناجم والمطاحن وحين يهبط المساء تعزل في زرائب البؤس
هذه الشعوب تكوم جبالاً فوق جبال من الذهب الأسود والذهب الأحمر ... وتموت من الجوع.
رأيت ذات صباح، غابة من الرؤوس الخشبية، خارجة من ضباب الفجر.
اذرعها متدلية وبطونها خاوية، وعيونها وشفاهها التي بغير حصر تتوسل للشيء المستحيل.
أفكان بوسعي أن أبقى أصم أمام هذه العذابات، وهذا الخزي ؟

الصوت الأبيض: صوتك مصبوغ بجمرة الكراهية يا تشاكا.

تشاكا: ما كرهت شيئاً سوى الظلم.

الصوت الأبيض: مصبوغ بجمرة الكراهية التي تحرق القلب.
ان ضعف القلب هو المقدس لازوبعة النار.

تشاكا: ليس من الكراهية أن يحب المرء شعبه
اني اقول أن ليس ثمة سلام في ظل السلاح،

	ليس ثمة سلام في ظل الظلم، ليس ثمة اخوة بغير مساواة. ما أردت إلاّ أن يكون كل الناس أخوة.
الصوت الأبيض:	لقد أثرت الجنوب بأسره ضد الرجل الأبيض...
تشاكا:	ها أنت ذا، أيها الصوت الأبيض، أيها الصوت المغرض، يا صوت الدجل.

يا صوت القوي على الضعيف، يا ضمير الآتي من وراء البحار. اني لم اكره ذوي الآذان القرنفلية. رحبنا بهم بكلمات سارة ومشروبات لذيذة.

كانوا يريدون البضائع، فأعطيناهم كل شيء: العاج والعسل، وجلود الحيوان غير المدبوغة التي بألوان قوس قزح، والتوابل والذهب والأحجار الكريمة والببغاوات والقردة.

هل لي أن أتحدث عن هداياهم الصدئة وخرزاتهم المبهرجة ؟

نعم، عندما بدأت أعرف بنادقهم صرت عاقلاً، صار العذاب قدري، عذاب الصدر وعذاب الروح.

الصوت الابيض: ان الرضا بالعذاب بقلب مطيع هو الخلاص...

تشاكا: وقد رضيت بعذابي...

الصوت الأبيض: بقلب نادم.

تشاكا: حباً في شعبي ذي البشرة السوداء.

الصوت الأبيض: حب نوليوي ونؤومي وادي الموت ؟



تشاكا: حباً في نوليوي. أينبغي أن أقولها مرة أخرى ؟ كان كل موت يعني موتي. كان علينا أن نجهز المحاصيل المنتظرة وأحجار الرحي كي نفصل الدقيق الأبيض من رقة القلوب السوداء.

الصوت الأبيض: كثير من الذنب مغفور لأولئك الذين عانوا كثيراً...

الأغنية الثانية
(طبلة حب، مع رسوم متحركة)

تشاكا: **(وقد اغلق عينيه للحظة، ثم يفتحها، ويحدث لفترة طويلة ناحية الشرق، ووجهه الرزين متألق)**

الليل آت. ليلي الجميل والقمر عملة ذهبية.

اني أسمع هديل نوليوي في الصباح، نوليوي التفاحة بلون القرفة التي تتدحرج على العشب العطر.

الكورس: انه يغادرنا. يا لسواده. لقد آن أوان الوحشة. فلنغني بلغة الزولو، ولتواسيه أصواتنا.

بايبتي بابا! بايبتي أو زولو! (١)

قائد الكورس: ما أبهاه. لقد آن أوان الميلاد من جديد لقد اختمرت القصيدة في حديقة الطفولة، وقد آن أوان الحب.

تشاكا: حبيبتي، لقد انتظرتك طويلاً من أجل هذا، تقت طويلاً لليلة الحب هذه التي بلا نهاية، قاسيت كثيراً كثيراً

مثل العامل وقت الظهيرة اذ يحيي الأرض الباردة

قائد الكورس: انها ساعة الحب في اللحظة التي تأتي قبل ذلك

ها هو ذا تشاكا وحيداً، في ابهته السوداء، في نحوله الأسود، في عذاب الفرح ذاك.

الكورس: يابيتي بابا! يابيتي أوبابيتي!

تشاكا: ولكنما أنا لست القصيدة، لست الطبلة، لست النغم.

---

(١) تحية تقال لزعماء قبيلة الزولو منذ أيام تشاكا.

انها تشل حركتي، تنحت جسمي كله كتمثال من تماثيل قبيلة «بوليه»[٢]
كلا، لست القصيدة التي تنبع من الرحم الرنان
كلا، لست اصنع القصيدة، ولكني أنا الذي يصحبها
لست الأم ولكني الأب الذي يحتويها بذراعيه، ويهدهدها وبرقة يحدثها.

قائد الكورس: يا تشاكا الزولو، لم تعد الليث الهصور الذي تحرق عيناه القرى من على بعد.

الكورس: بابيتي بابا! بابيتي أوبابيتي!

قائد الكورس: لم تعد الفيل الذي يدهس البطاطا، ومن فرط الزهو يقتلع النخيل من جذوره.

الكورس: بابيتي بابا! بابيتي أوبابيتي!

قائد الكورس: لم تعد ذكر الجاموس الفظيع، الأفظع من الليث والفيل ذكر الجاموس الذي يحطم درع الشجاع، فيصرخ: «**أبتاه**» وتصرخ مؤخرة الدهماء: «**أماه**».

الكورس: بابيتي بابا! بابيتي أوبابيتي!

تشاكا: حبيبتي، طالما انتظرت من أجل هذا.
طالما همت على وجهي فوق سهول عهد الشباب.
(وكان لغيري الناي وهمسات الحبيب)
قضيت وقتاً طويلاً في زيارة صوامع الحكماء البعيدة.

الكورس: ايها الزولو، يا من لقنت التعاليم بطريقة قاسية، يا من ضمخت بزيوت الرجولة، يا ابن الوشم الصبور للقبيلة.

تشاكا: طالما شاركت في عزلة مشاورات القبيلة وكثيراً ما كافحت في عزلة الموت ضد وظيفتي. كان ذلك محك الشاعر ومطهره.

قائد الكورس: أنت الزولو، بك ننشأ ونكتنز مثل القمح، أنت فتحتا الأنف اللتان نستمد من خلالها الحياة القوية
أنت المؤيد بكل معنى الكلمة. تحمل كل الشعوب ذات البشرة السوداء.

(٢) بوليه: قبيلة تعيش في منطقة ساحل العاج .. ولها شهرتها في النقش والحفر على الخشب.



الكورس: بابيتي بابا! بابيتي أو زولو!

قائد الكورس: أنت اللاعب الرياضي. لقد سقط المئزر وها هم المقاتلون الموتى يرونك.

الكورس: بابيتي بابا! بابيتي أو زولو!

قائد الكورس: أني أدعوك: القوي، الخير كريم عنصرك
عاشق الليل بشعره المؤلف من النيازك
مبدع كلمات الحياة
شاعر مملكة الطفولة.

الكورس: **فليمت السياسي وليعش الشاعر!**

تشاكا: أيتها الطبلة، دقي واصرفي الساعة التي لا توصف،

تشاكا

تغني بالليل، تغني بنوليوي
وأنتم، أيها الكورس، كونوا حرساً، كونوا لنا حارساً للحب.

قائد الكورس: نحن هنا، نقف ببوابات الليل، نشرب في قديم الحكايات ونمضغ الجوز الأبيض.
لن ننام، آه! لا ننام انتظاراً للأنباء الطيبة.

الكورس: ستموت نوليوي في الطبقة الطرية الرقيقة من جسمها وفي الفجر تولد الأنباء الطيبة.

تشاكا: يا ليلي، يا ليلي الأسود، يا نوليوي يا حبيبتي!
لقد مات ذلك الضعف العظيم تحت يديك المضمختين بالزيت ذلك الضعف الذي يعقب الألم. أما الآن فدفء راحتيك على صدري، وعطره النفاذ يغذي عضلاتي والبخور في حجرة العرس يضيء للقلب الرؤية.
يا ليلي، يا ليلي الأشقر، المتلألئ على التلال رطب أنت في سرير اليواقيت. ليلي الأسود يا من فيه سر الماس
يا جسد الضوء الأسود، والجسم نصف شفاف مثل صباح أول يوم. ولكنها غادرتني ... ذلك العذاب الذي في الحلق، حين كنا أما أحدنا الآخر.
وفجأة بهرتنا عينا الحبيب وأخرستنا
أواه! أن النفس تعري حتى الجذر والصخرة.
ولكنها غادرتني، ذلك العذاب الذي تحت يديك المضمختين بالزيت.

الكورس: بايبتي بابا! بايبتي أو زولو!

تشاكا: أيتها الطبلة القصبية، أيها التغم بلا صوت، الذي يصنع الليل وجميع القرى البعيدة فيما وراء الغابات والتلال، فيما وراء النوم وأرض المستنقعات ... وأنا الذي يقوم بالصحبة، أنا الركبة التي في جانب الطبلة، أنا العصا المنقوشة التي تدق على الطبلة.
أنا القارب الذي يشق الموجة، واليد التي تبذر السماء والقدم التي في بطن الأرض،
أنا المدقة التي تتزوج القوس الشجي الرخيم.
أنا عصا الطبلة التي تضرب جلد الطبلة وتحرثه
من ذا يتكلم عن الرتابة؟ ان الفرح رتيب والجمال رتيب والخلود سماء بلا سحاب، غابة زرقاء بل صيحة، صوت وحيد تماماً ولكنه حقيقي.
فلتستمر الحركة الرنانة العظيمة، والعمل المموسق، فالعرق لآلئ من الندى!
كلا، سوف أموت من الانتظار...
من ذلك الليل الأشقر .. يا ليلي، يا ليلي الأسود، يا نوليوي يا حبيبتي ومن الطبلة عسى أن يظهر عالم جديد وشمس جديدة.

(ينهار تشاكا بهدوء، يموت)

قائد الكورس: أيها الفجر الأبيض، الفجر الجديد الذي يفتح عيون شعبي.

الكورس: بايبتي بابا! بايبتي أوبايبتي!

قائد الكورس: أيها الندى، يا أيها الندى الذي يوقظ جذور شعبي الفجائية.

الكورس: بايبتي بابا! بايبتي أوبايبتي!

قائد الكورس: ها هي ذي الشمس في سمتها هناك تغمر كل شعوب الأرض.

الكورس: بايبتي بابا! بايبتي أوبايبتي!

(يعود الكورس الى خلف الستار، وهو يردد السطر الأخير)

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١- قيمة المسابقة عشرة الاف ريال سعودي .. موزعة على ثلاث جوائز على النحو التالي:
أ) الجائزة الاولى ٥٠٠٠ ريال
ب) الجائزة الثانية ٣٠٠٠ ريال
جـ) الجائزة الثالثة ٢٠٠٠ ريال

٢- المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وأرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الأسم ثلاثيا او رباعيا - ان امكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة الى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣- ترسل الاجابات على العنوان التالي:
(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص.ب (٣) المسابقة)، مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج.

٤- أية اجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت اليها.

٥- ننصح بمتابعة اعداد المجلة لان أغلب اسئلة المسابقة سوف يجدها القاريء في ثنايا المواضيع المنشورة فيها.

٦- من حق القاريء ان يشترك باسمه في المسابقة الواحدة اكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

وهناك سبع جوائز اخرى قيمة كل جائزة اشتراك في المجلة لمدة عام.

السؤال الاول:

ما هو الفرق بين النعت .. والوصف؟

السؤال الثاني:

ما هي أول مركبة حفرت خندقاً على سطح القمر؟

السؤال الثالث:

الاسطرلاب .. واحد من اختراعات العرب المسلمين .. من هو مخترعه .. وما هي استخداماته؟

السؤال الرابع:

اين تقع هذه الشلالات:

اينجيل - جويري - كوفري - فيكتوريا - توجيلا

السؤال الخامس:

هذه صفات لعدد من الشعراء العرب .. والمطلوب ذكر الاسماء الحقيقية لهؤلاء الشعراء:

(المرَقِّش - صريع الغواني - المتلمِّس - عويف القوافي - ذو الرمة - تأبط شراً).

السؤال السادس:

من هو مخترع الفانوس السحري؟

السؤال السابع:

من اين يستخرج الفلين؟

السؤال الثامن:

المعروف ان القارة القطبية الجنوبية اكثر اصقاع الأرض برودة .. كم تبلغ درجة الحرارة فيها ليلاً؟

السؤال التاسع:

اذكر اسماء مؤلفي الكتب التالية:

الديوان - تاج العروس من جواهر القاموس - صفة جزيرة العرب - الحيوان - لحن العامة - الجامع لمفردات الأدوية - عجائب المخلوقات.

السؤال العاشر:

«موضوع خاص» أحد أبواب مجلة الفيصل المصورة بالالوان .. ما هي المواضيع التي نشرت في هذا الباب اعتباراً من العدد الأول الى العدد التاسع.

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

(العدد العاشر)

الاسم: ....

المهنة: ....

العنوان: ....

دائرة المعارف

ا

الأزهر (جامع): ـــــــــــــــ

يعتبر الجامع الأزهر من الجوامع الكبيرة وأقدمها في العالم الاسلامي وقد أنشأه **الفاطميون** بعد ان فتحوا **مصر** وأسسوا مدينة **القاهرة** سنة ٣٥٨هـ ليكون مسجدا للعبادة ثم ما لبث ان اتخذ مدرسة جامعة تدرس فيها العلوم الدينية وقد بدأ القائد **جوهر الصقلي** في بناء الازهر في الرابع والعشرين من جمادي الاولى سنة ٣٥٩هـ وأتم بناءه في سنتين.

وقد جدد بناء الجامع الازهر عدة مرات في عهود مختلفة.

ب

بريد الحجاز (جريدة): ـــــــــــــــ

صدرت عام ١٣٤٣هـ في **مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية** صاحبها ورئيس تحريرها المسؤول **(محمد صالح نصيف)** وكانت تصدر يومي الاربعاء والاحد من كل اسبوع مؤقتا **وأول عدد** صدر منها كان في يوم الاربعاء الموافق ٢٩ ربيع الثاني من عام ١٣٤٣هـ.

توقفت عن الصدور بعد العدد «٥٦» في جمادي الاولى سنة ١٣٤٤هـ.

ت

تشريح (علم): ـــــــــــــــ

يعتبر علم التشريح أساسا لسائر فروع **الطب** كلها بل هو في الحقيقة **العمود الفقري للعلوم الطبية** الذي لا يمكن الاستغناء عنه فهو اول علم يستقي من حياضه طالب الطب ليستطيع تفهم الفرع الذي يرغب التزود منه.

وعلم التشريح يوضح لنا بنيان **جسم الانسان** ويفسر لنا وجوهه المختلفة من حيث انسجة الجسم وتركيب الاعضاء وعلاقات هذه الانسجة بالاعضاء. كما يفسر ارتباط بعضها ببعض وطرق تماسكها وتعاون بعضها مع بعض وخصائص كل منها والدور الذي يقوم به كل عضو.

ث

ثعلب: ـــــــــــــــ

ابو العباس احمد بن يحي الشيباني.. **لغوي ونحوي** ولد سنة ٢٠٤هـ في **بغداد** – صار اماما **للكوفيين** وحذق نحو **البصريين**. الف عدة كتب في **اللغة والنحو والالفاظ والقرآن** وشرح بعض الدواوين الشعرية اشهر كتبه **(المجالس)** وهو كتاب نفيس لما يشتمل عليه من النحو واللغة والاخبار والامثال توفي سنة ٢٩١هـ.

ج

الجزر البريطانية: ـــــــــــــــ

هي عبارة عن **انجلترا واسكتلندة وويلز وايرلندا** وبعض الجزر الصغيرة حول الساحل وهي جزء من قارة **اوروبا** والبحار التي تحيط بها قليلة العمق اذا قيست بعمق المحيط وتتكون **بريطانيا** من انجلترة واسكتلندا وويلز ويطلق اسم المملكة المتحدة على هذه البلاد الثلاث مضافا اليها ايرلندا الشمالية أما بقية ايرلندا فهي جمهورية مستقلة.

ح

الحماسة (كتاب):

لأبي تمام حبيب بن اوس الطائي المتوفى سنة ٢٣١ هـ جمع فيه ما اختاره من أشعار العرب ورتبه على ابواب عشرة (**الحماسة/المراثي/الادب/النسيب/الهجاء/الاضافات/السير/الملح/مذمة النساء**) واشتهر ببابه الأول وقيل في سبب جمعه انه دخل **همدان** فاغتنمه **ابو الوفاء بن مسلم** فانزله واكرمه فاصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق فغم ابا تمام ذلك وسر ابا الوفا فاحضر له خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها **كتاب** «**الحماسة**» وقد شاع هذا الكتاب واشتهر وكثر سراحه وجاء بعد ابي تمام من جمع على طريقته اشهرهم تلميذه **البحتري**

خ

الخسوف:

لا يعطي **القمر** ضوءا بذاته ولكنه يستمد ضوءه من **الشمس** وكثيرا ما يقع القمر في ظل منطقة **الارض** فتحجب الارض ضوء الشمس ويتوقف القمر عن الضياء وتعرف – ه الظاهرة (**بالخسوف الكلي**) ويحدث احيانا ان يكون مرور القمر بحافة ظل – الارض وعندئذ لا يظلم الا جزء منه ويعرف هذا (**بالخسوف الجزئي**) ولا يختفي القمر تماما حتى في الخسوف الكلي اذ يكسر الهواء المحيط بالارض جزءا من اشعة الشمس وبذلك تصل الى القمر الذي يبدو باهتا بدلا من ان يختفي.

د

الدردنيل (مضيق):

مضيق الدردنيل يصل **بحر مرمرة** ببحر **ايجة** ويبلغ طوله حوالي ٤٠ ميلا ويبلغ عرضه في اضيق موضع منه ميلا واحدا.

والدردنيل من أهم المضايق في العالم لأن جميع **السفن** التي تسافر بين **البحر الاسود والبحر الابيض المتوسط** لا بد ان تعبره والاراضي الواقعة على شاطئيه تتبع **تركيا** لهذا فانها تستطيع التحكم بهذا المضيق في الظروف الحرجة متى شاءت.

ذ

الذبحة الصدرية:

مرض يتميز بألم شديد يتركز تحت عظمة القص وسط **الصدر** أو فوق موضع **القلب** وينتشر احيانا الى **العنق والذراع** اليسرى وسببه ضيق في مجرى **الشرايين التاجية** التي توصل **الدم** الى عضلة القلب. ومن الاسباب المهيئة للمرض **البول السكري** وارتفاع **ضغط الدم والبدانة** والافراط في **التدخين والزهري وعدم الاستقرار النفسي**.

ر

الوازي:

هو ابو بكر محمد الرازي **طبيب وكيميائي وفيلسوف مسلم** ولد **بالري بايران** ودرس **الرياضيات والطب والفلسفة والفلك والكيمياء والمنطق والادب** عمل رئيسا لأطباء بيمارستانة الري فرئيسا للبيمارستان العضدي **ببغداد** ألف كثيرا من الرسائل في شتى الامراض أشهرها كتاب (**الجدري والحصبة**) ظلت مؤلفاته حجة في الطب حتى القرن السابع عشر الميلادي وتوفي سنة ٣١١هـ.

ز

زمزم:

بئر قديمة جدا حفرها **ابراهيم** لولده اسماعيل عليهما السلام عندما اسكنه **مكة** مع امه **هاجر** يستقي منها الناس في **المسجد الحرام** بجوار **الكعبة**. يشبه ماؤها المياه المعدنية. عني خلفاء الاسلام بها توسيعا وتعميقا وتطهيرا واخر من قام بذلك جلالة المغفور له **الملك عبد العزيز آل سعود**.

س

سد وادي جيزان:

أقيم هذا السد بين سلسلة من الجبال التي تنتهي غربا بسهل ساحلي صالح للزراعة على بعد **٥٠** كيلومترا شرق مدينة **جيزان في المملكة العربية السعودية** وعلى ارض ترتفع عن سطح البحر قرابة **١٣٥** مترا. ويرتفع السد في الوادي الى ٤١٫٦ مترا ليقيم حاجزا خرسانيا ضخما يبلغ طوله بين الجبلين **٣١٦** مترا ويبلغ عرض السد من قاعدته **٤٠** مترا. وقد اقيمت في قاعدة السد فتحتان مؤلفتان من انبوبين من الفولاذ يبلغ قطر كل واحدة ١٫٧٠ متر وذلك لضبط كميات المياه التي يسمح بخروجها من السد لري الاراضي الزراعية وتبلغ سعة تخزين السد ٧١ مليون متر مكعب تغطي **بحيرة** تبلغ مساحتها **١٤٠٩** من الهكتارات.

ش

شهاب:

قطعة صغيرة صلبة من المادة الكونية تدخل **الغلاف الجوي** للارض بسرعة كبيرة فتحترق بسبب الاحتكاك وتبدو خطا لامعا يبقى اثره بضع ثواني والقطع الكبيرة قد تنفجر الى وابل من الشرر فاذا كانت سرعتها بطيئة وصلت منها اجزاء الى الارض وسميت «**نيزك**».

ص

صندوق النقد الدولي:

وكالة متخصصة تابعة **للأمم المتحدة** انشئت عام **١٩٤٤**م وتأسست رسميا عام **١٩٤٥**م يضم الصندوق مجموعة من الدول الاعضاء. خصص لكل دولة حصة معينة تشترك بها في رأسماله اقصاها (**٢٧٥٠** مليون دولار) وادناها (**٥٠٠** ألف دولار) تدفع **٢٥٪** منها **بالذهب** والباقي بالعملة المحلية. وبذلك يمتلك الصندوق أرصدة من مختلف العملات يستطيع بموجبها تقديم ما تحتاج اليه الدول من عملات لتصحيح الاختلالات في موازين مدفوعاتها.

ض

ضحى الاسلام (كتاب):

هذا الكتاب باجزائه الثلاثة حلقة في سلسلة الحياة **العقلية الاسلامية** التي اخذ مؤلفه **احمد امين** نفسه منذ نهوضه بالتدريس في **جامعة القاهرة** عام **١٩٢٦**م باستكشاف حقائقها وعناصرها وأضوائها وظلالها. وقد مهد بهذه السلسلة الطريق لبحث الحياة العقلية الاسلامية حيث قسم هذا الطريق الى مراحل (مرحلة العصر **الاسلامي** ومرحلة العصر **العباسي** الاول ثم مرحلة العصور **التالية**) وقد خص المرحلة الثانية بكتابه (**ضحى الاسلام**) الذي انفق في تأليفه **ثمانية اعوام** تمثل فيه حياة العباسيين العقلية في عصرهم الاول تمثيلا رائعا حتى ليبدو كأنه خالطهم في هذه الحياة مخالطة دقيقة حيث تحدث عن حياتهم الاجتماعية الثقافية وعن الحركة العلمية وتطورها والحركات السياسية والفرق الدينية في ذلك العصر.

ط

الطلاسم (قصيدة):

هي قصيدة تأملية مطولة للشاعر العربي المهجري **ايليا ابو ماضي** يبلغ مجموع مقاطع هذه القصيدة **واحدا وسبعين** مقطعا يتألف كل منها من اربعة أبيات تنتهي دائما بعبارة (**لست ادري**) ويستهل الشاعر طلاسمه بالتساؤل – الحائر عن مصدره وسر وجوده بقوله:–

جئت لا اعلم من اين ولكني اتيت
ولقد ابصرت قدامي طريقا فمشيت
وسأبقى سائرا ان شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف ابصرت طريقي؟ لست ادري!

توفي ابو ماضي عام **١٩٥٧**م وله عدة دواوين شعرية.

ظ

ظربان:

حيوان في حجم القط ينتشر في انحاء **امريكا الشمالية** كلها وهو يعيش في الغابات الصغيرة بالقرب من اطرافها وله سمعة سيئة ترجع الى اطلاقه سائلا كريه الرائحة اذا ما اثير.

يخرج هذا السائل من غدتين تحت ذيله مباشرة وهو وسيلته للدفاع عن نفسه والظرابين حيوانات جميلة **بفرائها** المخططة باللونين الابيض والاسود كما انها وديعة اليفة ويعمد بعض الناس الى استئصال غدتي الرائحة من ذيلها لاتقاء شرها.

ع

عسل النحل:

سائل حلو لزج ناتج من رحيق الازهار الذي يلعقه **النحل** الشغال بالسنته وتحوله الخمائر الموجودة في المعدة الى خليط من سكر **الفواكه** وسكر **العنب** وهذه السكريات بسيطة التركيب سهلة الهضم والامتصاص لذلك فهو غذاء ممتاز للمرضى والناقهين ويتوقف لونه ونكهته على نوع **الأزهار** التي يمتص النحل رحيقها.

غ

غمدان:

قصر تاريخي شيد قبل الاسلام **بصنعاء في اليمن** كان يتكون من عشرين طابقا بين كل طابقين عشرة اذرع ولكل غرفة اربعة ابواب وعند كل باب تمثال من **نحاس** يخرج منه صوت اذا ما دخل فيه الهواء وكان سقف الغرفة العليا في هذا القصر مغطى بلوح من الرخام الشفاف يساعد المقيم بها على رؤية السماء وأقيم في كل ركن من أركانها الاربعة تمثال **أسد** اذا دخل الهواء فيه يسمع منه **زئير** كزئير الاسود.

ف

فيزوف (بركان):

يعتبر من أشهر وأهم البراكين في العالم وهو يوجد بالقرب من مدينة **نابولي بايطاليا** وترجع شهرته الى انه منذ تشعة عشر قرنا مضت قام بتغطية المدن الرومانية الصغيرة بالرماد البركاني ولم تكتشف هذه المدن الا في القرن الثامن عشر وفي العصر الحديث ثار **فيزوف** عدة مرات ففي ١٩٠٦م ثار ثورانا دام- ثمانية عشر يوما- وفي سنة ١٩٤٤م أثناء **الحرب العالمية الثانية** حدث ثوران آخر.

ق

قرطاجنة:

من أشهر المدن القديمة أسسها **الفينيقيون** في شمال **أفريقيا** في مواجهة جزيرة **صقلية** بالقرب من موقع مدينة **تونس** الحالية في القرن التاسع قبل الميلاد وقد استولى القرطاجينيون على **كورسيكا وسردينيا** وغيرهما من الجزر وخاضوا معارك كثيرة مع الاغريق في صقلية وكان أعظم قوادهم هو (**هانيبال**).

اصبحت **قرطاجنة** بعد ان ضعف الفينيقيون انفسهم في **الشرق** أعظم دولة تجارية في **البحر المتوسط**. وكانت املاكهم في افريقيا تشمل معظم الاراضي المعروفة الان بتونس **والجزائر ومراكش**.

ك

كتان:

هو النبات الذي تصنع من اليافه **المنسوجات الكتانية** ويستخرج من بذوره **زيت** بذر الكتان وتؤخذ الالياف من الطبقة الخارجية لساق النبات.. ويستخدم زيت بذر الكتان في صناعة **الطلاء والورنيش** كما يصنع من مسحوق بذوره كسب بذر الكتان الذي يستعمل غذاء للماشية.

ل

لوغاريتمات :

اللوغاريتمات هي اعداد خاصة استخرجت بعمليات من اعداد عادية وادرجت بجداول بجانب هذه الاعداد العادية وأهم استعمالاتها انها تمدنا بطريقة سريعة لاجراء عمليات ضرب اعداد كبيرة جدا وكذلك عمليات اخرى مختلفة. ولضرب عددين كبيرين نستخرج **لوغاريتمات** هذين العددين من الجدول وما علينا الا ان نجمع هذه اللوغاريتمات فنحصل على لوغاريتم جديد والعدد الموجود بجانب هذا اللوغاريتم في الجداول هو حاصل ضرب المطلوب.

م

المؤسسة العامة لصوامع الغلال ومطاحن الدقيق :

غرض هذه المؤسسة هو انشاء وتشغيل صوامع للغلال ومطاحن للدقيق ومصانع لعلف الحيوان بهدف تكوين صناعة متكاملة لتخزين الغلال وانتاج الدقيق وتصنيع علف الحيوان وكذلك انشاء أية صناعات غذائية اخرى مرتبطة او مكملة لما ذكر وتسويق منتجاتها داخل **المملكة العربية السعودية** وخارجها. كذلك القيام بشراء – واستيراد الغلال وايجاد مخزون احتياطي مناسب لمواجهة الظروف الطارئة مع الاخذ بعين الاعتبار اهداف السياسة الزراعية المعتمدة .. مركزها الرئيسي بمدينة **الرياض**.

ن

نظارات شمسية :

هي نظارات ملونة معدة لوقاية **العيون** من وهج **الشمس** وهي مفيدة لدرء اجهاد النظر في حالات الحول او الابصار في الضوء الشديد وأثناء التزحلق على **الجليد** او سياقة **السيارات** في الصيف او **الاستحمام** في اشعة الشمس على **الشواطئ**. وتقاس نظارات الشمس بنسبة الضوء الذي ينفذ منها ويجب الامتناع بتاتا عن استعمال هذا النوع من النظارات ليلا لانها تقلل حدة الابصار بدرجة كبيرة كما يجب تجنب النظر الى الشمس مباشرة من خلال هذه النظارات لأن ذلك يسبب عمى كاملا او جزئيا.

هـ

هيروغليفية :

لفظة **هيروغليفية** معناها (العلامة المقدسة المحفورة) وقد اطلق هذا الاسم على كتابة **المصريين** لانها كثيرا ما كانت تحفر على جدران المعابد ومع ذلك فان كثيرا منها لم ينقش بل كتب بالحبر بقطعة من (الغاب) بدلا من القلم اوكان يرسم بالالوان على جدران المنابر وغيرها من النصب التذكارية وكانت باكورة كتاباتهم عبارة عن علامات مصورة فكانت ترسم صورة الشيء او فكرة لها صلة قريبة به.

و

الوندال :

الوندال هم قوم من **البرابرة** كانوايعيشون في شمال **المانيا** وقد غزوا **اوروبا** سنة ١٧٠ ميلادية واغاروا على **اسبانيا وافريقيا** الشمالية في القرن الخامس الميلادي وفي سنة ٤٥٥ هاجموا **روما** ونهبوها ولما كان هؤلاء البرابرة لا يفهمون الاعمال الفنية ولا يقدرونها فانهم قاموا بتحطيمها.

ولذلك يطلق اسمهم على كل شخص يدل سلوكه على الخشونة والغلظة.

ي

ياقوت الحموي :

هو ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله **الرومي** الجنس **الحموي المولد**. أسر من بلاده صغيرا وابتاعه **ببغداد** رجل تاجر أدخله الكتاب ليضبط له تجارته ولما كبر اعتقه فولاه وابعده عنه فاشتغل بالنسخ وحصل بالمطالعة فوائد كثيرة صار يتاجر بالكتب وينتقل من بلدة الى اخرى حتى استحصل على علم كثير فألف كتبه المعروفة (**معجم البلدان، ومعجم الأدباء**) وغيرها من الكتب النفيسة توفي سنة ٦٢٦هـ.

قالوا عن مجلة الفيصل

جهود مباركة

حضرة الاخ الاستاذ رئيس التحرير حفظكم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اني اكتب اليكم وانا اطالع العدد الثالث من مجلة «**الفيصل**» حيث اقدر في صفحاته ومواضيعه. مثلما قدرت في العددين السابقين الجهود المباركة التي تبذلونها في سبيل صحافة عربية هادفة وراقية.

واذ أتوقف باعجاب وتقدير عميقين أمام هذا النتاج الشهري الرائع يصدر عن «دار الفيصل الثقافية» فانني اتوسم المزيد والاستمرار على هذا الطريق المستوحى نوره من سيرة الراحل الكبير طيب الله ثراه ونفعنا جميعاً بنهجه وسيرته وتراثه. حتى تصبح جميع منشورات «**دار الفيصل الثقافية**» معبرة عما يرمز اليه **الفيصل العظيم** في تاريخنا المعاصر.

اكرر تحياتي وتمنياتي لكم.

صاحب «دار الراصد» المسئول

جورج رجي

بيروت – لبنان

صرح الفيصل

من خضرة تونس وبهائها الى قدس السعودية وجلالها:

انني معلم بمدرسة ابتدائية بولاية (**جندوبة**) التي تبعد عن **تونس** العاصمة بمسافة **١٥٠** كيلو متراً. تفحصت العدد الثالث من المجلة الفيصل لأول مرة فاذا هي تقودني الى الغوص فيها والتأمل في كل اركانها والعيش بين سطورها فتبين لي عندئذ ان مثل المجلة كمثل بناء حاذق احضر من المرمر أجمله وأصفاه ومن الحجر أحسنه وابهاه ثم شيد وعلي البناء فاذا هو «صرح الفيصل».

حقيقة ان مجلة الفيصل حصيلة مجهود طويل واختيار وبحث وتنقيب حتى تحظى مكانه عليا عند قرائها.

وشكرا لكل من بذل جهدا أو وقتا أو مالا في سبيل «**الفيصل**». لأني أصبحت واحدا من قرائها عليها اغار واليها أحن. وأخيرا الى اسرة المجلة كل تقديري وتشجيعي والسلام.

يوسف بن الأخضر البوسليمي

الجمهورية التونسية

مجلة عالمية

اطلعت على العدد الخامس من مجلة الفيصل ودعوني اقول لكم بصراحة. انني قد دهشت أمام روعة المجلة من حيث **الشكل والمضمون** لانني لم اكن اتوقع ان تكون هناك مجلة عربية بهذا المستوى الرائع والاخراج البديع.. واكاد اعتقد بأن المجلة «**الفيصل**» تضاهي بل تتفوق على **أرقى المجلات الثقافية العالمية**. دعوني اقدم لكم التهاني القلبية على هذا العمل الممتاز متمنياً أن تكون مجلة الفيصل مفخرة لكل عربي مسلم.

محمد فتحي الداغستاني

حمص – سوريا

تنافس كبرى المجلات

اهنئكم على الخطوة التي قمتم بها في اصدار مجلة «**الفيصل**» التي اصبحت من اعدادها الاولى **تنافس كبرى المجلات واصبح القراء يتهافتون على اقتنائها وقراءتها**. ومما زاد في رغبة وشوق القراء وحرصهم على اقتناء المجلة الهدية المرفقة والمسابقة القيمة والموضوعات العظيمة المخطوطات النادرة بالاضافة الى الطباعة الفاخرة الانيقة على الاوراق المنوعة ذات الاشكال المختلفة والالوان الزاهية.

لكن لي **ملاحظة على المسابقة هي**: انكم لا تكتبون الاجابة الصحيحة للمسابقة عند نشر أسماء الفائزين بها حتى يتأكد المشاركون من صحة اجاباتهم فحبذا لو تفضلتم بنشر الاجابة الصحيحة. والله ولي التوفيق

محمد حسن شطناوي

ابو ظبي – دولة الامارات العربية المتحدة

عمل يستحق التقدير

نلفت نظر سيادتكم الى ان ما قمتم به من عمل جاد باخراجكم لمجلة ثقافية شهرية للعرب والمسلمين في شتى انحاء المعمورة لهو **عمل يستحق كل تقدير وامتنان**.

وان اخراجكم للعدد الاول من هذه المجلة من رجب ١٣٩٧ هـ لهو عدد جبار لمايتمتع به من مواضيع شيقة بعيدة عن مواضيع الجريمة والجنس كما ذكرتم انتم وكما تفعل بعض المجلات. ولكن المجلة ينقصها بعض المواضيع الدينية الاسلامية لكي تعطي للقارئ فكرة عن دينه ولا سيا أن أعداء الاسلام يتربصون بنا.. اقول هذا **بعد أن رأيت انتشار المجلة في أوروبا وامريكا والدول العربية**. وبذلك يصبح اسم مجلة «**الفيصل**» من مجلة ثقافية الى مجلة اسلامية ثقافية شهرية. وهذا الاسم الجديد ليس بغريب على الفيصل رحمه الله فقد **كان الملك فيصل رحمه الله داعية اسلامي كبير** وقد قيل «ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا».

وفي الختام لي وطيد الأمل في أن تتقبلوا اقتراحاتي لكي تسير هذه المجلة كما ينبغي لها من تخطيط سليم والله من رواء القصد

طلال علي قم قم جي
القاهرة – المنيل
ج.م.ع

المجلة: لو راجعت ايها الصديق أعداد المجلة اللاحقة لوجدت مدى عنايتنا بهذا الجانب.

ملأت فراغاً

نرجو لكم دوام الخير وسداد الخطى مهنئين لكم وللزملاء الكرام اسرة «الفيصل» الغراء بفيصلهم التي نرجو ان تكون «فيصلا» بين الحق والباطل و «فيصلا» بين الظلمات والنور ومنبرا ثابتا على الدرب درب الحق والنور.

ولا نخفي عليكم بل نقولهابصراحة دونما مبالغة أو مجاملة أن «الفيصل» منذ أن تلقيناها من المكتبات في بلدكم الشقيق «دولة الامارات» قد ملأت فراغا نرجو أن تستمر الفيصل بملئة كل جديد وبكل مفيد بحول الله.

ونحن **مجموعة من اخوانكم سعوديين ومواطنين من الامارات** وكلنا ولله الحمد اخوة في الدين – نشجع فكرة «**المسابقة**» التي جعلتم لها زاوية مستقلة نرجو أن تظل ثابتة ومستمرة حيث فيها نفع كبير وثقافة متفرعة وشاملة – **هذه المسابقة حافز أكيد على البحث والمطالعة** ومن ثم عامل أساسي في زيادة الثقافة والمعلومات العامة التي لها أثرها الفعال في دفع الشباب المثقف الى ان يملأ بعض فراغه الكثير بما ينفع ويفيد – وحبذا لو خصصتم في كل مسابقة بعض الاسئلة حول اظهار المعالم الحضارية للجزيرة العربية قديمها وحديثها لتعريف شباب الوطن العربي والاسلامي بما خفي عليهم أو بما حاول الاعداء طمسه من معالم هذه الحضارة الاصيلة لبلادنا المقدسة وخاصة فما يتعلق بمكة المكرمة والمدينة المنورة احب البقاع الى الله كما ثبت في الاحاديث الشريفة الصحيحة.

هذا ولنا رجاء الا تتأخروا في ارسال المجلة الى وكيلها في **أبو ظبي** – بل نأمل أن ترسلوها حال صدورها لأننا نكون في شوق شديد اليها – ونرجو أن نكون صادقين اذا قلنا لكم بأننا نتعمد في شراء اعداد اضافية زائدة عن حاجتنا الشخصية حيث نقوم بتوزيعها كهدايا لبعض الأصدقاء بمعدل ١٥ نسخة شهريا عدا نسخنا الخاصة بنا – وذلك لما رأينا في المجلة من النفع والفائدة المرجوة ان شاء الله هذا ونرجو ان نتمكن من المساهمة في الكتابة الى المجلة بما يناسب ويلزم ان شاء الله وهو سبحانه من رواء القصد.

مجموعة من اخوانكم المقيمين
بدولة الامارات
(رأس الخيمة – أبو ظبي – دبي – الشارقة)



تحية قلبية تصدر من عربي أحسن ولأول مرة ان الدم يجري في عروقه هو دم عربي وان العقل المهيمن عليه هو عقل **ابن سينا والفارابي وابن خلدون** وان الضمير الذي يعيشه هو ضمير **خالد وعثمان وعقبة**. وان الاله الذي يدين له هو اله لمسلم كان أم مسيحي كما انا هو.

لا أعرف ما الذي جذبني الى مجلتكم هذه أهو **الضمير الحي** أم الروح العريقة أم المعرفة القوية الموجودة بين السطور في مجلة الفيصل.

فقد انتظرت طويلا قبل

قالوا عن مجلة الفيصل

أن ارى مجلة عربية بكل معنى الكلمة تخدم العرب علما وأدبا وفنا تحت **لواء اله الكل. ورسوله محمد** ﷺ.

اشكركم شكراً جماً لكلماتك العلمية والادبية التي تطلقونها في رمال الصحراء حيث كانت مشارف الحضارة.

اشكركم شكراً مرة ثانية واتمنى دوام البقاء لكم ولمجلتكم التي تحمل أعز اسم تفتخر به راجياً من الله عز جلاله أن يساعدنا جميعاً لنقوم برسالة الحب في كل مكان.

باسل قس نصر الله
حلب – سوريا

في كل بيت

تحية عربية وبعد:–

لو رأينا طفلاً بلغ من العمر سنة واحدة وبدأ يمشي على رجليه لما استغربنا ذلك لأن ذلك شيئاً طبيعياً.

أما ان يمشي طفل عمره شهر أو شهران فهذا اما مستحيل أو معجزة.

مجلتنا **الفيصل** لم تبلغ من العمر سوى بضعة أشهر ومع ذلك فانها دخلت كل بيت منذ صدور العدد الأول وحتى الان.

لذلك ارسل لكم أحر التهاني على هذا النجاح وكان الله في عوننا وعونكم لخدمة العرب والمسلمين.

محمد محب الدين
جامعة حلب – كلية الهندسة – سوريا

الغرس الطيب

لقد سررت سروراً ما بعده سرور وفرحت حتى كاد قلبي أن ينشطر من شدة الفرح وحمدت الله **أن أرض القبلتين ومهبط الرسالات قد اثمرت ما غرسه الفيصل** – طيب الله ثراه – من مبادئ الاسلام وطهارة المؤمن الحق – فاذا بالغرس الطيب ينبت هذا الثمر الطيب – الا وهي (**مجلة الفيصل**) التبويب فاق حد الروعة والمادة دسمة تاخذ الالباب ونحن معشر الناطقين بلغة الضاد كنا في شوق لمثل هذا العمل العظيم والحمد لله قد حقق لنا الجيل الذي تربى في حمى الفيصل – طيب الله ثراه – الأمل في أنا أمة بخير والحمد لله – ارجو لكم الصحة والعافية في حمل هذا المشعل الوضاء لانارة الأمل والحرية والدين والحق.

لي ملاحظة بسيطة وهي أن التغليف اعني تغليف المجلة غير متين – واقترح أن يكون هنالك دبوس في وسط المجلة من ناحية اليمين حتى لا تتساقط الصفحات – مثلا أنا اشتريت العدد الأول وفي أثناء تقليبي للصفحات خرجت الصفحة الأولى والثانية ونحن نريد أن نحتفظ بكل عدد يصدر كمرجع لاطفالنا من بعدنا.

ودمتم في حفظ الله وتحياتي لكل ودمتم في حفظ الله وتحياتي لكل أسرة التحرير.

حسين عثمان حسن
الخرطوم – السودان

المجلة: تدبيس المجلة فيه شيء من التعب عند القراءة نظراً لضخامة حجم المجلة.. ومع ذلك فقد راعينا أن يكون التغليف أكثر متانة في الأعداد اللاحقة .. وللأخ الكريم تحياتنا وشكرنا.

ضوء على جبين الفكر

قد لا أذيع سراً ان قلت اني تعمدت التمهل في الكتابة لكم مهنئاً ومباركاً، مسيرتكم المباركة ونهجكم السديد. مع صدور العدد الأول من مجلتكم الثقافية الراقية في رجب ١٣٩٧ هـ **فقد بهرتني طلعة العدد الأول وملك علي حواسي اعجاباً مأخوذاً بروعة المستوى الذي ظهر به مادة وأسلوباً.** وكان لامساكي عن الكتابة لكم في حينه سبب ارجعه لخشيتي من أن يكون ذلك الذي أحسست به لم يكن الا نتيجة لنزوة لا تلبث أن تخمد أو انبهار سينتهي الى فتور فعولت على انتظار صدور **العدد الثاني** وكان ذلك على مضض مني انتظار فيه قلق الطالب المترقب لنتيجة امتحانه. وقد كان امتحاناً بيني وبين نفسي – حتى صدر العدد الثاني من **(الفيصل)** فايقنت أن **العمل المدروس القائم على أسس راسخة صلبة لا بد وأن يكون متيناً لا تهزه العواصف القادمة ولا التيارات المضادة المعاكسة.** فقد كان الأصل الجيد المتين في الشكل والمضمون هذا هو ما يجب أن يكون عليه البدء لكل عمل ناجح.

انها كلمة حق لا بد أن تقال بل من الواجب علينا أن نقولها لكل عمل يبهرنا ونرى فيه العزيمة من أجل الرفع من مستوانا الفكري والثقافي. وخصوصاً اذا كان يحمل في طياته رسالة الاهتمام بكل الثقافات العربية والاسلامية وتراثنا الفكري الخالد الذي انبعث واشرق من هذه الارض الطيبة التي لو نطقت لقالت أن **التاريخ بدأ من هنا.** ونحن نقول أن العمل الجيد ان شاء الله يخرج من هنا أيضاً. **وما قيل وما كتب عن مجلتكم ما هو الا قليل وغيض بل قطرة من محيط. أقول ذلك وأنا على ثقة من أنه ليس في ذلك خروج عن الواقع أو مجانبه له.**

ولا غرو أن تحظى هذه المجلة بهذه الخطوة وتنال هذه المكانة في مولدها لأنها تحمل اسم **البطل الشهيد** والرجل البطل، أسطورة القيادة العربية الحكيمة في القرن العشرين **(الفيصل)** رحمه الله ولا شك أن (الفيصل) المجلة ستكون باذن الله امثولة الصحافة العربية التي تضيئ جبين الفكر العربي الاسلامي العريق.

وفقكم الله وسدد خطاكم وجعل النجاح والتوفيق حليفكم من أجل ان تحققوا أملكم المنشود لتنهضوا في سبيلكم من نصر الى نصر باذن الله.

محمد علي قدس – جدة

ردود قصيرة

* الاخ أ.ج.. القاهرة، مصر

رسالتك الكريمة التي ابيت أن توقعها باسمك تنم عن روح اسلامية طيبة. ونحن أمام كل هذه المشاعر النبيلة نتفق معك .. ولكن أليس من الأولى احتضان الفئة التي تعنيها بالكلمة الطيبة من أجل عودتهم الى حياة الحق والخير .. لأن العداء ينفر الانسان ليس من مجتمعه فحسب بل من أهله .. ومنها جنا ان يعود هؤلاء الى طريق الحق .. والاسلام ليس من صفاته الجمود .. بل هو دعوة لكل ما يعود بالخير والصلاح للانسان .. والخطأ من طبيعة البشر .. ونسأل الله ان يغفر الذنوب .. والله اعلم بالنيات .. لك تحياتنا .. وعميق شكرنا.

* الاخ غلاب صالح العطيان الحربي، الرياض، السعودية

نشكرك على مشاعرك الطيبة .. والمجلة لا تهتم باللهجات العامية شعراً أم نثراً لك تحياتنا.

كتب وردت للمجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح أمام القارئ آفاقاً أوسع وأرحب وأبعد مدى».

حقيبة الذكريات

ديوان شعر للشاعر السعودي **طاهر زمخشري** يقع في اكثر من مائتي صفحة طبع بمصنع الكتاب الشركة التونسية للتوزيع - قرطاج - تونس عام ١٩٧٧

وقد اهدى الشاعر ديوانه الى **الحمراء** قائلاً «اليها اهدي هذه الحقيبة وما فيها من ذكريات جمعتها من حبات فؤادي وقطرات من دمي ودمعي».

ويضم الديوان بين دفتيه حوالي **تسعين قصيدة** من بينها قصيدة «الى الحمراء» التي اهدى الشاعر ديوانه اليها وقصيدة «**حقيبة الذكريات**» التي أسمى الديوان بها.

وتمتاز قصائد الديوان بانطلاق التعبير وفيض الخيال والوجدان .. والمعروف عن الشاعر الزمخشري غزارة عطائه الشعري بصورة لا يمر فيها عام دون ان يصدر ديواناً.

مؤلفات العياشي

من مؤلفات الاستاذ **جمال الدين العياشي** .هذان الكتابان:

* «دراسات في الشريعة والأدب والاجتماع» وقد قسمه المؤلف الى ثلاثة أبواب .. الأول دراسات في **الشريعة الاسلامية** تناول فيها عددا من القضايا الهامة مثل القضاء والقدر .. وسماحة الاسلام .. والهجرة. والثاني دراسات في **الأدب** تناول فيها اللغة العربية بنيتها وتاريخها وتقسيمها وغيرها من القضايا المتعلقة باللغة. والثالث دراسات في **الاجتماع** تناول فيها نشأة علم الاجتماع عند عدد من الشعوب .. وترجم **لابن خلدون** .. والدراسات الاجتماعية المعاصرة .. كما تناول قضايا المرأة في الاسلام حقوقا .. وأحوالاً شخصية.

* «أبو جعفر محمد بن جرير الطبري» تناول فيه المؤلف العياشي ترجمة حياة العلامة المؤرخ والفقيه المعروف بالطبري .. كما تناول فقهه .. وتفسيره .. وتاريخه الكبير.

الكتابان طبعا بمطبعة فانزي بتونس - يقع الاول في ١٩٥ صفحة والثاني في ١١٣ صفحة من القطع الصغير.

ذكريات

من مطبوعات **نادي الطائف الأدبي** بالمملكة العربية السعودية صدر كتاب «**ذكريات**» من تأليف **الاستاذ أحمد علي** .. يسترد فيه المؤلف ذكرياته القديمة من خلال رحلاته .. ولقاءاته بالآخرين الذين كانت لهم تأثيرات تذكر في حياة اممهم وبلادهم .. والكتاب يتميز بالمتعة لما فيه من بساطة الاسلوب .. وسهولة العبارة الي جانب الدقة في الوصف لما يشاهد ويرى .. وقد نشرت أغلب هذه المواضيع في مجلة «**المنهل**» السعودية .. وفي نهاية الكتاب **فهرس للاعلام** .. وآخر **للأماكن** .. وثالث **للموضوعات**. وهذا الكتاب هو باكورة أعمال الاستاذ أحمد علي الأدبية المطبوعة ويقع الكتاب في ١٩٥ صفحة من القطع المتوسط .. طباعة مطابع الزايدي بالطائف.

عندما يزهر الحب من جديد

مجموعة قصص قصيرة تأليف **عبدالرحمن شلس** تعالج بعض المواقف الانسانية .. والاجتماعية .. تحتوي المجموعة على عشر قصص احداها القصة التي تحمل المجموعة اسمها .. وهي مطبوعة طباعة عادية من القطع الصغير وتقع في ١٩٥ صفحة.

موقعنا من الحضارة ضمن الاطار العالمي

كتيب يحتوي على ثلاثة

مواضيع الأول «موقعنا من الحضارة ضمن الاطار العالمي» **للكاتب السعودي الاستاذ محمد كامل خجا** .. والثاني «الكلمة والحركة ودورهما الأساسي في نهضة المسلمين» **للاستاذ ابراهيم الطحاوي** .. والثالث «الشورى في الاسلام .. تشريعا وتطبيقا» **للاستاذ عبدالكريم الخطيب** .. طبع دار فلسطين للتأليف والترجمة – بيروت يقع في ٦٤ صفحة من القطع الصغير.

ماذا يقول القبس الأخضر ؟

ديوان شعر للشاعر **مصطفى النجار** ضم ١٧ قصيدة .. كتب مقدمته **محمد حسناوي** .. وقصائد الديوان تجمع بين الشكلين التقليدي .. والحديث في الشعر .. وللشاعر خمس مجموعات شعرية صدرت قبل هذه المجموعة .. وله مجموعتان تحت الطبع.

ديوان (ماذا يقول القبس الاخضر) يقع في ٨٦ صفحة من القطع الصغير .. وفي طباعة عادية مزين ببعض الرسومات.

الساعة والنخلة

مجموعة قصص تأليف الكاتب السعودي خليل ابراهيم الفزيع صدرت عن مؤسسة العهد للصحافة والطباعة والنشر. الدوحة. قطر (١٣٩٧هـ–١٩٧٧م) والساعة والنخلة عنوان المجموعة هي احدى هذه القصص.

وقد أهدى المؤلف هذه المجموعة من القصص الى كل الذين ولدوا وليس في افواههم ملاعق من ذهب. وقد عبر هذا الاهداء عن ارادة التحدي في الانسان وهو الموضوع الذي تدور حوله قصة الساعة والنخلة.

وتتألف المجموعة من خمس عشرة قصة تقع في حوالي مائة صفحة.

كتب للدكتور عبدالمحسن صالح

* «**زوجات مفترسات**» صدر ضمن السلسلة الشهرية «**كتاب الهلال**» التي تصدر في **مصر**. ويعد هذا الكتاب عرضاً علمياً بأسلوب مشوق ومبسط. لشذوذ بعض الزوجات اللائي يقمن بافتراس ازواجهن مع تحليل هذه الظاهرة الغريبة المثيرة تحليلاً علمياً هادفاً. ويقع الكتاب في حوالي مائتي صفحة.

* «**مذكرات ذرة**» صدر ضمن مجموعة «**اقرأ**» التي تصدر في مصر. وهو تحليل علمي باسلوب قصصي ممتع للذرة باعتبارها أقل كيان ويجري المؤلف الحديث على لسان الذرة حيث تحكي دورها وعظمة قوتها باعتبارها مادة الكون. وطاقته. ونوره وظلامه. وبهذا تنكشف أسرار الذرة للقارئ مهما يكن نصيبه من الدراسات العلمية البحتة.

* «**أنت .. كم تساوي ؟**» صدر عن «**كتاب الهلال**» أيضاً ويقع في حوالي مائة وثمانين صفحة. وفي هذا الكتاب يقوم المؤلف برحلة علمية داخل جسم الانسان ويستعرض تكوينه العضوي وأسرار الطاقة الكامنة فيه ويحلله جسداً وروحاً. والمؤلف يضع الانسان في منظور كلي شامل ثم يسأل: كم يساوي ؟؟

* «**مسكين عالم الذكور**» صدر عن «**دار الشروق**» ويقع في حوالي مائة صفحة ويحلل فيه المؤلف الذكر مقارنا بالانثى ويصل الى نتيجة مثيرة وهي أن **الانثى أقوى من الرجل** وراثياً وأعقد بيلوجياً وأعصابها أقوى وأمراضها أقل واحتمالها أشد، وعمرها أطول، ثم هي بالنسبة للحياة أثمن وأهم.

وتمتاز كل هذه الكتب بالاسلوب الفريد الذي يختص به مؤلفها الدكتور عبدالمحسن صالح فهو عالم متضلع في علمه. ولكنه حين يكتب في أعسر المشكلات العلمية يستخدم الاسلوب القصصي المبسط الذي يحرك شوق الانسان للمعرفة ويسقيه المادة العلمية في سلاسة ويسر.

صناعة الفروج

اعداد المهندس **محمد نذير زرنهجي** الاختصاصي في صناعة الدواجن. وقد طبع في **مطبعة الشرق – حلب**. ويقع في حوالي مائة وخمسين صفحة.

يتناول تربية **الدجاج**. ويعتبرها صناعة لها اصول يجب مراعاتها ولذلك يتحدث

كتب وردت للمجلة

في اسهاب عن بناء مساكن الدجاج وحضانتها وتغذيتها. والعناية بها من حيث قص المنافير والتهوية .. والاضاءة وتكوين العليقة. ويستعرض امراض الدجاج وتشخيصها وطرق الوقاية منها وعلاجها. وأخيراً يتناول تسويق الفروج وطرق حفظ لحومه واستعمالاتها.

الاندحار الماركسي في العالم الاسلامي

تأليف **محمد العربي الناصر** – صدر عن المطابع المغربية والدولية طنجة. يتناول الكتاب **أزمة الماركسية في العالم الاسلامي** وذلك من خلال ازمتها العالمية عملياً ونظرياً ويعزو اسباب اندحارها في العالم الاسلامي خاصة الى ان المسلمين على امتداد تاريخهم لم يأخذوا اي ثقافة على علاتها وانما تمثلوها وأضفوا عليها من مبادئ دينهم وعمدوا الى مواءمتها معه. وقد حدث ذلك بالنسبة لثقافة **اليونان والرومان والفرس**. ونفس الشئ حدث بالنسبة للماركسية الشيوعية والليبرالية الغربية في العصر الحديث ومن هنا كان اندحار الماركسية السريع في الوطن العربي لأنها حتى مع محاولات تعديلها لم تنجح في ان تصل من نفوس المضللين بالشيوعية انفسهم مبلغ العقيدة الراسخة ذات القوائم المستقلة عن كامل التراث العربي.

آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب

تأليف **د. أحمد محمد الضبيب** الاستاذ المشارك بكلية الآداب **جامعة الرياض** يقع الكتاب في مائتي صفحة وتم طبعه في **المطابع الأهلية للاوفست بالمملكة العربية السعودية، الرياض**.

يعتبر الكتاب سجلاً **ببليوجرافياً** لما نشر من مؤلفات المصلح الكبير **الشيخ محمد بن عبدالوهاب**. يجمع المتفرق من أعماله ويدل على مظانها، وتواريخ طبعها وأماكن نشرها وعدد الطبعات وصورها المختلفة ولا يقتصر على المشهور من أعمال الامام الشيخ وانما يشمل كل ما سطره من كتاب أو رسالة أو فتوى.

ينقسم الكتاب الى ثلاثة أبواب:

الباب الأول:

ويتضمن ما كتبه الشيخ مما يتصل بالعقيدة ويقع ضمنه ما كتبه عن **التوحيد** واخلاص العبادة لله ونبذ الخرافات والبدع والاوهام التي كانت سائدة في عصره.

الباب الثاني:

يتضمن ما كتبه عن **الفقه**.

الباب الثالث:

سجل لما كتبه في تفسير **القرآن الكريم** والتعليق على بعض آياته.

تتصدر الكتاب لمحات من حياة الشيخ ابن عبدالوهاب تضمنت سيرته وجهاده في سبيل اعلاء كلمة الحق والدين الصحيح كما تتضمن نموذجاً لخط يده.

الكتاب السنوي لنادي جازان الأدبي

أول كتاب سنوي يطبع لنادي جيزان الأدبي في المملكة العربية السعودية الذي افتتح في ١٣٩٢/١٢/٣هـ ويستعرض الكتاب الذي يقع في ثلاثين صفحة نشاط النادي الأدبي في خلال سنة ٩٥-١٣٩٦هـ كما أنه يتضمن بعض القصائد التي ألقيت في حفل افتتاح النادي وملخصاً لبعض المحاضرات التي نوقشت فيه.

مواقف مع الصحافة العربية

تأليف ياسر الفهد، ويقع في حوالي الثمانين صفحة من القطع المتوسط، طبع في مطبعة خالد بن الوليد عام ١٩٧٥م.

يحدد المؤلف مواقفه من الصحافة العربية ويورد بعض الأمثلة من الصحف والمجلات العربية، ويناقش العديد من القضايا الصحفية كمسألة المجلات الجامعية، والمجلات الاختصاصية، ومجلات

النساء، ومجلات الأطفال، ودمج المجلات، وهموم الترجمة، وغيرها من القضايا التي تهم الصحافة والصحفيين. وفي نهاية الكتاب ثبت باسماء رؤساء وسكرتيري تحرير بعض المجلات العربية.

«مجلة البحوث الاسلامية»

مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر في الرياض بالمملكة العربية السعودية عن رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية. وتشتمل المجلة على عدد من البحوث الاسلامية الهامة التي كتبها لفيف من كبار العلماء، وهي بهذا مرجع قيم لكل من أراد أن يعرف احكام الاسلام في المواقف والقضايا المختلفة، وتتضمن تحقيقات وتقارير عن أوضاع المسلمين في الخارج، وتتابع ما يكتب عن الاسلام بأقلام اجنبية فتعرضه وتفنده وتحتوي المجلة على تراجم لبعض كبار الأئمة والصحابة.

صدر العدد الثالث منها، وهو آخر عدد، في أكثر من أربعمائة صفحة من القطع الكبير في ورق صقيل واخراج أنيق .. يرأس تحريرها الشيخ الفاضل عثمان الصالح من رادة المربين ورجالات التعليم في المملكة.

أعمال شاعر فلسطين ابراهيم طوقان

* ديوان شعر يضم أعمال شاعر فلسطين ابراهيم طوقان ويقع في أكثر من مائتي صفحة وقد اصدرته دار القدس في بيروت.

* صدرت الدار الديوان بمقال كانت الشاعرة فدوى طوقان قد نشرته عن أخيها استعرضت فيه حياته وملامح شعره والمصاعب التي لقيها في ظل الانتداب على بلاده فلسطين وهجرته الى العراق، ثم عودته ووفاته فوق تراب وطنه.

* وفي نهاية الديوان دراسة لشعر ابراهيم طوقان بقلم دكتور احسان عباس أشاد فيها بدور ابراهيم طوقان في تجديد الشعر العربي من حيث الشكل والمضمون.

* من أبرز قصائد الديوان قصيدة «الشهيد» و«أشواق الحجاز» و«الحبشي الذبيح».

قصص القرآن

بحث في معنى القصص مع دراسة تحليلية تتضمن عناصر القصة، وانواع القصص في القرآن وفوائد القصص في القرآن والرد على من زعموا أن القصص في القرآن عمل فني ليس له حقيقة تاريخية مع بيان الأثر القصصي القرآني في الدعوة والتربية والتهذيب. **كتبه جار الله بن سلمان الخطيب** باشراف فضيلة **الشيخ الاستاذ مناع خليل القطان،** وهو بحث مقدم لنيل الشهادة العالية من كلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية يقع في ٧٨ صفحة من القطع الكبير.

* * *

الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه

هذا هو السفر الجليل الذي صنعه الامام العلامة **أبي محمد مكي بن أبي طالب العتيبي** المتوفى سنة ٤٣٧هـ وعنوانه بالكامل «**الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه**» وقد قام بتحقيقه **الدكتور احمد حسن فرحات** الاستاذ المساعد بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية. يقع في ٤٠٨ صفحة من القطع الكبير. الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

كتب وردت للمجلة

موسوعة الفولكلور الفلسطيني

صدر الجزء الاول من «**موسوعة الفولكلور الفلسطيني**» التي يشرف عليها الاستاذ **نمر سرحان** والتي تعنى بتسجيل المأثورات الشعبية الفلسطينية ثم دراستها وتفسيرها وايضاح مدى تعبيرها عن الطابع الثقافي لشعب فلسطين. وهي تتوصل لذلك باستقصاء المعلومات من الرواة ومن المراجع العربية والأجنبية على السواء. صدر الجزء الاول في ١١٤ صفحة من القطع الكبير. الطبعة الاولى ١٩٧٧ عن مطبعة التوفيق بعمان بالأردن.

العقوبات في الاسلام

إعداد **عبدالرحمن بن عبدالعزيز الداود**. باشراف **حسين صديق احمد**. وهو عبارة عن بحث قدم لنيل الشهادة العالية من كلية الشريعة بالرياض. فحاز درجة الامتياز للعام الدراسي ١٣٩٢-١٣٩٣هـ ويذهب الباحث الى أن العقوبات في الاسلام - جاءت من منطلق تحقيق المصلحة للفرد والمجتمع. من غير أن يطغى جانب على جانب. ولذلك شرع الإسلام العقوبات حماية للانسان. ومحافظة على مشاعره. بالمحافظة على أعز الأشياء لديه. فحفظ عرضه وماله. وعقله وشعوره. وسلوكه وأمنه وحريته. يقع في ٢٢٢ صفحة من القطع الكبير.

* * *

الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام

دراسة نقدية لكتاب «**الحلال والحرام في الاسلام**». الذي الفه فضيلة الشيخ **يوسف القرضاوي**. متناولاً فيه كثيراً من المسائل الفقهية في احكام المعاملات والأطعمة وغيرها. قام بوضع هذه الدراسة الاستاذ **صالح بن فوزان بن عبدالله آل فوزان** الاستاذ المساعد بكلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية. يقع في ١١٦ صفحة من القطع الكبير من مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية. الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ.

دليل كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية

وهذا هو دليل كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية. بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية لعام ١٣٩٦/٩٥هـ يرى من خلاله القارئ كيف كانت هذه الكلية إحدى الدعامات العلمية الاولى التي تكونت منها جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية منذ إنشاء هذه الجامعة وكيف انها تعد من أعرق الكليات في المملكة العربية السعودية. بالنظر الى تاريخ انشائها سنة ١٣٧٤هـ. فهي ثاني كلية من حيث تاريخ الانشاء في المنطقة الوسطى بعد كلية الشريعة بهذه الجامعة يقع في ١٣٤ صفحة من القطع الكبير.

دليل المعهد العالي للقضاء

وهذا هو دليل المعهد العالي للقضاء بالمملكة العربية السعودية للعام الدراسي ١٣٩٢-١٣٩٣هـ الذي كان انشاؤه اقتناعاً بأهمية الدراسات الاسلامية العليا واستجابة لمتطلبات دعوة التضامن الاسلامي. وتأهيلاً للمهام الاسلامية التي تقوم بها المملكة في انحاء العالم الاسلامي. دعوة وتعليماً وتوثيقاً للروابط الثقافية وهذا الدليل تعريف بالمعهد العالي للقضاء. بعد أن تخرج عشرات من طلابه يحملون درجة (**الماجستير**) وسجل كثير منهم للدكتوراه في جامعة الازهر. يقع في ٥٦ صفحة من القطع الكبير.